٢٠٠ سؤال وجواب

عن الشيوعية

تأليف

جورج كيردنين

الناشر
مؤسسة سجل العرب

١٩٦٢

PRIMER ON COMMUNISM

by

George W. Cronyn, Ed. by Howard Oiseth

فهرس

مقدمة

هذا الكتاب فى مبادئ الشيوعية يحتوى على أكثر من مائتى سؤال وجواب تتعلق بالشيوعية الدولية . ولقد تم اختيار هذه الأسئلة لأنها أسئلة نموذجية غالباً ما تسأل عن الموضوع . وهى معروضة بلغة بسيطة يسيرة الفهم لأنها تهيئ دراية مبدئية بموضوع الشيوعية ، بينما تتحاشى فى الوقت ذاته الدخول فى مباحثات نظرية عن الأيدولوجية الشيوعية . والفصل السادس عشر من هذا الكتاب ، وعنوانه « كيف نحارب الشيوعية » ، يهتم بتقديم مقترحات متماسكة تتناسب ومقاومة التحدى الشيوعى . وبالرغم من أن هذا الكتاب لا يمكن أن يعتبر الرد النهائى الكامل على الأسئلة عن الشيوعية ، بيد أنه يؤمل فى أن يكون وافياً بالغرض من حيث صلاحيته كمرجع مناسب للأسئلة الأولية عن الموضوع . وعند القيام بهذه الدراسة عن الشيوعية فى وقتنا الحاضر توخينا أن تشمل المصادر الأساسية التى رجعنا إليها : التقارير الرسمية التى تصدرها الأمم المتحدة ، وغيرها من الهيئات الدولية ، والمطبوعات التى تقوم بنشرها الحكومة الأمريكية ، وغيرها من الكتب والمواد الموثوق بصحتها التى تصدر فى الولايات المتحدة ، بالإضافة إلى المطبوعات العديدة التى تنشر فى البلاد الشيوعية نفسها .

الفصل الأول

طبيعة الشيوعية

١) ما هي الشيوعية ؟

تؤكد الشيوعية فى أبسط العبارات — وقد سماها مؤسساها كارل ماركس وفريدريك إنجلز فى مبدأ الأمر « الاشتراكية العلمية » — أن جميع وسائل الإنتاج والتوزيع يجب أن يمتلكها بصورة جماعية « الشعب » (أى الدولة) . ولكن الملكية الجماعية لا تنطبق بالضرورة على الممتلكات الشخصية . وتقوم الشيوعية نظرياً على المقدمات الأساسية التالية :

أولاً — على جميع الناس أن يعملوا فى سبيل المنفعة المشتركة وأن يكافأوا على أعمالهم فى المنتجات الموزعة على أساس مبدأ « من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » .

ثانياً — جميع أنواع الأعمال ، فكرية أكانت أم جسمانية ، يجب اعتبارها ذات أهمية متساوية فى مجتمع « بلا طبقات » ، وباختفاء الفوارق بين الطبقات سوف « تنكمش الدولة » أى سوف تصبح السلطة الموحدة المركز غير ضرورية .

وبالممارسة ، على أية حال ، فإن الشيوعية فى إطار هـــذا الفحوى لا توجد فى أية دولة شيوعية في وقتنا الحاضر ، كما أنه لا توجد أية أدلة تشير إلى أنه سوف يتم الوصول إليها فى المستقبل المتوقع لها .

وفى ظل الشيوعية الحالية تعتبر التسهيلات والمعدات والوسائل الإنتاجية ملكاً للدولة أو لإحدى وكالاتها ، مثل الولاية أو المزرعة الجماعية الخاصة بالمصنع . وفى الاتحاد السوفيتى تعتبر الأرض أيضاً ملكاً للدولة ، كما أن السلطة فيه مركزة تركيزاً كبيراً حتى أنه يطلق عليها « السلطة الجماعية » . وفى الاتحاد السوفيتى تمارس السيطرة على جميع المصادر البشرية

والمادية ، عن طريق جهاز حكومى معقد من جانب الحزب الشيوعى ، وأخيراً من جانب القيادة الداخلية التابعة للحزب ، كما أن الفوارق الطبقية تقوم على أساس نوع الأعمال والخدمات التى يتم إنجازها وعلى مكانة الفرد فى الحكومة البيروقراطية .

أما فى البلاد الشيوعية الأخرى — أو فى ما يسمى « بالديمقراطيات الشعبية » لأوروبا الشرقية وفيتنام الشمالية وكوريا الشمالية — فإن ذلك النوع من النظام الاقتصادى الشيوعى ليس على درجة كبيرة من التطور . فعلى سبيل المثال مازالت توجد فى هذه البلاد ممتلكات خاصة ومشروعات فردية، ولكنها تخضع لقيود وعراقيل قاسية . أما فى الصين الشيوعية فيوجد نوع آخر من النظام الشيوعى (أنظر سؤال رقم ١٠) .

وفى الآونة الأخيرة قام بعض الزعماء الشيوعيين فى خارج الاتحاد السوفيتى بالترويج للمبدأ القائل بأن هناك «طرقاً مختلفة لتحقيق الاشتراكية» (الشيوعية) ولكن الفوارق التى يراها هؤلاء الشيوعيون « القوميون » تتعلق بالشكل وليس بالجوهر .

٢) ما هى أصول الشيوعية الحديثة ؟

كان لمبدأ الملكية الشيوعية أنصاره والمدافعون عنه منذ آلاف السنين ، وحتى فى وقتنا الحاضر لا تزال الأرض تستغل بصورة شيوعية فى بعض المجتمعات البدائية .

ومهما يكن من أمر فإن المذهب الذى أنشأه ماركس وإنجلز كانا قد وضعاه على أساس دراستهما للرأسمالية فى القرن التاسع عشر — تلك الرأسمالية التى ظلت حتى منتصف ذلك القرن تشتمل على مميزات معينة كانت عاملاً من العوامل التى ساندت النظرية الماركسية الخاصة « بالصراع الطبقى » .

وكان ماركس قد اهتم بصفة رئيسية بتحليل « علمى » للرأسمالية و « متناقضاتها الداخلية » التى اعتقد بأنها سوف تؤدى إلى تأجج الصراع الطبقى بين طبقـــة « البروليتاريا » ، أو طبقة العمال الـكادحين ، و « البورجوازية » أو طبقة الملاك . ولقد تنبأ ماركس بأنه نتيجة لهذا النزاع سوف تقوم ثورة بروليتارية تمهد السبيل إلى وجود مرحلة جديدة فى المجتمع ، وهى الشيوعية .

وفى عام ١٨٤٨ أصدر ماركس وزميله إنجلز « البيان الشيوعى » الذى يتضمن المبادىء الأساسية للإشتراكية التى تم تحويلها فيما بعد إلى الشيوعية من جانب زعيمى الثورة الروسية لينين وستالين . وفى عام ١٩١٨ قام الحزب البلشفى الروسى برئاسة نيكولاى لينين بتغيير إسم هذا الحزب ، وأطلقا عليه اسم «الحزب الشيوعى لعموم روسيا» ، ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم « الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى » .

٣) ما هى حالة الفرد فى ظل الشيوعية ؟

لا يستطيع الفرد فى مجتمع شيوعى أن يقول شيئاً فيما يتعلق بعمله أو بالأجر الذى يتقاضاه أو الظروف التى يعمل فى ظلها ، كما أنه لا يستطيع أن يعتبر وقت فراغه ملكاً له أو أن يربى أطفاله كما يرغب هو وزوجته .

وفى ظل النظام الشيوعى تكون ربة البيت العادية مضطرة لأن تعمل خارج المنزل إذا ما أريد لأسرتها البقاء ، وبالإضافة إلى ذلك فإن النساء فى الاتحاد السوفيتى يقمن بإنجاز جزء كبير من الأعمال المرهقة التى لا تحتاج إلى مهارة . وقد يعترف أعضاء أسرة فى الاتحاد السوفيتى بمعتقد دينى ولكنهم إنما يمارسون ذلك بتعريض أنفسهم لبعض المخاطر والمتاعب .

والشخص الذى يعيش فى مجتمع شيوعى لا يتمتع فى الواقع بحقوق « قائمة بذاتها » ولكنه يتمتع « بحقوق » محددة تمنحه إياها السلطة الحاكمة .

وقد تقيد هذه الحقوق أو تلغى عند وضعها موضع التنفيذ — أضف إلى ذلك أن الفرد فى المجتمع الشيوعى يكون موضوعاً تحت رقابة سياسية وبوليسية تتفاوت فى درجاتها من حيث الشدة ، كما يكون تحت رحمة الوكالات الحكومية التابعة للدولة . أما فيما يتعلق بشأن الرقابة البوليسية فإنها قد خففت نوعاً ما فى الاتحاد السوفيتى ولكنها شددت فى الصين الشيوعية .

والنظام الشيوعى لايعير انتباهاً إلى حاجات ورغبات الأفراد ، اللهم إلا إذا استثنينا ذلك الانتباه الذى يمن به عليهم عن طريق مثل تلك القوانين والإجراءات الحكومية الموضوعة لزيادة القوة الإنتاجية للعمال والفلاحين ، وذلك لأنه فى بعض الأحيان من الضرورى منح بعض الامتيازات للسكان العاملين، حتى يصبح فى الإمكان الوفاء بما تحتاج إليه الدولة من مزيد من الموارد الإنتاجية .

والدولة ، وهى بمثابة الشكل والتعبير الخارجيين للحزب الشيوعى ، تمثل كل شىء فى المجتمع الشيوعى ، وفى الدول للشيوعية الأخرى التى تكون جميع نظمها وقوانينها موضوعة على طراز النظم والقوانين المعمول بها فى الاتحاد السوفيتى .

وحتى حيث توجد بعض الفوارق فى تكوين الدولة الشيوعية ، كما هو الحال فى يوغوسلافيا ، فإن الإطار الرئيسى يشبه ذلك الإطار القائم فى الاتحاد السوفيتى .

٤) هل يحمل الحزب الشيوعى دائماً السمة الشيوعية ؟

يعمل الحزب الشيوعى فى بلاد عديدة تحت أى إسم من الأسماء الأخرى. فقد يتقنع بانتحاله إسم «حزب العمال» ، أو إسم « الحزب الاشتراكى الشعبى» ، أو أية تسمية من تسميات الأحزاب الأخرى .

ولعل الغرض من استخدامه لإسم آخر ، هو أولاً — الفوز بتأييد من السوقة أعظم مما كان فى استطاعته أن يحظى به تحت الإسم المعروف « بالشيوعية » . وثانياً — كسب الأتباع عند ما يلتزم الحزب أساليب « جبهة شعبية » (محالفات مؤقتة مع الأحزاب الأخرى) . ثالثاً — تجنب تحريم وجوده فى البلاد التى تحرم الحزب الشيوعى بوصفه حزباً تخريبياً .

(٥) من هم الشيوعيون وكيف يختلفون عن غيرهم من الناس ؟ .

قد يكون الشيوعيون أعضاء فى أية جماعة مدنية . فقد يكونون طلبة أو مدرسين أو أعضاء فى نقابات عمالية أو موظفين فى الدولة . ومهما يكن من أمر فإنهم يختلفون عن المواطنين من أبناء جلدتهم فى ناحية هامة ، وهى أنهم فى تفكيرهم السياسى يحذون، دون استثناء ، حذو المنهج الذى تسير عليه جبهة موسكو — بكين ، والذى يرمى فى النهاية إلى قلب جميع الحكومات الحرة .

والشيوعى المحلى قد لا يكشف القناع عن وجهه بالقيام بأعمال أو تصرفات مفضوحة. وهو غالباً ما يدير أعماله فى الخفاء ، أو إذا قام بأعماله علانية ، فقد يدعى بأنه يعمل « لمصلحة الشعب » بينما يكون فى الوقت ذاته حريصاً باستمرار على تنفيذ هدف الشيوعية، وهو تسلم مقاليد السيطرة على الأمور. وهو أيضاً لا يقوم أبداً بنقد النظام أو السياسات التابعة للحزب الشيوعى بنزاهة ، وفيما عدا بعض الأحوال الشاذة ، يكون مستعداً لأن يتبع الأوامر التى يتلقاها من موسكو أو بكين أو وكلاهما ، وأن يباشر تقويض أركان القوانين والشرائع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعمول بها .

وقد تساعد الاضطرابات فى داخل الحزب الشيوعى ، مثل تلك التى وقعت منذ أن عزف الشيوعيون عن تمجيد ستالين ، إلى التقليل من الغلواء فى اتباع « سياسة موسكو » ، ولكن على الرغم من ذلك فإن المبادىء الأساسية للماركسية — اللينينية لم ترفض من جانب الزعماء الشيوعيين الجدد

أو من جانب أولئك الذين يؤكدون أنهم إنما يتبعون طرازاً مستقلاً عن « الشيوعية القومية » .

ومهما يكن من أمر فإن التدخل السوفيتى المسلح فى المجر فى عام ١٩٥٦ كان قد أدى إلى وجود تصدع وتمرد فى كثير من الأحزاب الشيوعية خارج كتلة الستار الحديدى .

(٦) كيف يتم إنشاء حزب شيوعى خارج الكتلة الصينية — السوفيتية؟

الشيوعية باعتبارها برنامجاً لحزب نشط يتم إدخالها بصفة عامة فى أية دولة من الدول ، من جانب أناس غير راضيين عن الأحوال فيها ويريدون تغييرها عن طريق قلب الحكومة الموجودة فى الحكم . وفى بعض الأحيان يكون هؤلاء القوم متأثرين غالباً بالأدب الشيوعى أو الدعاية الشيوعية أو بأعضاء الحزب الشيوعى الذين يرشدونهم إلى الأمور العميقة للحركة .

وفى حالات عديدة يرسل الشيوعيون المستجدون إلى موسكو أو بكين أو أى مركز من المراكز الشيوعية الأخرى، لتلقى مزيداً من التدريب فى النظرية الشيوعية والأساليب الثورية .

وقد تم استمالة بعض القائلين بالمثالية ، الذين يرغبون رغبة صادقة فى وجود نظام اجتماعى أفضل ، إلى الشيوعية على غير وعى منهم بطبيعتها الحقيقية ، غير أن مثل هؤلاء الأشخاص الذين لم يتلقوا التدريب الشيوعى لا يمكن اعتبارهم بأى حال من الأحوال من مؤسسى أى حزب من الأحزاب الشيوعية !

وقد يحدث فى بعض الأحايين ، ويتم ، إنشاء حزب من الأحزاب الشيوعية المحلية بواسطة عملاء موسكو أو بكين، الذين يكونون قد بعث بهم لتحقيق هذا الهدف بالذات . فالحزب الشيوعى فى جواتيمالا بأمريكا

الوسطى مثلاً ، أنشأه شيوعيون محنكون من الأجانب .

وفى أوروبا الشرقية كان الشيوعيون الذين قاموا بقلب الحكومات الشيوعية واستولوا على مقاليد الأمور فى معظم دولها ، من الأشخاص المبعدين عن بلادهم فى الماضى والذين أقاموا فى الاتحاد السوفيتى لسنوات عديدة . وكان عدد كبير من هؤلاء الأشخاص مواطنين سوفيتيين .

(٧) ما هو الفرق بين الشيوعية والاشتراكية ؟ .

كانت الاشتراكية الحديثة — فى بادىء الأمر — قد أقيمت إلى حد ما على أساس النظريات التى وضعها ماركس وإنجلز ، ولكن هذه النظريات ما لبثت أن نبذت تدريجياً . وفى المؤتمر الاشتراكى الدولى الذى عقد فى مدينة هامبورج بألمانيا فى شهر يوليو عام ١٩٥٩ ، رفض المؤتمرون بصورة قاطعة أن تكون لهم أية علاقات بالماركسية التقليدية ، كما قاموا بمعارضة أى تعاون مع الأحزاب الشيوعية . وعلى وجه العموم لم تفلح الجهود التى بذلتها موسكو لإنشاء جبهات سياسية لها مع الاشتراكيين .

فالإشتراكيون يرفضون الأخذ بالحكم الديكتاتورى، ويعملون من أجل تحقيق أهداف الاشتراكية باستخدام الوسائل الدستورية ، كما أنهم يؤيدون إجراء انتخابات حرة ، وتحقيق درجات متفاوتة من ملكية المشروعات الخاصة ، وفى الوقت ذاته يحبذون ملكية الدولة لمصادر الموارد العامة فيها ومباشرتها على إدارة الخدمات العامة الرئيسية والمرافق الإنتاجية التابعة لها .

أما فى الدول التى يسيطر عليها الشيوعيون ، فإنهم لا يسمحون سوى لحزب واحد ، وهو حزبهم — أو لشبه الأحزاب أو الجماعات التى هى فى الواقع تحت سيطرتهم — بأن تتقدم بمرشحيها لخوض معركة الانتخابات . وعند القيام بعملية الاقتراع توجد قائمة واحدة بأسماء المرشحين الذين لابد أن يوافق الحزب الشيوعى على أهليتهم أو اختيارهم . فالشيوعيون يسعون

لبقاء أنفسهم فى الحكم بالقوة بينما الاشتراكيون لا يأخذون بهذا المبدأ .

(٨) ما هى بعض أوجه الاختلافات السـياسية بين الشيوعية والديمقراطية ؟ .

فى ظل الشيوعية تنظر السلطة الحاكمة إلى الفرد باعتباره مجرد عامل للدولة — مجرد أداة فى الجهاز الحكومى للدولة — بينما تقوم الحكومة فى دولة ديمقراطية بأداء مهامها لمصلحة مواطنيها ، ويجرى تغييرها دورياً عن طريق انتخابات حرة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن السلطة الحاكمة فى دولة شيوعية تظل متربعة فى دست الحكم على الدوام باستثناء بعض التبديلات التى تتم فى الأفراد نتيجة للوفاة أو الصراع من أجل الاستئثار بالسلطة .

ويمنح المواطنون السوفييت حقوقاً وواجبات فى الدستور السوفيتى ، بيد أن ممارسة الفرد لهذه الحقوق يحد منها أو تصبح مقيدة بإرادة الدولة . فالديمقراطية حسب تعبير أبراهام لينكولن ، ما هى إلا حكومة « من الشعب وبواسطة الشعب وإلى الشعب » .

ويعتقد الشيوعيون أنه حتى يتم تحقيق النصر النهائى لطبقة العمال الكادحين أو البروليتاريا كما بشر بها ماركس وإنجلز ، فلابد من قلب الحكومات غير الشيوعية الموجودة فى الحكم ، وأنه لكى يتم لهم إدراك هدفهم هذا ، فإن الإلتجاء إلى أية وسيلة بمفردها أو جميع الوسائل مجتمعة ، من الأمور التى لها ما يبررها . كتب لينين فى هذا يقول : « ومن الأمور الحيوية جداً لأى حزب من الأحزاب الشيوعية أن يقوم بالجمع . بصورة متناسقة بين الأعمال الشرعية وغير الشرعية ، وبين التنظيم القانونى وغير القانونى» . وعلى هذا فإن أى حزب من الأحزاب الشيوعية فى أية دولة من الدول لا يمثل مجرد حزب سياسى آخر فحسب ، وإنما هو فى الحقيقة مؤامرة منظمة ضد السلطة الحاكمة فيها .

(٩) هل بدلت الشيوعية من أهدافها ؟

لقد أعلن المؤتمرون فى الاجتماع العشرين للحزب الشيوعى الاتحاد السوفيتى الذى عقد فى شهر فبراير عام ١٩٥٦ عن تبدل فى الألفاظ والأساليب ، ولكن ليس فى الأهداف النهائية له . وكان الاتجاه الجديد للحزب ، كما أعلن عنه رئيسه نيكيتا خروشوف، يصور تقبل الشيوعية لدى « جماهير العمال فى البلاد الرأسمالية » دون وجوب الإلتجاء بالضرورة إلى « أعمال العنف أو الحروب الأهلية » .

وكان خروشوف قد أعلن أن « الانتقال إلى الاشتراكية (الشيوعية) يمكن تحقيقه بالفوز بأغلبية برلمانية تساندها حركة جماعية ثورية من جانب طبقة العمال » . وهكذا نجد أن التوكيد فى الألفاظ قد تحول فى الوقت الحاضر من الاعتماد على أساليب العنف إلى مساندة الشيوعية للجبهات الشعبية الائتلافية السياسية (أنظر الفصل السادس عشر) .

وما الأعمال التى قامت بها الدهماء على نطاق واسع ، بتحريض من الشيوعيين واليساريين اليابانيين ، قبيل زيارة الرئيس أيزنهاور المقررة إلى طوكيو فى يونية عام ١٩٦٠ ، إلا مثالاً آخر من المبادىء الرئيسية للشيوعية — « التحدث عن السلام » ، بينما يقومون فى الوقت ذاته بالتحريض على ارتكاب أعمال العنف .

وبالإضافة إلى مناورات الشيوعيين السياسية، فإن أجهزة الحكم التابعة لهم تحتفظ دائماً بشبكة من الجاسوسية واسعة تمتد أطرافها إلى جميع أنحاء العالم .

وفى هذا المجال أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية فى ١٣ يونية عام ١٩٦٠ تقريراً جاء فيه بالحرف الواحد : « لقد تبين من إحصاء موثوق بصحته أنه يوجد داخل الكتلة الشيوعية والعالم الحر حوالى ٣٠٠٫٠٠٠

رجل مدرب، يقومون بتأدية خدماتهم فى إدارات المخابرات والأمن السبع والعشرين التابعة لدول الكتلة الصينية السوفيتية » .

هذا ، وقد جاء أيضاً فى تقرير الوزارة أن ١٣٠ شخصاً فى ١١ دولة من الدول الحرة ، منهم ١٣ شخصاً فى الولايات المتحدة نفسها ، قد صدرت ضدهم فى السنوات الأخيرة أحكام مختلفة لارتكابهم جريمة التجسس لصالح السوفييت ، وأن ٤٧ مسئولاً سوفيتياً قد تم طردهم من دول العالم الحر والأمم المتحدة بسبب قيامهم بأعمال التجسس والتخريب » .

(١٠) هل يوجد لدى الصين الشيوعية نوع مختلف من الشيوعية ؟

يختلف تطور الشيوعية فى الصين الشيوعية عنه فى الدول الأخرى الأعضاء فى الكتلة الصينية الشيوعية . ففى الواقع لقد انحرفت حكومة بكين عن القاعدة اللينينية التى تؤكد « الزعامة الثورية » لطبقة العمال الحضريين ، واستخدمت بدلاً من ذلك جماهير الفلاحين كقاعدة « لبناء الاشتراكية » (الشيوعية) .

وقامت حكومة بكين بتنفيذ مرحلتين من « الإصلاح » الزراعى قبل أن تشرع فى تطبيق برنامج ثالث أكثر فاعلية فى عام ١٩٥٨ — وهو نظام « الكوميونات » . ففى المرحلة الأولى صودرت الأرض من ملاكها وقسمت إلى قطع صغيرة وزعت على المعدمين من أجراء المزارع والفلاحين . وفى المرحلة الثانية تم تجميع هذه الوحدات الصغيرة إلى مزارع جماعية أو « جمعيات تعاونية للعمل » تشبه إلى حد ما نظام المجموعات السوفيتية . ووفقاً لهذا البرنامج ما زال الفلاحون يستطيعون ادعاء ملكية حصة فى هذه المجموعات ، وسمح لهم بالاحتفاظ بأدواتهم وممتلكاتهم الشخصية ، وتركت القرى التقليدية سليمة على حالتها ، ولم يجر أى تغيير أساسى فى الحياة الخاصة بالأسرة .

وفى عام ١٩٥٨ أعلن نظام الحكم فى بكين عن البدء فى حملة واسعة النطاق لتحقيق «قفزة عظيمة إلى الامام» وتأسيس مايسمى بالكوميونات، وألغيت جميع آثار مسوغات ملكية الأرض، وتم القضاء على عدد كبير من القرى وحلت مكانها المبانى التى تشبه الشكنات وتستوعب المئات من الأسر، وأصبحت الأمتعة والأثاث والمنقولات الشخصية ملكاً للكوميونات، كما أصبح الآن العدد الأكبر من قطع الأرض والناس الذين يكونون الكوميونات تحت السيطرة القاسية لسلطات الكوميونات التى تتسلم تعليماتها من الحزب الشيوعى الصينى. (أنظر أيضا الفصل الرابع والعاشر).

ولم يبد زعماء السوفييت فى موسكو أى حماس لنظام الكوميونات مع أنهم يسلمون بحق بكين فى أن تتبع الطريق الذى يحلو لها نحو تحقيق الإشتراكية.

الفصل الثاني

نظام الحكم الشيوعي

(١) كم شيوعياً يوجد فى الاتحاد السوفيتى ؟

إن عدداً يقل عن ثمانية ملايين شخص أو حوالى ٤ فى المائة من سكان الاتحاد السوفيتى البالغ عددهم ٢١٠ مليون نسمة ، هم أعضاء فى الحزب الشيوعى السوفيتى . وهناك أيضاً عدد كبير من الشباب ممن تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة — حوالى ١٨ مليون شخص — ينتمون إلى جماعة الشباب الشيوعى أو الكومسومول ، وهى هيئة تغرس فى عقول الشباب السوفيتى تعاليم النظرية الشيوعية وممارستها . كذلك هناك الملايين من المواطنين السوفييت الذين تقبلوا الشيوعية لأنهم لم يعرفوا غيرها من النظم وتدربوا على ألا يجادلوا فى مبادئها .

وينضم الكثيرون من أعضاء الحزب الشيوعى والكومسومول إلى هذه الهيئات الشيوعية ، إما لاستخدامها بصفة رئيسية كأداة للحصول على وظائف أكثر ملاءمة لهم ، أو لتحقيق آمالهم المستقبلة فى الميدان السياسى . ولقد انضم إلى الحزب الشيوعى — فى الدول الشيوعية التى ظهرت حديثاً — عدد كبير جداً من الإنتهازيين والأشخاص الذين لا هم لهم سوى تكوين مستقبلهم ، حتى إن معظم الأحزاب الشيوعية فى البلدان التابعة للاتحاد السوفيتى قد تم « تطهيرها » بتخفيض عدد أعضائها . أما فى الدول الدائرة فى فلك الاتحاد السوفييتى فإن الأغلبية الساحقة من الأهالى ليسوا بشيوعيين .

(٢) هل يسمح لمن هم غير شيوعيين فى الاتحاد السوفييتى ، بأن يعربوا عن معتقداتهم السياسية فى الاشتراكية والديمقراطية وغيرها من النظم ؟

يحرم القانون الجنائى للاتحاد السوفيتى تأييد أية مبادىء سياسية بخلاف الشيوعية ، ويعتبر القيام بمثل هذا التأييد جرماً جنائياً . وقد توجه لمن يقع

تحت طائلة نصوص هذا القانون تهمة القيام بأعمال ضد الثورة أو الدولة . وحتى زعماء الشيوعية المشهورون، أمثال أولئك الذين كانوا ضحية محاكمات التطهير ، الدموية فى عامى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ وغيرهم من المدافعين عمن أتوا بعدهم ، جرت محاكمتهم وتم إعدامهم بموجب هذه النصوص وعلى هذا الأساس .

ولقد استنكر زعماء موسكو الحاليون محاكمات التطهير هذه باعتبارها عملاً من أعمال ستالين وأطلقوا سراح بعض المسجونين السياسيين الذين صدرت ضدهم الأحكام فى السنوات الثلاثينية من هذا القرن ، وردوا الاعتبار لغيرهم بعد وفاة والديهم ، وفى الوقت ذاته أعلنوا جلياً أنه لا يمكن لأية مبادىء خلاف الشيوعية أن تنتشر فى الاتحاد السوفيتى .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد قاموا إلى حد ما برد الاعتبار إلى الشخصيات السياسية الذين كانت قد صدرت ضدهم الأحكام فى الدول التابعة للاتحاد السوفيتى .

(٣) أصحيح أن العمال فى ظل النظام الشيوعى يقومون بتسيير أمور الدولة ؟ .

كلا . فالواقع أن الحكام الحقيقيين للشعب فى الاتحاد السوفيتى هم أعضاء اللجنة المركزية الصغيرة العدد — ولكنها ذات سطوة شاملة — التابعة للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى . ومن هذه الجماعة تصدر التوجيهات والقرارات السياسية التى ترشد الحزب نفسه . كما أن سياسات وبرامج الحزب تنقل إلى الهيئات التشريعية والإدارية ، ومن ثم يتم تنفيذها من جانب البيروقراطية (أو جهاز مركز السلطة) على أى مستوى من مستويات الحكومة .

ولقد قال ستالين فى عام ١٩٢٦ : «إن ديكتاتورية البروليتاريا - أو طبقة العمال الكادحين — لا تتم من تلقاء نفسها ، وإنما تتولاها بصفة رئيسية قوات الحزب التى تتلقى تعليماتها منه » . ولقد قال أيضاً : «لا يتم البت فى أية مسألة واحدة من المسائل الهامة أو التنظيمية من جانب أى مجلس سوفيتى أو أية هيئة جماعية أخرى ، دون الرجوع إلى إرشادات الحزب » . وهذا المبدأ يطبّق بحذافيره فى الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى .

وعلى الحزب الشيوعى فى جميع البلاد الشيوعية الأخرى ، أن يقوم بدور مماثل لذلك الدور الذى يقوم به الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى . أما فى الدول الدائرة فى فلك الاتحاد السوفيتى فإن الأحزاب الشيوعية القومية « تتلقى إرشاداتها » من الحزب الشيوعى السوفيتى نفسه .

فالعمال أو الكادحون (أو طبقة البروليتاريا) — وهم الجمهرة العظمى من السكان — فى جميع البلاد الشيوعية ، هم أولئك الذين يقومون بإنجاز الأعمال الضرورية للدولة ، بتوجيه من الحزب الشيوعى المتألف من طبقة البيروقراطيين .

(٤) هل حقيقة توصل الشيوعيون إلى تحقيق مجتمع بلا طبقات ، أو ذى طبقة واحدة ؟ .

كان المفهوم من « الثورة البروليتارية » إلغاء الطبقات ، والتوصل إلى إيجاد « مجتمع بلا طبقات » . ومهما يكن من أمر فإنه توجد فوارق طبقية متينة فى جميع البلاد الشيوعية — بصرف النظر عن دساتيرها — قائمة على أساس نوع العمل أو الخدمة التى يؤديها الشخص وعلى مرتبته فى النظام البيروقراطى أو خدماته العسكرية . فهناك فوارق كبيرة جداً بين المسئولين الشيوعيين الكبار فى درجاتهم ، والإداريين والضباط الذين يحتلون مراكز

عالية ، وغيرهم من أعضاء الطبقة الحاكمة ، وبين أفراد الطبقة المتوسطة البيروقراطية والعاملين فى الخدمات العسكرية . كذلك توجد فوارق كبيرة بين مديرى المصانع ورؤساء المزارع الجماعية والمهنيين (كالمحامين والأطباء والأساتذة والعلماء ورجال الفن البارزين) ومديرى الشركات والمشروعات الأخرى التابعة للدولة ، وبين العمال والفلاحين العاديين .

وهذه الفوارق الطبقية تتمثل فى مستويات الدخول والميزات التعليمية وغيرها من الميزات ، ومع ذلك فإن عدد أولئك الذين يتمتعون بامتيازات من حيث مراكزهم فى الدولة لا يزيد عددهم عن عشرة فى المائة من مجموع عدد السكان فى الاتحاد السوفيتى .

(٥) كيف تتحقق إدارة سياسة الحكومة فى البلاد التى تسيطر عليها الشيوعية ؟ .

تتركز السلطة الحقيقية للحكومة ، بالنسبة لوضع السياسة وتنفيذها ، فى الحزب الشيوعى الذى تهيمن عليه اللجنة المركزية . ومهما يكن من أمر فإن دساتير الدول الشيوعية ، وجميعها تستمد أصولها من الدستور السوفيتى ، تهيىء جهازاً محكماً من الحكم .

فالدستور السوفيتى لعام ١٩٣٦ مثلاً ، أنشأ مجلساً سوفيتياً أعلى أو مجلساً تشريعياً مكوناً من مجلسين : أحدهما يمثل جميع السكان ، والآخر يمثل جمهوريات الاتحاد (مجلس القوميات) .

وهذا الدستور ينص على إجراء انتخابات مباشرة عن طريق الاقتراع السرى . ولكن على الناخب أن يختار ممثله من قائمة واحدة من المرشحين . ولكى يسجل الناخب معارضته يتحتم عليه أن يتوجه علانية إلى مكتب مقام

خصيصاً لشطب أى إسم من الأسماء المعترض عليها . إن السرية مفقودة فى الانتخابات السوفيتية .

وبالإضافة إلى ذلك يمكن القول بأن المجلس السوفيتى الأعلى لا يعتبر أكثر من كونه أداة بصم . فى أثناء انعقاد جلساته التى تستغرق فى المتوسط خمسة أيام ، يقوم أعضاؤه بالتصويت بالموافقة على إجراءات يكون قد أعدها لفيف من الجماعة الحاكمة من الداخل . كذلك لا يسمح لأعضاء هذا المجلس بإبداء أية معارضة أو أى اعتراض حقيقى ، على الرغم من أنه يباح لهم فى الوقت الحاضر الدخول فى بعض المناقشات .

والمجلس السوفيتى الأعلى هو الذى يقوم بانتخاب الإثنين والأربعين عضواً الذين يكونون اللجنة الدائمة للحكومة السوفيتية التى تتمتع أثناء فترات انعقاد اجتماعات المجلس السوفيتى الأعلى بسلطة إصدار المراسيم ، وتفسير القوانين ، وعقد الإجتماعات للمجلس السوفيتى الأعلى أو حلّـه وتعيين المسئولين وعزلهم . ويعتبر رئيس اللجنة الدائمة للحكومة السوفيتية إسميا رئيس الاتحاد للجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، ولـكن منصبه هذا هو فى الواقع أقل أهمية بكثير من منصب كل من رئيس الوزراء أو سكرتير الحزب الشيوعى .

ومجلس الوزراء هو أعلى هيئة تنفيذية وإدارية فى الاتحاد ، والمراسيم التى يصدرها لها فاعلية القانون . أما لقب خروشوف الرسمى ، فهو رئيس مجلس الوزراء .

وحتى عام ١٩٤٠ كان الاتحاد السوفيتى يتألف من ثلاث عشر جمهورية . وفى ذلك العام استخدمت القوة ضد الجمهوريات الثلاث المستقلة الواقعة فى بحر البلطيق ، وهى لاتفيا وليتوانيا وأستونيا ، وأدمجت فى الاتحاد السوفيتى كجمهوريات قائمة بذاتها تابعة للاتحاد . والجمهوريات التابعة للاتحاد السوفيتى لها من حيث المبدأ نظام حكومى يشبه ، فى كثير من

نواحيه ، نظام الاتحاد السوفيتى فى جملته ، ولكن هذه الحكومات تابعة تماماً للحكومة المهيمنة على جميع دول الاتحاد ، على الرغم من أنها قد منحت المزيد من الحكم الذاتى .

وفى اجتماع مجلس السوفييت الأعلى الذى عقد فى يوليو عام ١٩٥٦ ، طالبت جمهورية كاريلو الفنلندية الشيوعية السوفيتية ، بأن يتحول كيانها السياسى إلى جمهورية تتمتع بالحكم الذاتى داخل إطار الجمهورية السوفيتية الروسية ، وبذلك أصبح عدد جمهوريات الاتحاد السوفيتى خمس عشرة جمهورية .

ولقد نصت التعديلات التى أدخلت على دستور السوفييت ، الذى تمت المصادقة عليه فى عام ١٩٤٤ ، على أن « لكل جمهورية فى الاتحاد الحق فى إقامة علاقات مباشرة مع الدول الأجنبية وعقد اتفاقيات وتبادل ممثلين معها » ، كما نصت على أن يكون « لكل جمهورية اتحادية جيشها الخاص بها » . وهذه التعديلات لم تكن سوى حبر على ورق ، فيما عدا أن لكل من جمهورية أوكرانيا وجمهورية روسيا البيضاء ممثلاً فى الأمم المتحدة .

والقوانين التى يوافق عليها مجلس السوفييت الأعلى وكذلك المراسيم التى تصدر من جانب اللجنة الدائمة ومجلس الوزراء ، ترسل إلى الجمهوريات الأعضاء فى الاتحاد ، ومن ثم توضع موضع التنفيذ بواسطة أجهزة إدارية ، مبتدئة من الأجهزة الإقليمية إلى الأجهزة المركزية .

(٦) كيف تمارس الرقابة الحكومية فى ظل الحكم الشيوعى ؟

إن العنصر الرئيسى لمراقبة المسئولين وجميع المواطنين الآخرين فى الاتحاد السوفيتى هو الحزب الشيوعى نفسه ، إذ أن مركزه من حيث

الأولوية مكفول بالمادة المائة والسادسة والعشرين من الدستور التى تنص :

« على جميع المواطنين الأكثر نشاطاً والأكثر وعياً ، من الوجهة السياسية ، الموجودين فى صفوف طبقة العمال وغيرها من الطبقات الكادحة ، أن يتحدوا فى الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى (الحزب البلشفى) ، الذى هو طليعة الطبقة العمالية فى كفاحها من أجل تعزيز وتطوير النظام الاشتراكى ، والعصب الحيوى لقيادة جميع منظمات الطبقة العاملة سواء أكانت شعبية أم حكومية » .

ومع أن الدستور يصرح بأن الحزب الشيوعى يعد جميع منظمات الطبقة الكادحة « بعصب القيادة الحيوية » ، بيد أن هذا الأمر لم يتم تحقيقه سوى فى الآونة الأخيرة . فعلى سبيل المثال ، كان الحزب الشيوعى طوال الأعوام الثلاثينية من هذا القرن ، ممثلاً تمثيلاً كبيراً فى المناطق الحضرية ، ولم يكن ممثلاً إلا تمثيلاً ضئيلاً فى المناطق الريفية . ومهما يكن من أمر فإن المرء ليجد اليوم ممثلين للحزب على جميع المستويات فى جميع المنظمات ، إبتداء من أعظم منظمة حتى المصنع الفردى والمزرعة الجماعية ، وأن هؤلاء الممثلين الذين هم أعضاء فى الحزب الشيوعى يكونون كتيبة من علية القوم ، الذين يقومون بالإشراف على تنفيذ المشروعات والسياسات الإجمالية إشرافاً مباشراً .

وتضم اللجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى جماعة أقل عدداً تسمى فى روسيا « البريزيديوم presidium » ، أو البوليتبيرو « politburo » فى بعض البلاد الأخرى . والبريزيديوم هو الذى يقوم بصفة عامة بإصدار القرارات للجنة المركزية والحزب ، بيد أنه حدث فى بعض الأحيان أن رفضت قراراته من جانب اجتماع عقد للجنة المركزية بكامل أعضائها الذين يزيدون على مائة عضو .

واللجنة المركزية لجنة دائمة ـ بصورة أوتوماتيكية ـ بالرغم من أن أعضاءها يتغيرون نتيجة لخاصمات تحدث فى داخل الحزب أو لعوامل أخرى . وحيث أنه لا توجد إجراءات ديمقراطية حقيقية فى ظل الحكم الشيوعى ، فإن « الارتقاء » فى القيادة العليا يعتمد على مايسفر عليه الصراع على السلطة فى داخل الحزب . فستالين وصل إلى ممارسته السلطة المطلقة عن طريق تطهيرات اتخذت خبط عشواء (عام ١٩٣٦ — عام ١٩٣٨) . وبعد وفاة ستالين قام نيكيتا خروشوف سكرتير الحزب ، فنصب نفسه تدريجياً فى مركز القيادة فى الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى ، وفى عام ١٩٥٧ طرد منافسى حزبه وعين محلهم أعضاء من أنصاره ، ثم دمغ هذه الجماعة بمناهضة الحزب . وهذه الجماعة تشمل مالينكوف العضو البارز فى الحزب سابقاً ، ومولوتوف ، وكاجانوفتش ، كما تشمل شبيلوف وزير الخارجية السابق ، وبولجانين رئيس الوزراء السابق .

وهناك وكالة ثانية من وكالات الرقابة الهامة ، وهى لجنة الأمن للدولة التى تقوم بتقديم تقاريرها إلى مجلس الوزراء رأساً . وتشمل اختصاصات هذه اللجنة أعمال التجسس على رجال المخابرات ، وكذلك القيام بأعمال التحريات والجاسوسية فى الخارج ، ومراقبة رجال البوليس السرى المحلى ورجال المباحث . وكان أن حظيت لجنة أمن الدولة هذه بمكانة ممتازة ، وأصبحت تتمتع بالأفضلية على وزارة الشئون الداخلية السابقة التى ألغيت فى يناير عام ١٩٦٠ .

ويقوم جهاز البوليس السرى بالاستقصاء عن الأمور المتعلقة بأى منظمة من المنظمات فى المجتمع السوفيتى ، مبتدئاً من العمارة والمصنع فى المدينة إلى مكاتب جمهوريات الاتحاد ، وكذلك الوزارات المركزية . والاعتقال من جانب لجنة أمن الدولة معناه الحكم بثبوت الجرم . وتحتفظ اللجنة كذلك بشبكة من المخبرين فى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى . وعلى الرغم

من أن الرقابة التى يفرضها البوليس والاعتقالات التعسفية هى الآن أقل مما كانت عليه فى الماضى ، بيد أن نشاطها يمكن إعادته فى أى وقت من الأوقات .

وهناك كذلك أنواع أخرى من الرقابة ، منها النظام السوفيتى للمراقبات المالية التى هى من مسئوليات وزارة رقابة الدولة . والوزارة الأخيرة تقوم بالإشراف على ممتلكات الدولة ومراقبة مصروفات أموالها ومراجعة إنجاز مشروعاتها وبرامجها ، ولها موظفون منتشرون فى كل جهاز من الأجهزة الإدارية للدولة .

(٧) ما الهدف من جهاز البوليس السرى الشيوعى ، وكيف يعمل ؟ .

إن أول هدف يرمى إلى تحقيقه جهاز البوليس السرى ، هو ضمان حماية ووجود حكومة الحزب الشيوعى على الدوام . ومنذ عام ١٩١٨ فصاعداً أصبح جهاز البوليس السرى قوياً لدرجة عظيمة وهاماً بالنسبة للنظام السوفيتى إذ أنه قد بث رجاله فى كل قرية ومصنع ومكتب من مكاتب الحكومة ووزارة من وزارتها ، وعين له عملاء معتمدين تحت قيادة مستقلة فى داخل خدمات الجيش .

وفى السابق كان يرأس لجنة أمن الدولة الجنرال إيفان سيروف الذى يقرن إسمه وحملة الإرهاب التى شنها البوليس فى دول البلطيق والمجر . وفى عام ١٩٥٨ عزل سيروف ، وعين بدلاً منه الكساندر شيليبين ، الذى كان قد لعب دوراً عظيماً فى أوجه نشاط الشباب الشيوعى باعتباره رئيس الكومسومول (أنظر الفصل التاسع) .

والسلطة الإدارية لوزارة الشئون الداخلية السابقة كانت مسئولة عن سلطات المعاقبة وعن الميليشيا (الشرطة المدنية) ، وعن بعض المراحل التى تشتمل على الأمن . أما معسكرات السخرة (أنظر الفصل الثالث) ، فكان

يديرها لمدة طويلة أحد الأقسام التابع لوزارة الشئون الداخلية المنحلة . وفى عام ١٩٥٣ تم نقل بعض مظاهر أعمال السخرة إلى وزارات إقتصادية. وعندما انحلت وزارة الشئون الداخلية السابقة فى عام ١٩٦٠ ، نقلت أعمالها إلى وزارات جمهوريات الاتحاد .

(٨) ما هى الطرق الخاصة التى يستخدمها البوليس السرى ، فيما يتعلق بحملات الاعتقال ؟

إن الإجراء المستعمل فيما يتعلق بحملات الاعتقال وضع خصيصاً لإلقاء الرعب والإرهاب فى قلوب المتهمين . فى معظم الأحيان يقوم رجال البوليس السرى بتوجيه الأسئلة إلى المتهم أثناء ساعات الليل ، ويجرى التحقيق معه على افتراض أنه مذنب ، ومن ثم فإن الموظف القائم بالتحقيق يسعى لإبتزاز « اعتراف » من السجين وإرغامه على الإفشاء بأسماء المشتركين معه فى ارتكاب الجرم .

وتمشياً مع السياسة « التحررية » التى أعلنتها قيادة السوفييت ، قلل الحزب الشيوعى للاتحاد من السلطات التى يتمتع بها بوليس الاتحاد ، وزاد الإجراءات القضائية العادية ، ولكن جهاز البوليس السرى الرهيب لا يزال موجوداً . وعلى الرغم من أن وجود عملاء البوليس ليس ملحوظاً كما كان عليه فى الأعوام السابقة ، بيد أنه لا بد للمواطنين السوفييت من أن يكونوا حذرين فى اتصالاتهم الاجتماعية بالسياح (أنظر الفصل السابع) .

أما فى البلاد الدائرة فى فلك الاتحاد السوفيتى، فهناك درجات متفاوتة من الرقابة البوليسية ، أسوأ ما نعلم عنها ، تلك الظروف التى تسود بلاد المجر . وفى الصين الشيوعية تعتبر الأعمال البوليسية أحسن بكثير من تلك التى كانت سائدة فى الاتحاد السوفيتى حتى فى عهد ستالين . فهناك شبكة شاملة

من رجال المباحث غير الرسميين، يقومون بإرسال تقاريرهم إلى البوليس، وهم متغلغلون فى كل جزء من أجزاء الدولة ، حتى فى كل مصنع ومدرسة وكوميون وعمارة سكنية فى المدن .

(٩) هل تبقى الحكومة فى دولة من الدول الشيوعية فى الحكم إلى ما لانهاية ؟

طالما يستطيع الحزب الشيوعى ، الذى يقوم بإدارة حكومة تابعة له ، السيطرة سيطرة تامة على القوات المسلحة والبوليس السرى وجميع وسائل المواصلات ، ولا يسمع الجمهور سوى صوته هو ، فإنه يتمكن من كبت جميع المعارضين له كبتاً تاماً ، ومن ثم يظل متربعاً فى دست الحكم .

(١٠) ما هى علاقة الحزب الشيوعى بالبوليس السرى ؟

لقد قامت قيادة الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى ببذل كل جهد مستطاع لتحول دون أن يصبح البوليس السرى قوة منافسة فى الدولة ذات السلطة المطلقة .

وتتحقق تبعية البوليس السرى (لجنة أمن الدولة) لهيئة الحزب المركزى عن طريق أجهزة متعددة . فأفراد البوليس السرى يطلب إليهم أن ينضموا إلى عضوية الحزب ، وأمناء أسرار هيئة الحزب فى جهاز البوليس السرى، هم بمثابة الأعين والآذان للجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى ، كما أن هناك جماعات خاصة تابعة للجنة مراقبة الحزب تقوم بمهمة الإشراف على البوليس السرى .

وعندما يرسل المواطنون السوفييت — من شباب ورياضيين وفرق ثقافية إلخ — فى رحلات لخارج الاتحاد السوفيتى ، يشترك عملاء البوليس السرى مع جهاز الحزب فى مراقبتهم ،والحيلولة دون هروبهم ، ولتحديد

اتصالاتهم بالأجانب . فعلى سبيل المثال عند ماعقد مهرجان الشباب الدولى فى فينا بين شهرى يوليو وأغسطس عام ١٩٥٩ ، عزلت جميع وفود الشباب التابعة للكتلة السوفييتية فى ثكنات خاصة ، ومنع أعضاؤها من الإجتماع بحرية مع أعضاء وفود الدول غير الشيوعية .

(١١) هل يحق للشعب فى البلاد الشيوعية الإحتجاج على قوانين ولوائح الحكومة ؟

إن لأفراد الشعب فى الاتحاد السوفيتى الحق فى الاحتجاج على الطرق التى تنفذ بها القوانين واللوائح ، وليس على المراسيم أو القرارات الخاصة بالسياسة . وتعرف مثل هذه الاحتجاجات المسموح بها « بالنقد الذاتى » ويشجعه الحزب الشيوعى السوفيتى ، باعتباره وسيلة للضغط على المسئولين المحليين .

ويشجع كذلك « النقد الذاتى » بغرض تهيئة منفذ لشكاوى وكبت المواطنين ، وبالتالى تحويل النقد بعيداً عن الزعماء وتوجيهه نحو المستويات الدنيا من الموظفين والعمال التابعين للحزب .

(١٢) هل تجرى انتخابات عامة أو غيرها من الإنتخابات فى البلاد الشيوعية ؟

تجرى أحياناً انتخابات محلية وإقليمية وعامة فى البلاد الشيوعية ، حيث يكون الاقتراع فعلاً إجبارياً . وتدل التقارير الرسمية الخاصة بالانتخابات التى تجرى وفقاً للنظام الإنتخابى ذى القائمة الواحدة بصفة دائمة ، على أن النصر يكون دائماً حليف حزب الحكومة (الشيوعى) بنسبة ٩٧ فى المائة أو أكثر .

وفى جميع الإنتخابات سواء أكانت خاصة بالمسئولين فى نقابات

العمال ، أم بالانتخابات العامة ، يسعى الشيوعيون مجتهدين للحصول على إجماع الآراء الواضح وبذا يتخلصون من إبداء أي اقتراح مخالف أو أي اعتراض .

أما الانتخابات فى الدول الشيوعية فإنها مرسومة بحيث توهم بأن جميع سياسات الحكومة إنما تحظى بالتأييد الشعبي وتوهم المواطنين بأنهم يقومون بدور فعال فى الحكومة مع العلم بأنهم فى الواقع لا يملكون أية رقابة عليها .

(١٣) هل يحب الشعب فى البلاد التى يسيطر عليها الشيوعيون النظام الشيوعى بصفة عامة ؟

تدعى الدعاية الشيوعية أن النظام الشيوعى يحظى بالتأييد حيثما وجد . ولقد شب فى الاتحاد السوفيتى جيل لاخبرة له بأى نظام حكومى آخر ، وتعلم أن يستنكر جميع أنظمة الحكم الأخرى .

وأعظم اتهام يلفت الأنظار بحق ويمكن توجيهه إلى الشيوعية هو أنه منذ قيام الثورة البلشفية فى عام ١٩١٧ كان هناك الملايين من الناس ممن سعوا للهروب من نير الشيوعية . ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية فقط بلغ عدد الأشخاص الذين تمكنوا من الفرار من البلاد التابعة للكتلة السوفيتية الصينية أكثر من إثنى عشر مليون نسمة .

(١٤) هل قامت ثورات فى البلاد الأوروبية التى يسيطر عليها الشيوعيون ؟

منذ عام ١٩١٨ نشبت ثورات عديدة ضد الحكم الشيوعى فى اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية . وبعد وفاة ستالين فى عام ١٩٥٣ ، بلغت المقاومة ضد النظام الشيوعى فى ثلاث دول تابعة للاتحاد السوفيتى حداً

تطورت معه إلى ثورة قومية . وفى أعقاب تمرد شعبى حدث فى القطاع السوفيتى من مدينة برلين فى ١٧ يونيه ١٩٥٣ ، إجتاحت الإضرابات والاضطرابات جميع أجزاء جمهورية ألمانيا الشرقية التى يسيطر عليها الشيوعيون ، كما اجتاحت مناطق أخرى من أوروبا الشرقية .

وفى الفترة بين ٢٨ و ٣٠ يونيه عام ١٩٥٦ ، حدثت فتنة أخرى مثيرة فى مدينة بوزنان ببولندا قام بها العمال من تلقاء أنفسهم وكانوا يهتفون مرددين شعارهم « نريد الخبز والحرية ! » . وما أن اقتحم المتمردون مقر الحزب الشيوعى ودار البلدية والسجن المركزى واحتلوها ، حتى تحولت الفتنة إلى ثورة أخمدتها فرقتان عسكريتان من فرق مصفحات الجيش البولندى الذى يسيطر عليه السوفييت . وبعد أن أخمدت الثورة قام رجال الجند والبوليس باعتقال عدد كبير من المشبوهين باشتراكهم فى التحريض على الثورة .

وفاقت الثورة المسلحة التى بدأت فى مدينة بودابست بالمجر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦ الثورات التى نشبت فى برلين الشرقية وبوزنان من حيث حدتها وعدد الإصابات .

وكانت الثورة المجرية قد قامت نتيجة سلسلة من الإحتجاجات والمظاهرات قام بها الشباب ووصلت ذروتها فى ٢٢ أكتوبر عند ما احتشد الآلاف من الطلبة التابعين لثلاث جامعات لمطالبة الحكومة بوضع حد لعلاقاتها مع موسكو ومنح معظم الحريات التى تتمتع بها الديمقراطيات الغربية .

وكان أن انضمت أعداد كبيرة من العمال وغيرهم من المواطنين إلى الطلبة فى أعمال المشاغبة التى شلت حركة المدينة . وما أن جاء يوم ٢٤ أكتوبر حتى كانت البلاد بأسرها قد استجابت إلى النداء الذى يدعو إلى قيام ثورة

وطنية ضد الاحتلال الشيوعى . وفى ٢١ أكتوبر أذاعت موسكو أنها كانت « تبحث صواب » سحب جيوش الاحتلال ، ولكن بعد ذلك بثلاثة أيام ودون سابق إنذار، قامت ثلاث فرق من فرق الدبابات السوفييتية بالتدفق إلى داخل بلاد المجر وسحقت ثورة الشعب دون رحمة منها .

(١٥) هل حدثت ثورات فى الصين الشيوعية ؟

لقد نشبت ثورات محلية متعددة ضد نظام الحكم الصينى الشيوعى ، ولكن أطول ثورة كانت قد بدأت فى التبت فى عام ١٩٥٠ ، كسلسلة من تمرد القبائل ضد بكين بسبب إسكان عدد من الصينيين الغرباء فى الأراضى التى كانت تسكنها القبائل دائماً . وبعد حوالى ثمانى سنوات من حرب العصابات فى أماكن متفرقة ، بلغ التمرد ذروته فى مارس ١٩٥٩ ، حينما كان الزعيم الزمنى والروحى للتبت الدالاى لاما قد صدرت إليه الأوامر بالتوجه والمثول أمام القائد العسكرى الصينى الشيوعى غير مصحوب بأتباعه . وكان هذا الطلب المهين المشئوم قد أغضب الرهبان البوذيين الذين سرعان ما حملوا السلاح وتزعموا ثورة شعبية ضد قوات الصين المحتلة .

وفى ١٧ مارس عام ١٩٥٩ هرب الدالاى لاما بصحبة حرس من «لاهسّا» ، عاصمة التبت، متوجهاً إلى الهند حيث وصل إليها بعد شهر تقريباً . وفى هذه الأثناء اشتعلت الثورة حتى انتشرت فى جميع أجزاء التبت . وبعد أشهر من القتال العنيف أخمدت الثورة من جانب القوات المسلحة التابعة للصين الشيوعية التى حولت معظم أديرة الرهبان البوذيين إلى خرائب وقامت باضطهاد شعب التبت اضطهاداً وحشياً .

الفصل الثالث

الشيوعية وطبقة العمال

(١) اصحيح أن الشيوعيين يسعون لإقامة دولة بروليتارية ؟ .

يزعم الشيوعيون أن هدفهم الأساسى ، هو إقامة مجتمع بلا طبقات . ولقد قال ماركس وإنجلز فى عام ١٨٤٨ فى هذا الشأن :

« ستكون الخطوة الأولى فى ثورة طبقـــة العمال ، هى الارتقاء بالبروليتاريات إلى مكانة الطبقة الحاكمة وذلك للفوز بمعركة الديمقراطية » . ولكن ستالين صرح فى عام ١٩٣٦ : « لم يعد هناك طبقة رأسماليـة (فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية) ، تستطيع استغلال طبقة العمال . . . وما دام الأمر كذلك ، فهل يمكن أن تسمى طبقتنا العاملة « البروليتاريات» ؟ من الواضح أنه لا يمكن تسميتها كذلك » .

وعلى أية حال فما زال المتحدثون ورجال الدعاية الشيوعيون يتكلمون عن « ديكتاتورية البروليتاريات » فى الدول الشيوعية . والواقع أنهم إنما يتحدثون عن ديكتاتورية الحزب الشيوعى .

وإذا كان هناك من فوائد فى المجتمع الشيوعى فى وقتنا الحاضر، فإن من يتمتع بهذه الفوائد ليست طبقة « البروليتاريات » وإنما الطبقات التى لها امتيازات أمثال البيروقراطيين أو المسئولين الشيوعيين الذين يسيطرون على الدولة ويديرون أمورها ، وعلية القوم من أفراد الطبقة المستنيرة ، وطائفة الضباط العسكريين . إن تكوين الطبقات ما زال متيناً كما كان عليه فى عهد القياصرة الروس .

(٢) ما هى الجماعات التى تكسب أكبر دخل فى الدولة الشيوعية ؟

يحصل كبار المسئولين فى الحكومة وكبار رجال الجيش ومديرو المشروعات الكبرى فى الدولة ومشاهير العاملين فى ميادين المسرح والفنون

الأخرى والعلوم على دخول جيدة ويعيشون عيشة طيبة .

أما أولئك الذين يقومون بإنجاز الخدمات البيروقراطية أو الإدارية فإنهم يحصلون على مرتبات لا بأس بها ، كما أن العمال الصناعيين المتفوقين في المهارة والذين يعملون فى الصناعات المفضلة يحصلون على أجور مناسبة يتم تقديرها حسب القطعة الواحدة المنتجة على أساس تنافسى تماما . وأما الجمهرة العظمى من السكان السوفييت ، وهم العمال والفلاحون العاديون ، فيحصلون على أجور ضئيلة ، إن معظم الناس الذين هم تحت حكم الشيوعية لابد لهم من العمل المتواصل ، كل فرد فى الأسرة من الكبار والقادرين على العمل، ليعيشوا عيشة الكفاف .

(٣) هل يستطيع الناس فى البلاد الشيوعية اختيار العمل ، الذى يعتقدون أنه يناسبهم أكثر من غيره ؟

إن مجال اختيار العمل فى البلاد الشيوعية ضئيل جداً . وفى روسيا السوفيتية يبدأ التدريب على الأعمال فى سن مبكرة ، وقد لا يسمح إلا للقلة من الناس بتغيير حرفهم أو مهنهم فيما بعد . وتخرج الحكومة على هذه القاعدة عند ما تكون البلاد فى حاجة « لمتطوعين » . ومثال ذلك ما حدث من إرسال الآلاف من الشباب « المتطوعين » من المراكز الحضرية إلى الأراضى البور الجرداء فى آسيا الوسطى ، ليعملوا فى الأرض التابعة للدولة التى كانت تحرث لأول مرة .

ووفقاً لمرسوم سوفيتى صدر أخيراً ، قد يستطيع عامل أن يغير عمله بعد أسبوعين من إخطاره صاحب العمل . فإذا ما انتقل إلى عمل جديد فإنه يفقد حق الأقدمية المكتسب كما يفقد جميع الإجازات المستحقة له ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يحرم من جميع مزايا التأمين الصحى طوال مدة الستة الشهور الأولى . ولا توجد هناك أية دلالة تشير إلى أن العمال

لن يجندوا إجبارياً للعمل ، حيثما تدعو الحاجة إليهم ، كما حدث فى آسيا الوسطى وغيرها من المناطق .

(٤) هل تحدث إضرابات فى الاتحاد السوفيتى ؟

إن العمال ليسوا ممنوعين على وجه التحديد من القيام بإضرابات ، ولكن المضربين يعاقبون بشدة لأسباب أخرى مثل «التخريب الاقتصادى» أو « التغيب » أو « القيام بأوجه نشاط مناهض للثورة » . والإضراب محظور عملياً «لأن العمال يملكون جميع وسائل الإنتاج ، ولذلك فلا يمكنهم أن يضربوا عن العمل ضد أنفسهم » .

وهذا المنطق باطل . فالدولة هى التى تملك وسائل الإنتاج ، وتقرر عدم القيام بأية معارضة أو أى إضرابات أو أى نوع من أنواع الاحتجاج . ومع ذلك فقد حدثت إضرابات فى أوروبا الشرقية لا سيما فى بلاد المجر فى شهر نوفمبر عام ١٩٥٦ .

(٥) فى أية ناحية تناهض الشيوعية أفضل مصالح طبقة العمال ؟ .

عندما يسعى الشيوعيون فى البلاد غير الشيوعية إلى السيطرة على الحركة العمالية ، أو على أى نقابة من نقابات العمال ، فإن مصلحتهم الرئيسية لا تكون فى كسب مزايا اقتصادية فى عضويتها فحسب ، وإنما فى استخدام هذه النقابات العمالية لأغراض سياسية . فحينما يتسلم الشيوعيون زمام السلطة يشرعون فى تقويض أركان قيادة النقابة ويحلون محلها سلطة حزبهم .

وفى وقتنـــا الحاضر تتركز نقابات العمال فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية الشيوعية ، فى وكالة تابعة للحكومة هدفها الأساسى فرض «التنظيم» العمالى فى الحملة التى لا نهاية لها لزيادة الإنتاج . إنها جميعاً تخضع لرقابة الحزب الشيوعى .

وتصدق صحة هذه القول بالنسبة لأية دولة من الدول الأخرى التى تسيطر عليها الشيوعية . فصفة العضوية فى النقابات التى يدير أمورها الشيوعيون ليس لها أى صوت فعال بالمرة بالنسبة إلى تحديد درجات الأجور أو ساعات العمل ، كما أنه ليس لها إلا أثر ضئيل بالنسبة لشروط العمل . وبالإضافة إلى ذلك فإن انتخاب الموظفين المهيمنين على النقابات إنما يتم بإرشادات من الحزب .

إن الاتحاد الدولى للنقابات المهنية الذى يسيطر عليه الشيوعيون ، يسعى جاداً للسيطرة على جميع النقابات المهنية ، فى سائر أنحاء العالم واستخدامها فى الأغراض السياسية .

(٦) عند ما يُكره كل إنسان على العمل — كيف يؤثر هذا فى حياة الأسرة ؟

من الوجهة الرسمية ، هناك توكيد شديد بشأن قدسية ووحدة الأسرة السوفيتية « الجديدة » ، ولكن عند الممارسة تنشأ عوامل تحول دون تطبيقهما . والأمهات المشتغلات هن بمثابة القاعدة إذ تقوم بالعناية بأطفالهن دون دور للحضانة تديرها الدولة أثناء النهار . وعند ما يبلغ الأطفال سناً مناسبة يبعدون عن تأثير والديهم ، ويلقنون تعاليم تجعلهم يتقبلون الدولة باعتبارها ولية أمرهم والمستشار الصادق لهم . والغرض من ذلك كله هو إنتاج شيوعيين « منظمين » .

وتضع الشيوعية نصب عينيها ، صوغ وتشكيل أفكار العامل وأوجه نشاطه ، بحيث تكون حياته بأسرها متركزة فى إخلاصه وتفانيه وإنجاز عمله فى مصلحة الحزب والدولة (أنظر الفصل التاسع والحادى عشر) .

(٧) كيف تم تجريد نقابات العمال السوفيتية من حقوقها ؟

فى عام ١٩١٨ ، أى فى بداية الحرب الأهلية التى استمرت سنتين ، أصدر لينين مرسوماً بعدد من « القوانين الحربية » وضعت الأساس للعمل المنظم رسمياً فى الاتحاد السوفيتى كما اشتملت على «معايير للعمل» أو مستويات تتعلق بإنجاز العمل فى كل وظيفة وصناعة ودرجات بالأجور للإنتاج ، حسب القطعة الواحدة ، مع عــــلاوات لمن يضرب الرقم القياسى لهذه المعايير ، وعقوبات تفرض على من يخالف « تنظيم العمل » .

وفى عام ١٩٢٠ قام نظام الحكم البلشفى بتعطيل وإنقاص قيمة استقلال النقابات العمالية إنقاصاً كبيراً ، وفى غضون عشرة أعوام أضحت حريتها مقوضة كلية من جانب ستالين . وبعد ذلك أصبح موظفو نقابات العمال يعينون بموافقة الحــــزب الشيوعى أو من بين أعضاء الحزب ، كما سيطرت كادرات الحزب (وكلاء الحزب النشيطين) على لجان المصانع ، وأصبحت الدولة والحزب هما اللذان يقدران سياسات النقابات .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية كان العمال خاضعين لعقوبات تفرض عليهم ، بموجب قانون الجرائم ، لارتكابهم مخالفات بسيطة ، مثل : التأخير أو التغيب الخ . وهذه العقوبات أصبحت لا يؤخذ بها بشدة بعد الحرب ، ولكن النظام الشديد مازال يعمل به . وفى عام ١٩٥٩ تم إنشاء ما يدعى « بالمحاكم الأخوية » (أنظر الفصل السادس) فى جميع المؤسسات الصناعية لتقوم بمحاكمة المذنبين المرتكبين مخالفات طفيفة .

(٨) هل تتمتع الآن نقابات العمال السوفيتية بسلطة أوسع مما كانت تتمتع بها فى عهد ستالين ؟

تتمتع نقابات العمال السوفيتية ، من بعض النواحى ، بسلطة أوسع مما كانت تتمتع بها فى السنوات العشر الماضية . ومهما يكن من أمر فإنه من الواضح أن

هذه النقابات إنما تستخدم - فى الوقت الحاضر - من جانب البروقراطية الشيوعية ، بغرض الضغط على الطبقة الإدارية فى انجازها لمشروعات الدولة . وفى يوليو عام ١٩٥٨ صدر مرسوم حكومى منح نقابات المصانع المحلية المزيد من الأصوات فى الإدارة كما صدر مرسوم حكومى آخر أحيا عقد اجتماعات لمؤتمرات الإنتاج الدائمة التى كان نشاطها معطلاً . ووفقاً للمرسوم الأول ، يجوز للجان المصانع الموافقة على التعيين فى مجالس الإدارات وتوقيع العقاب على مديرى المصانع الذين يهملون فى تأدية وظائفهم . ويجوز أيضاً لهذه اللجان طرد العمال من وظائفهم ، كما أنه قد صار لها كلمة مسموعة فيما يتعلق بالأجور الإضافية التى تدفع لهم لعملهم زيادة عن الوقت المقرر ، وكذلك فيما يتعلق بالإجراءات الخاصة برفاهية العمال وسلامتهم وغيرها من الأمور .

أما الهدف الذى ترمى إلى تحقيقه مؤتمرات الإنتاج، فهو التأكد من أن مشروعات الدولة تفى بتخطيطات الإنتاج بل تزيد على الوفاء بها .

وبالرغم من زعم موسكو أن هذين المرسومين يعززان « الديموقراطية الصناعية » بيد أنه لا توجد أية بادرة تشير إلى أن قبضة عملاء الحزب على لجان المصانع ستقل شدتها . وبمنح لجان المصانع التى يسيطر عليها الحزب الشيوعى سلطات أوسع، تستطيع الدولة تنفيذ القوانين والإرشادات الخاصة بالإنتاج بصورة أفضل .

(٩) ماهو الدور الذى يلعبه العمال فى مشروع السنوات السبع الحالى ؟

فيما يتعلق بمشروع السنوات السبع (أنظر الفصل العاشر) تتطلب البنود الخاصة بالعمال :

١ — تعبئة ١١٫٥ مليون عامل إضافى، إلى جانب القوة العمالية الحالية ، وعددها ٥٣ مليون عامل .

٢ — تخفيض نفقات الإنتاج بحوالى ١١,٥ فى المائة عن طريق إدخال نظام الآلية عـــلى نطاق واسع وزيادة القوة الإنتاجية للعامل الواحد . ويقدر أن تزيد الطاقة الإنتاجية للعامل الواحد بنسبة تتراوح بين ٤٥و٥٠٪

(١٠) كيف ترسم الدولة السوفيتية خططها الخاصة بزيادة الطاقة الإنتاجية للعامل الواحد ؟

إن خطط السوفييت لا تدعو إلى إدخال المزيد من الآلات التى تعمل بصورة أتوماتيكية فحسب ، بل أن تبرز أيضاً الاعتماد العظيم على الحملات المتواصلة الخاصة ببحث زيادة الكمية التى يقوم بإنتاجها الفرد الواحد من العمال .

وبعد إعلان خروشوف لمشروع السنوات السبع فى الاجتماع الحادى والعشرين للحزب الشيوعى للاتحاد السيوفيتى فى أوائل عام ١٩٥٩ قام الحزب الشيوعى بتشجيع إنشاء « فرق من العمال الشيوعيين » ، وهى جماعة من العمال فى المشروعات الإنتاجية تعهدت بأن تفى بانجاز ما يخصص لها من أنصبة فى الإنتاج، بل وأن تنتج كميات أكثر مما هو مخصص لها . وفى منتصف ذلك العام كانت ثمة بوادر تدل على أن حركة الفرق العمالية لم تعد تحظى بشعبية بين الشباب من العمال أكثر مما كان يحظى به « نظام Stakhonov » أو نظام التعجيل بالإنتاج الذى كان معمولاً به فى السنوات الثلاثينية من هذا القرن .

وفى يونيه عام ١٩٥٩ قام خروشوف بشن حركة عمالية جديدة عندما كال المديح لفتاة عاملة تابعة للكومسومول ، وهى فالينتينا جاجانوفا Valentina Gaganova كانت قد انتقلت طواعية إلى فرقة عمل متقاعسة فى إنتاجها بخسارة فى أجرها لكى تساعد فى رفع إنتاج هذه الوحدة العمالية .

وقامت وسائل الدعاية السوفيتية بالثناء على تصرف جاجانوفا باعتباره « بداية لحركة عظيمة لمسلك من مسالك الشيوعية تجاه العمال » . وفى اليوم

الاول من شهر يولية عام ١٩٥٩ نشرت « البرافدا » ما مؤداه أن الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى كان فى سبيل إصدار الأوامر لجميع هيئات الحزب — نقابات العمال وهيئات الكومسومول — بأن « تحتل مكان الصدارة فى هذه الحركة الوطنية الثانية » . أما جاجانوفا فقد منحت لقب « بطلة الحركة العمالية الاشتراكية » ، كما منحت غيره من ألقاب الشرف .

وإذا ما ألقينا نظرة إلى الماضى فإننا ندرك أن الجاجانوفية(١) سوف تلقى نفس المصير الذى لقيته الاستخانوفية(٢) .

(١١) هل شروط العمل آخذة فى التحسن فى الاتحاد السوفيتى ؟ .

منذ وفاة ستالين فى عام ١٩٥٣ طرأ تحسن فى أحوال العمل فى كثير من الصناعات السوفيتية ، ومع ذلك فإن هذه الأحوال بصفة عامة لاتتناسب والمستويات الدنيا من أحوال العمل الموجودة فى دول أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة .

فلقد لاحظ الذين زاروا المراكز الصناعية فى الاتحاد السوفيتى ، وجود ظروف غير صحية وخطرة فى العمل ، كما لاحظوا افتقارها إلى المعدات التى تضمن سلامة العمال أو وجود معدات رديئة الصنف منها فى بعضها . وقد أشار وفد من رجال المناجم البريطانيين بعد رحلة طافوا خلالها فى مناجم الفحم السوفيتية فى عام ١٩٥٧ ، إلى وجود المساكن الرديئة الشاملة وتوظيف النساء فى أعداد كبيرة للقيام بالأعمال الثقيلة تحت الأرض ، وافتقار هذه المناجم إلى الأجهزة والمعدات العادية الخاصة بسلامة العمال . وكذلك أشار رجال هذا الوفد البريطانى إلى أن عمال المناجم فى الاتحاد السوفيتى

---

(١) نسبة إلى فالينتينا جاجانوفا المذكورة آنفاً .

(٢) الاستخانوفية : رمز إلى منتهى ما يصل إليه جهد العامل فى الإنتاج، وقد سميت كذلك نسبة إلى إستخانوف المعدّن .

يعملون عدداً من الأيام فى الشهر الواحد ، أكثر مما يعمل غيرهم من عمال المناجم فى أية دولة من دول العالم .

ومما هو جدير بالذكر أنه لا توجد أية حكومة شيوعية تقوم بنشر الإحصائيات عن الحوادث والوفيات ، التى تقع فى الصناعات كما تفعل حكومات الدول الغربية .

وفى أكتوبر عام ١٩٥٩ بحث مجلس السوفييت الأعلى مقترحات بجعل ساعات العمل أربعين ساعة بالنسبة لعمال المصانع والمكاتب ، ووضع مستويات للحد الأدنى للأجور تقوم بتقريرها الدولة . وهذه النصوص تبدو كأنها أكثر سخاءات من النصوص السائدة فى الوقت الحاضر ، ولكنها ترتبط بعبارة خروشوف القائلة : بأن النفقات الإجمالية للعمال لا يمكن زيادتهـــا .

كذلك قال رجل الاقتصاد السويسرى ، إرنست كوكس : « بينما يؤكد خروشوف أن ساعات العمل سيتم تخفيضها دون إحداث تخفيض فى أجور العمال ، فإن هذا مع ذلك سيسفر فى الواقع عن انخفاض فى الدخل الحقيقى للعمال » . ومما يؤيد هذا الرأى أن المنح التشجيعية التى تعطى لمن يزيد إنتاجهم عن الحصص المحددة ، يجرى الآن توحيدها .

(١٢) كيف تمارس أعمال السخرة من جانب الشيوعيين ؟

أعمال السخرة ، ويقوم بها المعتقلون فى معسكرات العمال ، اتصفت بها جميع أنظمة الحكم الشيوعية . وعندما وصل نظام أعمال السخرة ذروته فى الاتحاد السوفيتى بين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٤٦ ، بلغ عدد من كانت تعج بهم هـذه المعسكرات ما بين عشرة ملايين وخمسة عشر مليون شخص .

وأعمال السخرة فى البلاد الشيوعية تحقق ضرباً من الأغراض السياسية والاقتصادية . إنهـــا إحدى الوسائل المستخدمة للتخلص من « أعداء الشعب » على حد تعبير ماركس ، أى من أعضاء الطبقات المالكة وصاحبة الأعمال .

ومهما يكن من أمر فإن الملايين العديدة من الضحايا الذين حكم عليهم بأعمال السخرة فى دول الكتلة الصينية السوفيتية كانوا يشتملون على العمال والفلاحين المناهضين للشيوعية وغيرهم من أعداء الحزب الاشتراكى الحاكم ، كما كانوا يشتملون على الاشتراكيين ، وملاك الأرض والزعماء الدينيين وأتباعهم والقوميين فى الاتحاد السوفيتى ، وأسرى الحرب العالمية الثانية ، والمبعدين من البلاد التى ضمها الشيوعيون إلى الاتحاد السوفيتى .

وفى الاتحاد السوفيتى ، كانت أعمال السخرة جزءاً حيوياً من النظام الاقتصادى ، لا سيما فيما يتعلق بالمصادر الطبيعية ، مثل مصادر الخشب والتعدين ومصايد الأسماك وما إليها ، واستخدمت لأمد طويل فى إنشاء خطوط السكك الحديدية والطرق المائية والقنوات ومشروعات الرى .

وفى أكتوبر عام ١٩٥٦ ، أذاعت الحكومة السوفييتية أن معسكرات أعمال السخرة سوف تلغى وتستبدل بالمستعمرات والسجون الخاصة ، « بالأعمال الإصلاحية » . ولكن المرسوم الخاص بذلك لم ينشر حتى الآن ، كما أنه لا توجد أية دلالة قاطعة على أن جميع نصوصه قد تم تنفيذها .

ومنذ عام ١٩٥٧ انخفض مجموع عدد السكان السوفييت المعاقبين نتيجة لإعادة النظر فى حالات بعض الأسرى وإطلاق سراحهم ، وإعادة العدد الأعظم من أسرى الحرب لأوطانهم ، وتضاؤل عدد المقبوض عليهم من جانب البوليس السرى .

وبالرغم من أن المستعمرات التأديبية لا تبدو منتشرة ، كما كانت عليه فى الماضى ، إلا أنه مازال هناك ازدياد فى أعمال السخرة فى السجون يتناسب والبرنامج الخاص ببناء السجون الجديدة . ويقال إن الظروف فى معظم المستعمرات الحالية المخصصة لأعمال الصخرة قد تحسنت ، ومع ذلك اعترفت السلطات بأن نزلاءها اليائسين ، الذى تثقل كاهلهم أعمال السخرة ويكادون يموتون جوعاً ، ليسوا فعالين من الناحية الإقتصادية . (بلغ متوسط نسبة الوفيات فى عهد ستالين حوالى ١٢ فى المائة فى العام الواحد) .

وفى الصين الشيوعية تمارس أعمال السخرة على نطاق واسع فى إنشاء المشروعات ، ولـكن ليس هناك سوى فارق بسيط بين الأعمال التأديبية المعمول بها وتعيين عدد كبير من العمال على أساس إجبارى للعمل فى هذه المشروعات .

الفصل الرابع

ملكية الأرض والعقارات

في ظل النظام الشيوعي

(١) من يملك الأرض فى روسيا السوفيتية ؟

تملك الدولة السوفيتية جميع أراضى روسيا. وتتجه البلاد الأخرى التى يسيطر عليها الشيوعيون إلى تحقيق نفس الهدف ، ولكن مصادرة الأرض تلقى مقاومة شديدة .

ونظام التجميع أو الملكية الجماعية للمزارع وإدارتها ، وهو النظام الذى تحاول جميع الحكومات الشيوعية تشجيعه ، يختلف تماماً عن ملكية الدولة للأرض نفسها . ومهما يكن من أمر فإن جميع المزارع الجماعية هى على وجه العموم خاضعة لإشراف الدولة إما بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة .

(٢) كيف تتصرف الحكومات الشيوعية بملكية الأرض ؟

قامت الحكومة فى أعقاب الثورة البلشفية مباشرة فى الاتحاد السوفيتى ، بمصادرة جميع الأملاك الكبيرة ، وتوزيع معظمها على الفلاحين الذين لايملكون أرضاً خاصة بهم .

وكان لينين قد واجه مقاومة من جانب الفلاحين لطلبه تسليم الحبوب قهراً ، وواجه تهديد البلاد بالمجاعة ، فأصـــدر فى عام ١٩٢١ مرسوماً بالسياسة الاقتصادية الجديدة التى تسمح للفلاحين والصناع ببيع منتجاتهم فى الأسواق الحرة .

وبعد وفاة لينين أصدر ستالين فى عام ١٩٢٩ مرسوماً بتجميع الأرض ، وأمر بشن حملة بتجريد المزارعين الذين يرفضون التعاون مع الحكومة (الكولاكس kulaks) أو طبقة الفلاحين المتوسطة من ممتلكاتهم وتصفيتهم . وكان هذا الإجراء قد تم تنفيذه بعزم خال من الرأفة ، مما أدى

فى الفترة ما بين عامى ١٩٣١ و ١٩٣٢ إلى مجاعة ، أسفرت عن وفاة الملايين من الفلاحين والقرويين .

إن حوالى ٩٧ فى المائة من جميع الأرض الزراعية فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، هى الآن مقسمة إلى مزارع جماعية أو مزارع تابعة للدولة . والعمال المشتغلون فى المزارع التابعة للدولة يعتبرون مجرد موظفين عند الدولة ، وتدفع لهم الأجور عن أتعابهم اليومية . وأعضاء المزارع الجماعية يحق لهم إسمياً المطالبة بسلطة واسعة فيما يتعلق بإدارة الأرض عن طريق رئيسهم ، ولكنهم فى الواقع ليس لهم صوت مسموع فى إدارة هذه المزارع . أما فيما يتعلق بالمزارع الجديدة التابعة للدولة التى كشف عنها فى عامى ١٩٥٣ و ١٩٥٤ ، والتى تحتوى على الملايين من الأفدنة البكر ، فيجرى العمل فيها على أساس أنهـــا وحدات إنتاجية تقوم الدولة بإدارتهـا .

ومنذ عام ١٩٥٠ والمزارع الجماعية ما فتئت مطردة النمو من حيث اتساع حجمها وقلة عددها . وهذا النوع من التركيز يتناسب والسيطرة الأكثر حزماً من جانب الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى . وعلى الرغم من زعم الشيوعيين بأن الوحدات الأكبر من غيرها من الأراضى هى الأفضل من الناحية الاقتصادية ، بيد أن الغرض من وراء هذا التجميع هو سياسى بقدر ما هو اقتصادى .

وكما قال الزعماء الشيوعيون : إن نظام المزارع التابعة للدولة — والذى يعتبر المُزارع بموجبه مجرد فاعل يومى يعمل للدولة — إنما هو الهدف النهائى الشامل الخاص بالأرض السوفيتية والبرنامج الزراعى الخاص بها .

ونظام التجميع المعمول به فى أوروبا الشرقية ، والذى وصل إلى مرحلة

متقدمة فى بلغاريا ، يناهضه المزارعون بشدة فى جميع البلاد التابعة للاتحاد السوفيتى ، ومع ذلك فإن موسكو ترسم الخطط لتحقيقه فى غضون خمس سنوات (أى فى عام ١٩٦٥) .

(٣) ما المقصود بالمزرعة الجماعية ؟ وهل يستطيع المزارع بيع المنتجات التى يقتنيها ؟

تتكون المزرعة الجماعية من قطع الأرض المستأجرة التى أرغم أصحابها الأصليون على التنازل عن حقوقهم وحجج ملكيتهم فيها . وهذا التنازل لا يشمل الأرض فحسب ، بل كذلك بيوتهم المخصصة لسكناهم ، وآلاتهم وأدواتهم ومدخراتهم .

والمزرعة الجماعية يديرها رئيس مجلس ، ينتخب عادة بموافقة الحزب الشيوعى المحلى أو من يمثله .

وحتى منتصف عام ١٩٥٨ ، كان لزاماً على المزارع الجماعية أن تقدم حصصاً معينة من منتجاتها بأسعار بخسة تحددها الحكومة . ومع أن نظام الحصص المعينة تم التخلى عنه ، إلا أن الدولة تمارس ضغطاً لضمان توريد كميات مخصصة من المنتجات ، حتى تساهم كل مقاطعة ومحافظة بنصيبها من منتجات المزارع التى تتناسب ومشروع الدولة الحالى الشامل ، أى مشروع السنوات السبع . أما الأسعار التى تدفع إلى المزارع الجماعية مقابل هذه المنتجات ، فقد أصبحت سخية إلى حد ما ، ولكنها ما زالت تحدد من جانب الدولة .

ولا يسمح لأى عضو فى المزرعة الجماعية بأن يبيع شيئاً من مخزون المزرعة ، ولكنه يمنح قطعة أرض خاصة صغيرة لاستعمال أسرته ، ويجوز له أن يبيع منتجاتها فى « السوق الحرة » . ومعظم أعضاء المزرعة الجماعية

يتحملون تضحيات كبيرة فى سبيل بيع منتجاتهم فى « السوق الحرة » مقابل أموال نقدية يستطيعون بها شراء سلع هم فى حاجة إليها (ومرتفعة الأثمان) مثل الأحذية والملابس والأدوات المنزلية .

(٤) كيف يحاول الشيوعيون التخلص من ملاك الأرض ؟

بعد أن انتهت الثورة البلشفية ، كان مصير عدد كبير من الملاك إما الطرد من أراضيهم أو إلقاء القبض عليهم أو إعدامهم أو نفيهم إلى سيبريا . وكان أن لقى أصحاب الأرض فى جميع أجزاء دول أوروبا الشرقية نفس المصير بعد الحرب العالمية الثانية ، غير أن بعضهم استمروا فى معيشتهم على أراضيهم .

وبعد أن تسلم الشيوعيون مقاليد الحكم فى أوروبا الشرقية ، قاموا بإصدار قوانين « الإصلاح الزراعى » التى حددت المساحة القصوى من الأرض التى يمكن أن يمتلكها الأفراد فى كل دولة من هذه الدول . أما جميع الأرض الفائضة التى آلت إلى الدولة ، فقد قامت بتوزيعها على الفلاحين المستأجرين لها وعلى الأشخاص الذين لا يملكون أرضاً . ولكن هذه القطع من الأرض كانت هكذا صغيرة ، حتى أنها لم تتمكن من إعالة الأسر المشتغلة عليها ، ومن ثم فإن الكثير من صغار الملاك الجدد لم يجدوا سبيلاً سوى الانضمام إلى « جمعيات العمل التعاونية » التى يسيطر عليها الشيوعيون ، أو إلى المزارع الجماعية الجديدة .

وفى جميع البلاد الشيوعية كان الشيوعيون يتنكرون لوعدهم بإعطاء « الأرض المجانية » للفلاحين بمجرد تمكنهم من الحكم ، وذلك لأن هدف الشيوعية هو تحقيق زراعة مجمعة ، أى أن المزارعين يجب أن يخضعوا لتنظيم الدولة ، شأنهم فى ذلك شأن العمال فى ميدان الصناعات المؤممة .

(٥) أما زالت هناك أنواع أخرى من المزارع ، أو بعبارة أخرى ، هل جميع المزارع الموجودة الآن فى ظل الشيوعية هى مزارع جماعية فقط ؟

هناك أنواع شتى من المزارع فى ما يسمى « بالقطاع الاشتراكى (الشيوعى) » . فهناك مثلاً فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية المزارع الجماعية التى يطلق عليها اسم « الكولخوز Kolkhozes » . والمزارع التابعة للدولة التى يطلق عليها اسم « سوفخوز Sovkhozes » والمزارع التابعة للدولة تديرها الدولة ، ولا توجد فيها ممتلكات اشتراكية ، كما أن جميع العمل فى المزارع يدفع أجره على أساس العمل اليومى .

وفى أوروبا الشرقية التى تسيطر عليها الحكومات الشيوعية ، توجد مزارع للدولة ومزارع جماعية و «جمعيات عمل تعاونية» تسيطر عليها الدولة بصورة غير مباشرة ، كما توجد بقايا للمزارع التى يملكها الأفراد فى « القطاع الخاص » ولكن أصحابها يمنعون من ممارسة أعمالهم عن طريق فرض ضرائب باهظة وغيرها من الرسوم الضرائبية . وفى الدول التابعة للاتحاد السوفيتى تتفاوت نسبة عدد المزارع الجماعية التى تسيطر عليها الدولة سيطرة جزئية أو كاملة من حوالى ١٤ فى المائة فى بولندا إلى أكثر من ٩٠ فى المائة فى بلغاريا . إن نظام المزارع الجماعية هذا يناهضه الأهالى مناهضة شديدة فى جميع أرجاء المنطقة .

وفى شهر ديسمبر عام ١٩٥٩ استمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى ألمانيا الشرقية إلى تقرير أحد خبراء المزارع عن الانتشار الواسع للحرائق المتعمدة وأعمال التخريب فى المزارع الجماعية . ووفقاً لهذا التقرير كان قد وقع أكثر من تسعمائة حادث من حوادث الحريق المبيتة فى المزارع خلال أشهر يولية وأغسطس وسبتمبر عام ١٩٥٩ فقط ، كما أن قيمة

الأضرار التى لحقت بالممتلكات خلال الستة الأشهر الأولى من السنة ذاتها بلغت ١٫٤ مليون دولار .

(٦) هل هناك فوارق فى دخول المزارع الجماعية ؟ .

تتفاوت دخول المزارع الجماعية فى الاتحاد السوفيتى تفاوتاً كبيراً .

فالمزارع الجماعية المسماة « بالمليونيرية » تنتج - بصفة عامة - المنتجات الصناعية مثل القطن ، وتحظى بالإعانات المالية للدولة . وتوجد المزارع الأخرى المعروفة بمزارع « الكولخوز » فى الأقاليم التى تمتاز بخصوبة تربتها ، كما أن الأعضاء فى المزارع الجماعية الأكثر رخاء هم فى حالة أفضل بكثير من أولئك الذين يعيشون فى المزارع المنخفضة الدخل .

(٧) أصحيح أن المزارعين السوفييت يملكون جرارات ؟

لا يوجد مزارع سوفيتى واحد يملك بمفرده جراراً أو أية آلة أو أداة أخرى . وفى السابق كانت الدولة تمتلك جميع الجرارات وتقوم بتشغيلها « إدارة محطات الجرارات الآلية » ، وهى وكالة حكومية ، كما كانت المزارع الجماعية تدفع رسوماً مقابل الخدمات التى تؤديها لها . وفى مارس عام ١٩٥٨ أصدرت الدولة قانوناً يسمح للمزارع الجماعية بشراء الجرارات من محطات الجرارات الآلية ، وأصبحت تعرف عندئذ بمحطات خدمة الآلات . وفى الوقت الحاضر تملك المزارع الجماعية الأكثر سعة من غيرها الجرارات الخاصة بها وغيرها من الآلات الثقيلة . أما المزارع الجماعية التى كانت فى حالة ضعيفة من الوجهة الاقتصادية والتى لم يكن فى استطاعتها شراء وإدارة الآلات الخاصة بها ، فقد تم فى كثير من الحالات ضمها إلى المزارع الأكبر والأكثر رخاء .

وفى نبأ أوردته وكالة تاس السوفيتيـــة للأنباء بتاريخ ١٠ ديسمبر

عام ١٩٥٩ ، هناك ما يقرب الآن من ٥٠٫٠٠٠ مزرعة جماعية ، تحتل مساحات من الأرض كانت مقسمة فى عام ١٩٥٠ إلى ٢٥٠٫٠٠٠ وحدة زراعية .

ومتوسط حجم المزرعة الحكومية هو أيضاً أكبر من متوسط حجم المزرعة الجماعية ، ولكن عدد المزارع الحكومية هذه لا يتعدى ستة آلاف مزرعة .

(٨) إذا كانت الدولة تملك جميع المنتجات فى البلاد الشيوعية ، فكيف تنتفع من هذه السلع والمنتجات ؟

تقوم الدولة ببيعها إلى المستهلكين عن طريق محلات حكومية أو « محلات تعاونية استهلاكية » . وإذا كانت هذه المنتجات مواد خاما تحتاج إلى صناعة مثل القطن والقنب ، فإنها توزع على الشركات الصناعية أو اتحادات البيوت الصناعية التابعة للدولة . وبالإضافة إلى ذلك تقوم الدولة ببيع السلع الجاهزة الصنع ومنتجات المزارع والمواد الخام فى الأسواق الخارجية للتجارة .

إن الاستيراد والتصدير فى ظل الشيوعية ، هما من الأعمال الاحتكارية للدولة .

(٩) هل توجد فى روسيا السوفيتية ملكية للمساكن الخاصة ، بالإضافة إلى المساكن الشعبية ؟ .

ينص الدستور السوفيتى فى مادته العاشرة ، على أن « حق المواطنين فى امتلاك الدخول الشخصية من أعمالهم ومدخراتهم وفى امتلاك بيوتهم السكنية وما يقتصدونه من المعونة المنزلية ، وما يمتلكونه من أثاث وأوان وأدوات منزلية تستخدم فى الأغراض الشخصية ، وكذلك حق الميراث للممتلكات الخاصة للمواطنين مكفول بموجب القانون » .

ومن الجائز من الوجهة القانونية لأى شخص أن يمتلك بيتاً فى روسيا

الشيوعية ، كما أن القروض الحكومية متاحة لبناء منازل يمتلكها الأفراد ، لاسيما فى « الأرض الجديدة » الواقعة فى منطقة آسيا الوسطى . بيد أن هذه الأرض لا تخص صاحب المنزل ، كما أن ملكيتها يحيط بها الكثير من القيود والعراقيل التى لا حصر لها . إن الرادع الرئيسى الذى يحول دون امتلاك المنازل هو الإفتقار الشامل للدخول والأموال الكافية للقيام بمثل هذا العمل .

ومع أنه توجد برامج إسكان شعبية فى الاتحاد السوفيتى والدول التابعة له ، غير أنه ما زال هناك نقص كبير فى عدد المساكن فى جميع أنحاء الكتلة السوفيتية بأسرها .

ويرمى مشروع السنوات السبع السوفيتى إلى تحقيق زيادة كبيرة فى عدد المساكن قبل حلول عام ١٩٦٥ ، أى إنشاء حوالى خمس عشرة مليون شقة لخمسة وأربعين مليون شخص ، كما أنه يفترض أن الأسرة الواحدة تتكون فى المتوسط من ثلاثة أشخاص . وعند تنفيذ هذا البرنامج ستعطى أهمية خاصة إلى إنشاء عدد أكثر من الشقق التى ستسكنها الأسر المكونة من ثلاثة أشخاص بدلاً من المساكن الشعبية التى يسود بناؤها فى وقتنا الحاضر (تشترك أسرتان أو أكثر فى استخدام المطبخ أو الحمام الواحد أو فى غيرها من المنافع المنزلية) . إن عدد الذين يعيشون فى الوقت الحاضر فى مساكن من الطراز الشعبي فى الاتحاد السوفيتى لا يقل عن خمسين مليون نسمة .

وتنفيذ هذا المشروع سينجم عنه تحسن فى لوازم المعيشة ، ولكن حتى فى حالة تحقيق أهداف الإسكان ـ وهذا أمر يبدو غير محتمل التحقيق بسبب عدم كفاية نظام البيروقراطية ــ فإن غالبية المواطنين سيظلون يعيشون فى منازل مزدحمة وقذرة .

ولا يجرى التفكير فى وضع برنامج يرمى إلى إزالة الأحياء القذرة ، كما أن ذلك لا يعتبر ممكناً بسبب النقص المتواصل فى المساكن . وهكذا نجد أنه بينما اعتماد الدولة للإسكان مقرر له زيادة ٦٠ فى المائة من عدد المساكن ، فإن المبانى المتهدمة المزدحمة بالسكان الآن والتى لا تخصص لها اعتمادات لإصلاحها ، تصبح تدريجياً دون المستوى بدرجة تفوق ماهى عليه .

(١٠) ما هى أوجه المقارنة فى مستويات الإسكان فى البلاد التابعة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بالنسبة لمستويات الإسكان فى الاتحاد نفسه ؟

إن حالة الإسكان فى البلاد التابعة للاتحاد السوفيتى ، تعتبر أسوأ مما هى عليه فى الاتحاد نفسه ، باستثناء تشيكوسلوفاكيا . فمثلا منذ « تحرير » البلاد التابعة لروسيا (أى تسليم مقاليد الحكم فى أوربا الشرقية على يد حكومات تؤيدها موسكو بعد الحرب) تدهور الإسكان تدهوراً ملحوظاً فى بلغاريا والمجر ورومانيا وبولندا ، كما كان هناك انحطاط فى مستوى الإسكان التشيكوسلوفاكى على الرغم من الطلبات العديدة من أجل إدخال تحسين عليه .

وفى ألمانيا الشرقية مازال الإسكان أقل مستوى بكثير مما كان عليه قبل الحرب ، بالرغم من أن ٣٫٦ مليون شخص من سكان ألمانيا الشرقية التمسوا اللجوء إلى ألمانيا الغربية منذ عام ١٩٤٥ . إن سكان ألمانيا الشرقية ، وقد قل عديدهم عما كان عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، مازالوا يعانون حالة سيئة من الإسكان .

ولم تراع أدنى مستويات الإسكان الصحية للاتحاد السوفيتى وبلغاريا — وهى ٩٧ قدماً مربعاً أو ٩ أمتار مربعة للشخص الواحد — فى أى بلد من بلاد الاتحاد ، حيث المتوسط هـــو ٥٤ قدماً مربعاً أو ٥ أمتار مربعة للشخص الواحد . ولم يشذ عن ذلك سوى تشيكوسلوفاكيا التى تجاوز مستوى الإسكان نظيره فى المدن بمعدل ١٢٤ قدماً مربعاً للفرد الواحد .

وفى المجر يشغل الغرفة الواحدة عدد من السكان يبلغ فى المتوسط ٢ر٥ شخصاً ، كما أن عدداً من الأسر يقدر بين ٢٠ و ٢٥ فى المائة يشتركون فى منازل للسكن مع أناس آخرين .

وفى ظل حكم الشيوعيين تهمل الترميمات والصيانة الحيوية للمساكن الحالية ، وبالإضافة إلى ذلك فإن نوع البناء الجديد هو على درجة كبيرة من الرداءة حتى أن هناك عدداً كبيراً من المبانى التى أقيمت بعد الحرب ، هى فى الواقع فى حاجة ماسة إلى إدخال ترميمات كبيرة عليها .

(١١) أين تسكن الطبقات السوفيتية صاحبة الامتيازات ؟

تحظى الطبقات المتمتعة بالامتيازات فى الاتحاد السوفيتى بالأسبقية عندما تتقدم بطلبات لشقق أكثر اتساعاً وأفضل تنسيقاً .

وأعضاء الطبقة العليا من البيروقراطيين والضباط والمسئولين فى الجيش يعيشون فى ترف ، والكثيرون منهم يحتفظون بمسكن لهم فى المدينة وآخر فى الريف . وقد تكون مساكنهم فى الأرياف وتسمى « داخاس Dachas » بمثابة قصور ريفية . ولكن بما أن هذه الطبقة التى تتمتع بالامتيازات فى الاتحاد السوفيتى لا تملك العقار ملكية مطلقة ، فإن أعضاءها هم دائماً فى خطر من أن يفقدوا امتيازاتهم إذا ما حدث وأصبح الحزب غير راض عنهم ، أو إذا ما أصبحوا متورطين فى صراع فى داخل الحزب من أجل الاستحواذ على السلطة .

(١٢) هل للعامل فى ظل نظام الشيوعية الحق فى أن ينفق النقود التى يحصل عليها ؟

نعم ، يجوز له أن ينفقها كما يحلو له ، بيد أن الكثير من السلع الاستهلاكية نادرة الوجود نسبياً فى ظل الشيوعية ، ومرتفعة الأثمان بدرجة كبيرة على

وجه العموم ، حتى أن العامل العادى لا يؤمل فى أن يمتلك إلا الأدوات الأكثر حيوية له ولأسرته .

وعلى المستهلك فى الاتحاد السوفيتى أن يدفع ضريبة بيع تتراوح من ٥٠ إلى ١٠٠ فى المائة على كل سلعة تباع فى المحلات التجارية التى تملكها أو تديرها الدولة (أنظر الفصل العاشر) .

(١٣) ما هى حالة الإسكان فى الصين الشيوعية ؟

لقد انتشر هدم الكثير من البيوت الخاصة ، بل هدم عشرات الآلاف من القرى ، حيث أخذت مواد البناء من المساكن المحطمة تستخدم فى إنشاء الشكنات الشعبية (الكوميونات) . ونتيجة لفرض نظام الكوميونات (أنظر الفصل الأول) تلاشت الملكية الشخصية للأدوات التى تستخدم فى المزارع ، كما تلاشت ملكية الجزء الأعظم من الممتلكات المنزلية .

وعلى الرغم من فرض نظام حياة الكوميونات على العدد الأكبر من فلاحى الصين الشيوعية البالغ عددهم ٥٠٠ مليون نسمة ، إلا أن هذا النظام لم يطبق بشكل مطرد . ففى المرحلة الأولى فى الحملة من أجل تطبيق نظام الكوميونات مثلاً ، كان من المستحيل المحافظة على خلوة الأسرة أثناء تناول وجبات الطعام ، بسبب إنشاء بدعة عنابر المآكل الشعبية ، ومن ثم فقد تم هجر الكثير منها ، نظراً لانتشار عدم الرضى عن ترتيبها وتنظيمها . ومهما يكن من أمر فقد تجددت فى خريف عام ١٩٥٩ الحملة من أجل تطبيق نظام الكوميونات ولكن بصورة معدلة ، وأعيد افتتاح عدد كبير من عنابر المآكل .

الفصل الخامس

المساواة في ظل الشيوعية

(١) يدعى الشيوعيون أن الكل متساوون فى ظل الشيوعية وأنه لا يوجد فقير ولا غنى — فهل هذه العبارات صحيحة ؟

ينص الدستور السوفيتى لعام ١٩٣٦ على المساواة فى المعاملة لجميع المواطنين ، ولكن ليست هذه هى الحالة عند الممارسة لا فى روسيا السوفيتية ولا فى أية بلد من البلاد الشيوعية .

فالفوارق الطبقية واضحة كل الوضوح بسبب وجود الطبقات الاجتماعية الاقتصادية فى الاتحاد السوفيتى حيث لا يقل تفاوت الدخل بين العضو الذى يتقاضى أقصى مرتب فى المجتمع الشيوعى والعامل أو الفلاح العادى مثلاً فى عظم درجته عن أى تفاوت فى أى مجتمع يسوده نظام العمل الخاص .

وفى أثناء السنوات العشرينية من هذا القرن حاول زعماء السوفييت تطبيق مبادىء « المساواة » ، وتقاضى الموظفون والعمال المهرة وغير المهرة على السواء نفس الأجر . ولكن سرعان ما اتضح أن هذا النظام يفتقر إلى الحافز على الإنتاج . وفى عام ١٩٣١ قام ستالين باستنكار « المساواة فى الأجر » ودعا إلى وضع مستويات جديدة للأجور تستطيع إحداث تغيير فى مقدار العمل المنجز وتهيئة الحوافز لزيادة الإنتاج .

ومنذ السنوات الثلاثينية ما زالت الفجوة تتسع بين العمال الذين يتقاضون أجوراً مرتفعة والعمال الذين يتقاضون أجوراً منخفضة وبين دخولهم ودخول الطبقة العاملة من البيروقراطيين .

وبالإضافة إلى مستويات الدخل ، هناك فوارق كثيرة فى الحقوق والامتيازات الاجتماعية التى تتمتع بها الجماعات أو الطبقات فى المجتمع الشيوعى .

(٢) ما مقدار دخل الطبقة الحاكمة فى روسيا السوفيتية بالنسبة إلى دخل طبقة العمال ؟

فى الاتحاد السوفيتى خمس طبقات : أولاها تتألف من بضع مئات من الأسر العليا التى تكون العنصر الحاكم للبلاد . ويحصل الموظفون الذين يشغلون مناصب عاليـــة فى الحكومة والحزب الشيوعى والمسئولون العسكريون الذين يحتلون مراكز كبيرة على دخول تبلغ نصف المليون روبل فى العام أو أكثر .

أما من يليهم فى الأهمية من موظفين ، ومسئولين ، ومشاهير الفنانين ، والكتاب ، والعلماء وغيرهم من الأدباء ، ومديرى المشروعات الكبرى التابعة للدولة — ويبلغ عددهم على ما يقال حوالى خمسة ملايين شخص — فيحصلون على دخول تبلغ بضع مئات الألوف من الروبلات فى العام .

وهناك طبقة ثالثة تتكون من الموظفين الأقل مرتبة التابعين للحزب ، والمهندسين ، والفنيين ، ومديرى المزارع الجماعية ، والمصانع الصغيرة ، وعدد قليل من عمال الاستخانوف أو العمال الذين يشتغلون بسرعة فائقة ، تتقاضى فى المتوسط دخلاً سنوياً يقدر بحوالى ٢٠٫٠٠٠ روبل . وهذه الطبقات الثلاث العليا تؤلف أقل من ١٠ فى المائة من مجموع سكان الاتحاد السوفيتى البالغ عددهم ٢٠٠ مليون نسمة .

وأما فى الطبقة الرابعة فيكون الحشد من العمال والفلاحين ميمونى الطالع إذا هم استطاعوا كسب ٨٠٠٠ روبل سنوياً (وهذا دخل لا يعول أسرة حضرية تتكون من اثنين ممن هم فى سن الرشد وطفلين) . أما العامل العادى المتوسط المهارة فيحصل على مبلغ يتفاوت من ٦٠٠ إلى ٧٠٠ روبل فى الشهر ؛ بينما يحصل العامل غير الماهر على نصف هذا المبلغ .

(٣) كيف يتم إنزال المواطنين إلى المستوى العادى فى الدولة الشيوعية ؟

إن عامل التوحيد فى جميع البلاد التى يسيطر عليها الشيون هو الحزب الشيوعى نفسه الذى يستطيع أن يهب الحقوق والامتيازات لمن يريد أو تجريدهم منها .

(٤) هل توجد فى البلاد الشيوعية أعمال بر أو إحسان ؟

إن أعمال البر والإحسان محرمة عند الشيوعيين باعتبارها من مخلفات « مجتمع رأسمالى مضمحل » ، ومع ذلك فإن المرء غالباً مايرى المتسولين فى المدن السوفيتية .

(٥) هل يوجد « رأى عام » فى البلاد التى هى تحت الحكم الشيوعى ؟

لقد ذكرت ذات مرة جريدة السوفييت الرسمية « بولشفيك » :

« يطالب الرأى العام بأن يراعى كل مواطن سوفيتى جميع القوانين الخاصة بالحياة الاشتراكية الإجتماعية بما فيها تلك القوانين التى لم ينص عليها القانون » .

إن « الرأى العام » فى أى بلد شيوعى لا يوجد إلا بتصريح من الحزب الشيوعى وبإرشاده . وهذا القول ينطبق على رجال الإدارة كما ينطبق على الشعب . ومهما يكن من أمر فيما أن الناس المفكرين لا بد أن يكوّنوا آراء حتى ولو كانوا لا يستطيعون إبداءها ، فهناك رأى عام فى الاتحاد السوفيتى وفى جميع أنحاء أوروبا الشرقية، وهذا الرأى يكوّن من بعض النواحى تياراً خفياً من الضغط على الحكام الشيوعيين .

فمنذ أن فرض الاتحاد السوفيتى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الحكومات التابعة له على شعوب هذه المنطقة ، لم يردد زعماؤها سوى أصداء « خطة » موسكو دون اكتراث بالميول الشعبية .

وعلى أية حال حدث بعد أن أنزل الزعماء السوفييت من مرتبة ستالين، أن بدأ شيء من الرأى العام النزيه من كتاب وطلبة وعمال صناعيين فى البلاد التابعة لروسيا، ولكن سرعان ما وجهت إليهم الإنذارات بألا يتخطوا حدود السياسة الرسمية.

وظهرت موجة كبيرة تنادى بحرية الرأى العام قبيل الثورات الدرامية التى حدثت فى بولندا والمجر فى أكتوبر عام ١٩٥٦.

وفى بولندا ظهر قبيل الهزة التى لحقت بالحزب الشيوعى، فى الصحافة والحزب الشيوعى البولندى على السواء، انفجار من الميول المعادية للسوفييت مافتىء أن صاحبته تعليقات من النقد بشأن المأزق الاقتصادى المتهور الذى تردت فيه الأمة.

وعلى الرغم من الضغط الذى مارسه الحزب الشيوعى البولندى للعودة إلى «الماركسية اللينينية» الأصلية، فإنه ما زال هناك تحرر كبير من الحدود الضيقة فى الرأى العام والتعبير الثقافى فى جميع أرجاء بولندا.

(٦) هل تتمتع جميع الشعوب المختلفة الجنسية بالحقوق المتساوية فى الاتحاد السوفيتى؟

يقول الدستور السوفيتى: «يعاقب القانون على أية قيود تفرض على الحقوق بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، أو بالعكس أية امتيازات تمنح للمواطنين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بسبب الجنس أو القومية وكذلك أى دفاع عن التمييز العنصرى أو القومى أو أى بغض أو تحقير.

وبالرغم من وجود هذه الضمانات المحددة فإن الأمانى القومية للناس

فى الاتحاد السوفيتى مازالت مكبوتة بشدة منذ أوائل العشرينات من هذا القرن . فقد اضطهد الملايين من البوذيين والمسلمين فى منطقة الفولجا السفلى وآسيا الوسطى ، وانتهت حياتهم القومية التقليدية . وهذه الحقيقة تنطبق على شعوب دول البلطيق .

ومن الوجهة الأخرى قبلت موسكو الفكرة القائلة بتفوق الروس العظام من سكان الجمهورية الروسية الاشتراكية السوفيتية الفيدرالية .

إن تاريخ وثقافة روسيا العظمى تعتبر بمثابة نماذج يجب على الشعوب غير الروسية فى الجمهوريات الأربع عشرة الأخرى أن يقتدوا بها . وبالإضافة إلى ذلك فإنه قد تم تحوير الثقافات المحلية للشعوب غير الروسية فى داخل الاتحاد السوفيتى تحويراً متناسقاً بحيث تتلاءم ونماذج الثقافة الروسية العظيمة .

والجمهورية الروسية الاشتراكية السوفيتية الفيدرالية ، وهى أكبر جمهوريات الاتحاد من حيث حجمها وعدد سكانها — وعاصمتها موسكو — هى الحكومة الأساسية المتسلطة على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

وتقوم بصورة منتظمة حركات سخط تدمغ « بالقومية » فى بعض جمهوريات الاتحاد لآسيا فى جمهورية قازقستان الاشتراكية السوفيتية حيث تم استبدال المسئولين القازقستانيين بغيرهم ممن عينتهم الحكومة المركزية .

ومنذ عام ١٩٥٣ وقازقستان تعانى من تدفق كبير من القوميين السوفييت الآخرين خصوصاً من الروس العظام ، أدى إلى احتكاك وتنافس عنصرى . وفى شهر سبتمبر عام ١٩٥٩ استنكرت جريدة الحزب الشيوعى القازقستانى

بشدة ظهور القومية القازقستانية واتهمت العناصر المحلية بتساهلها فى القيام بالأعمال العدائية للروس وتمجيد تاريخ القوزاق القديم والاهتمام بالشئون « الاقتصادية المحلية » . والمقصود بهذا الاصطلاح هو استهلاك المحلى للمنتجات القازقستانية بدلاً من توزيعها فى جميع أنحاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

ومن جهة أخرى أبدى المسئولون القازقستانيون تذمرهم من قـلة المساكن وندرة الملابس والمواد الغذائية الأساسية فى مخازن الدول . وفى شهر يناير من عام ١٩٦٠ حدث تغيير خطير فى مراكز كبار المسئولين القازقستانيين ، إن دل على شىء فإنما يدل على أن مشكلة القومية القازقستانية لم تنته بعد .

وفى عام ١٩٥٩ اتهم الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى رئيس الحزب الشيوعى فى دولة لاتفيا بتقصيره فى معالجة « الشئون المحلية » و « القومية البورجوازية » ثم عزله عن رئاسة الحزب .

الفصل السادس

المحاكم والعدالة في ظل الشيوعية

(١) هل هناك قانون فى البلاد الشيوعية ؟

لكل دولة من الدول الشيوعية قانون يتخذ من قانون الاتحاد السوفيتى نموذجاً وهذه القوانين تحدد مكانة المواطنين فى الدولة الشيوعية وتؤكد مسئولياتهم وتنص على عقوبات شديدة لأولئك الذين يرتكبون جرائم أو مخالفات ضد الدولة .

والهدف الرئيسى للنظم القضائية فى البلاد الشيوعية هو السير قدماً بمصالح الدولة بدلاً من أن تقوم بحماية الفرد أو حقوقه كما هى الحالة فى البلاد الديمقراطية .

وكانت القوانين فى السنوات الأولى لقيام الشيوعية فى روسيا السوفيتية ترمى قبل كل شىء إلى محاربة « أعداء الطبقة الواحدة » ، أى أولئك الذين كانوا يناهضون النظام الشيوعى . وكان المجرمون العاديون — مثل اللصوص وأشباههم — يعاملون معاملة لينة كما كان الشيوعيون يؤكدون أنه عندما يصل المجتمع السوفيتى إلى مستوى « الشيوعية الخالصة » فإن الجرائم سوف تختفى .

ومهما يكن من أمر فإن النشاط الجنائى فى الواقع يتزايد بتأميم الصناعات وتجميع المزارع . لقد كان من الواضح أن العمال الذين ليس لديهم ممتلكات كانوا لا يشعرون إلا بمسئولية ضئيلة تجاه الدولة التى تملك كل شىء . وتبعاً لذلك أعيد النظر فى النظام القضائى السوفيتى بصورة شاملة أثناء السنوات الثلاثينية من هـــذا القرن وذلك للتأكد — من وجهة نظر الحزب الشيوعى — من وجود نظام وطاعة أوفر بين العمال . وفى عام ١٩٣٦ أعلن ستالين : « إننا نريد استتباب القوانين أكثر من أى وقت مضى » .

وكان ستالين يقصد بذلك أن الفئة الحاكمة كانت فى حاجة إلى مجموعة كبيرة من القوانين التأديبية لفرض سلطانها على جماهير الشعب . ومثال ذلك قانون العمل القاسى جداً فى نصوصه، الموضوعة من أجل تنظيم وتجنيد العمال . وبالإضافة إلى ذلك فإن العقوبات القاسية تحل بأولئك الذين يتهمون بإعاقة أو تخريب برامج الحكومة الاقتصادية التى تمت بأية صلة إلى خطة الدولة . ولقد شرع فى إعادة النظر فى القانون الجنائى السوفيتى ، ولكن هذا الأمر لم يتم بعد .

(٢) أى نوع من المحاكم القضائية يوجد فى الاتحاد السوفيتى ؟

إن أعلى محكمة وفقاً لدستور عام ١٩٣٦ هى المحكمة العليا لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية . ويوجد لكل جمهورية من جمهوريات الاتحاد محكمتها العليا الخاصة بها ، كما توجد شبكة من المحاكم الأخرى فى المحافظات والأقاليم .

وقامت المحكمة العليا للاتحاد بإنشاء محاكم متخصصة، مثـــل محكمة مواصلات السكك الحديدية ومحاكم العمال التى تنظر فى القضايا الواقعة فى اختصاص هذه الميادين .

وتعرف المحاكم المحلية بالمحاكم الشعبية ، وينتخب أعضاؤها بالاقتراع العام لمدة ثلاث سنوات ، وقبل أن يتم انتخابهم تقوم جماعة من الحزب الشيوعى المحلى بالتحرى تحرياً دقيقاً عن سلوكهم وميولهم .

واستخدام المحاكم القضائية فى الاتحاد السوفيتى فى أغراض سياسية داخلية ، أمر نال سمعة رديئة أثناء حملة « التطهير الكبرى » التى قام بها ستالين للتخلص من منافسيه من أعضاء حزبه فى عامى ١٩٣٧ و١٩٣٨ . فعند النظر فيما أطلق عليه بمحاكمات « البلشفيين القدامى » وأتباعهم ـ وكان أندريه فيشينسكى القائم بأعمال المدعى العام ـ لم يكن لهذه المحاكمات سوى

الصفة الشكلية للإجراءات القضائية، إذ أن الحكم على المدعى عليهم كان قد قرره ستالين نفسه قبل ظهورهم أمام المحكمة .

وبعد وفاة ستالين كانت هناك سلسلة أخرى من المحاكمات شملت وزير الشئون الداخلية لافرنتمى بيريا وزملاءه . ومثل هذه المحاكمات السياسية المحلية كانت الطابع الشائع فى جميع البلاد الشيوعية بما فيها الصين الشيوعية .

والمدعى عليهم فى مثل هذه القضايا فى داخل الحزب ، توجه إليهم عادة تهمة « القيام بنشاط مضاد للثورة والتجسس لصالح دولة أجنبية » و « محاولة تدمير اقتصاد الدولة » و « التخريب ضد الدولة » وغيرها من التهم . وحتى المسئولون الذين يشغلون مناصب عالية فى الحزب الشيوعى والذين كرسوا أنفسهم لخدمة قضية الحزب ليسوا بمحصنين ضد أمثال هذه الحملات التى تتميز بها أنظمة الحكم الجماعية . ففى مايو عام ١٩٥٦ مثلا جاء فى نبأ أن رئيس الوزارة السابق لجمهورية اذربيجان الاشتراكية السوفيتية وثلاثة من المسئولين الكبار أعدموا لقيامهم « بأوجه نشاط معادية للثورة » .

(٣) كيف يساس العدل فى دولة شيوعية ؟

إن أقرب تقدير للعدل — بالمعايير الغربية — هو معاملة الحكومات الشيوعية للمجرمين العاديين ، إذ أن قانون العقوبات السوفيتى فى هذا المجال لا يختلف عن المعمول به فى البلاد الأخرى .

أما فيما يتعلق بالممارسة فى الميدان السياسى ، فإن القوانين والمحاكمات السوفيتية المعززة بالبوليس السرى إنما تنتسب إلى فئة خاصة .

وحتى وفاة ستالين فى مارس ١٩٥٣ كان مبدأ « الشيوعية الاشتراكية » هو المثل الأعلى للعدالة القضائية فى داخل دولة ذات حزب واحد

يستعان به فى أغلب الأحيان لحماية المتهم ، ولكنه لم يطبق إلا فى حالات نادرة . وكان اعتقال المتهم من جانب البوليس السرى يعنى إدانته دون أن يكون له حق الاستئناف ، وإصدار الحكم عليه بعقوبة تتفاوت بين السجن فى معسكرات السخرة والإعدام ، كما كان المتهم يتعرض للتعذيب ولألوان أخرى من أعمال البوليس الإرهابية .

ولقد صرح خروشوف فى خطابه الشهير فى الاجتماع العشرين للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى فى فبراير ١٩٥٦ ، عندما فضح ستالين بتهمة « تقديس الفرد » بأن من ضمن الأخطاء التى ارتكبها ستالين انتهاكه مبدأ « الشيوعية الاشتراكية » فى عدد من القضايا ، كان من جملة المتهمين فيها أعضاء بارزون من الحزب الشيوعى . ولم يشر خروشوف إلى الآلاف من الأشخاص الذين راحوا ضحية « محاكمات التطهير » والذين صدرت ضدهم أحكام من المحاكم العسكرية .

وعقب التشهير الذى قام به خروشوف أنشأ مجلس السوفييت الأعلى لجنة لوضع مشروع قانون وكلفت بمراجعة الإجراءات القضائية فى الاتحاد السوفيتى . وفى شهر ديسمبر عام ١٩٥٨ تبنى مجلس السوفييت الأعلى المبادىء الهامة التى وضعتها اللجنة ، وفى عام ١٩٥٩ كانت محاكم الاتحاد السوفيتى تقوم بتنفيذها ، كما كان هذا التنفيذ يتوقف إلى درجة كبيرة أو صغيرة على الجمهورية المعنية .

إن المشرعين خارج الاتحاد السوفيتى الذين قاموا بدراسة القوانين والإجراءات الجنائية الجديدة هذه ، يشيرون إلى بعض العيوب الموجودة فيها . فالاتحاد السوفيتى لا يأخذ بنظام المحلفين . وقد يقوم أحد المحامين المتمرنين بدور الدفاع عن المدعى عليه ، كما أنه يجوز لأى رجل غريب عن مهنة المحاماة القيام بدور الدفاع عنه بعد استئذان المحكمة فى ذلك .

وكذلك يجوز اعتقال أى مواطن سوفيتى متهم بجريمة بدون تصريح بذلك وحبسه إلى أجل غير محدد دون محاكمته ، أو إعلامه بالتهمة الموجهة إليه . ويسمح للدفاع بأن يرى المتهم أو المدعى عليه وهو تحت الحراسة ولكن لا يسمح له بالاشتراك فى التحقيقات التى تجرى قبل القيام بالمحاكمة .

(٤) ما المقصود « بالمحاكم الشعبية » ؟

المحاكم الشعبية هى أدنى المحاكم فى أحياء المدن ، والقضاة الذين يعملون فيها لا يتمتعون عادة إلا بقدر يسير من الدراية والممارسة القضائية . وهؤلاء القضاة قد يسمح لهم بالنظر فى قضايا عادية كالسكر وضرب الزوجة ، ولكن مهمتهم الرئيسية هى التأكد من أن برامج الحكومة مثل أنصبة الإنتاج السنوية تنفذ محلياً . ومن ثم فإنهم ينظرون فى قضايا تشتمل على « الاحتيال والمراوغة » و « التنصل من المسئولية » والاختلاس من المخزون من المواد الغذائية لدى الدولة وما إليها .

ويجوز كذلك للمحاكم الشعبية مقاضاة المسئولين المحليين المتهمين بالنصب ، والتزييف ، والاختلاس ، وسرقة ممتلكات الدولة ، وتزوير السجلات ، وغيرها من المخالفات ضد منشئات الدولة . فإذا ما كانت هذه الجرائم تشمل موظفين أعلى مرتبة ، فقد تحال إلى محاكم المحافظات أو الأقاليم أو قد تحال إلى المحكمة العليا لجمهورية الاتحاد .

(٥) هل توجد محاكم شعبية فى البلاد الواقعة خارج الاتحاد السوفيتى ؟

توجد محاكم شعبية فى جميع البلاد الشيوعية تقريباً ، بما فيها كوريا الشمالية والصين الشعبية .

وفى أوربا الشرقية أنشئت هذه المحاكم حالما تم للشيوعيين الاستيلاء على السلطة . ولم تقتصر محاكمها على مقاضاة وإعدام « الفاشيين » فحسب ، بل

أصدرت نطقها بالسجن أو الإعدام ضد الآلاف العديدة من كبار وصغار ملاك الأرض وأصحاب المحلات التجارية وغـــيرهم من أعضاء الطبقة المتوسطة . وكان من بين ضحايا المحاكم الشعبية الذين لا حصر لهم فى البلاد التابعة لروسيا اشتراكيون ومزارعون وغيرهم من المواطنين الذين ناهضوا الشيوعية . ففى بلغاريا مثلا لم يكن من بين الـ ١١٫٠٠٠ متهم الذين تمت محاكمتهم بعد استيلاء الشيوعيين على السلطة فيها ، سوى عدد قليل ممن كانوا « مجرمى حرب » . لقد كان العدد الأعظم منهم « أعداء للطبقة الواحدة » ، إذا جاز لنا استعمال عبارة الشيوعيين هذه .

ولا يقل عدد الذين أعدموا فى الصين الشيوعية بأوامر من « المحاكم الشعبية » عن المليون ونصف المليون شخص ، كما أن عدد من جردوا من ممتلكاتهم كان قد وصل إلى أربعين مليون نسمة . وفى البداية كان هـذا « الصراع الطبقى » قد وجه ضد ملاك البيوت وكبار ملاك الأرض ولـكن سرعان ماشمل المزارعين الذين كانوا يملكون مزارع متوسطة الحجم فقط والذين اتهمتهم المحاكم المعروفة « بالمحاكم الشعبية » بكونهم « استغلاليين » حتى عندما كانوا هم وأسرهم يقومون بإنجاز جميع العمل فى مزارعهم .

(٦) أى المحاكم تختص بالنظر فى الجرائم الجزئية ؟

أنشئت وفقاً لمرسوم صدر فى عام ١٩٥٩ محاكم تسمى «المحاكم الأخوية» بغرض النظر فى جرائم طفيفة وأقل خطورة من الجرائم التى تنظر فيها المحاكم الشعبية. وهذه المحاكم تعقد جلساتها فى المصانع وغيرها من المنشئات وبرامج الإسكان والبرامج الريفية التابعة للدولة .

أما أعضاؤها فيتكونون من أشخاص لا دراية أو خبرة لهم بالمسائل القانونية ، ويقومون بالنظر فى قائمـــة طويلة من الجرائم مثل التأخر أو التغيب عن العمل بدون إذن ، وسوء استعمال الممتلكات العامة على نطاق ضيق ، والإهمال فى العمل ، و « عدم الإنتاج فى العمل » . وكذلك

يقوم أعضاء هذه المحاكم بالنظر فى جرائم تتعلق بالسلوك الاجتماعى ، مثل الإهانات والقذف فى الآخرين ، والضرب وأعمال المضاربة والمتاجرة فى السوق السوداء والإدمان على المسكرات .

وقد تستوجب أحكام الإدانة توبيخ المتهمين أمام الجمهور أو فرض غرامات تصل إلى مائة روبل أو تخفيض درجاتهم أو طردهم من أعمالهم . أما المسائل الأكثر خطورة فإنها تحال إلى المحاكم الشعبية . وهذا النظام الجديد يسمح لنفسه بأن يكون عرضة بصراحة لسوء الاستعمال السافر .

(٧) يعتز الشيوعيون بقولهم : إنه لا يوجد لصوص أو سرقة فى الاتحاد السوفيتى . فهل هذا صحيح ؟

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية والتلميحات مازالت تتكرر فى الجرائد السوفيتية بشأن محاكمات الأفراد من اللصوص والسارقين وعصابات المجرمين المنظمة ، كما أن الصحف تنشر أيضاً المزيد من الأنباء الخاصة بأعمال الفساد والإجرام بين المستخدمين والمسئولين فى المشروعات والمصانع الصناعية والمزارع الجماعية ووكالات التوزيع وغيرها التى تديرها الدولة .

وتقدر قيمة ممتلكات الدولة التى تسرق أو يتم التصرف فيها بطرق غير مشروعة ، بالملايين من الروبلات سنوياً . وهذه الجرائم سببها « باعث الربح » الذى ينكره الشيوعيون . أما الجرائم الأخرى فإنها ترتكب فى محاولات من أجل تغطية عدم الكفاءة أو التقصير فى مواجهة أنصبة الإنتاج المخصصة . وكثيراً ما يتم التلاعب فى سجلات المصانع والمزارع لإظهار أن أنصبة الإنتاج المخصصة قد تحققت فى الوقت الذى يكون فيه الإنتاج قد انخفض كثيراً عما هو مقرر له .

أما انحراف الأحداث — من أعمال العربدة والسرقات الطفيفة

والسكر – فقد بانت حديث الجميع حتى أنها أصبحت موضوع حملة سوفيتية ضد الرذيلة فى أعوام ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦ . لقد كان عدد كبير من المشاغبين الشبان من أبناء المسئولين الرسميين .

(٨) أى وزارة فى البلاد الشيوعية تقدم المجرمين للمحاكمة ؟

إن إقامة الدعاوى ضد مخالفى القانون ومقاضاتهم هى من اختصاص وزارة العدل . وفى عام ١٩٥٦ صدر مرسوم بتحويل أعمال وسلطات وزارة العدل لجميع دول الاتحاد إلى وزارات العدل لجمهوريات الاتحاد ، ولكن هذا التحويل فى السلطة القضائية لهذه « الجمهوريات » الوهمية لا يمثل أى مزيد ملموس فى الحكم الذاتى المحلى لها .

ومنصب وزير العدل يعتبر على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة إلى الشيوعيين ، وهم يحاولون السيطرة على بلد ما ، ذلك لأن هذه الوزارة تجعلهم يسيطرون على المحاكم فيها ولأنه بتعيينهم شخصاً شيوعياً أو شخصاً يعطف على الشيوعية كوزير العدل ، يستطيعون مهاجمة معارضيهم السياسيين والتخلص منهم .

وهناك منصب آخر يساوى فى أهميته منصب وزير العدل وهو منصب وزير الداخلية (أو الأمن) الذى برأس البوليس السياسى أو السرى والذى يعمل بالتعاون الوثيق مع وزير العدل بإرشاد من الحزب الشيوعى نفسه .

(٩) هل تم تغيير فى الإجراءات القضائية فى محاكم الدول التابعة للاتحاد السوفيتى ؟

لقد تم إدخال بعض التحرر الفكرى الطفيف على إجراءات المحاكم فى الدول التابعة للاتحاد السوفيتى . ولكنها مع ذلك ما زالت تتسم

بالأساليب الستالينية . فقد كان أن أعلنت حكومة كادار التي تؤيدها موسكو، بعد أن أخمدت القوات السوفيتية المسلحة الثورة المجرية ، أن إمري ناجي رئيس الوزارة المجرية السابق وزملاءه لن يلحق بهم ضرر ، كما صرح كادار نفسه في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨ بينما كان ناجي موجوداً في السفارة اليوغوسلافية في بودابست بقوله : « لقد قطعنا على أنفسنا وعداً بأننا لن نتخذ أي إجراء قانوني ضد إمري ناجي وأصحابه للجرائم التي ارتكبوها في الماضي وسوف نفي بوعدنا » .

ونجح العملاء السوفييت في إغواء ناجي على ترك ملجأه واختفائه ، ورفضت حكومة كادار لمدة شهور أن تصرح بمكان إقامته . وفي ١٧ يونية ١٩٥٨ أعلن أنه قد تم إعدام ناجي والجنرال بال ماليتر وصحفيين مجريين . وجاءت الاحتجاجات من جميع أنحاء العالم تستنكر هذا الصنيع من سوء العدالة ، ولكن خروشوف رغم ذلك يدافع عن إعدام الثوار المجريين السابقين واضطهادهم بالجملة .

الفصل السابع

الستار الحديدي الشيوعي

(١) ما المعنى من عبارتى « الستار الحديدى » و « الستار الخيزرانى » ؟

« الستار الحديدى » عبارة رمزية استخدمت فى الأصل لتصف الحواجز (وهى مخففة الآن نوعاً ما) التى أقامتها الحكومات الشيوعية الأوروبية — لا سيما حكومة الاتحاد السوفيتى — لتمنع الإتصالات الحرة، وتبادل الآراء والمعلومات والسفر بين شعوبها والعالم الخارجى. وعبارة « الستار الخيزرانى » تشير إلى حواجز مشابهة أوجدها الحكام الشيوعيون لكوريا الشمالية والصين الشيوعية لعزل شعبيهما عن العالم الحر.

وقد أطلق ستالين على الحاجز الذى طوق به المواطنين فى داخل وطنهم « النظام الإشتراكى السوفيتى ». ولكنه أبعد بكثير من أن يكون نظاماً إشتراكياً، إذا أن الحدود وموانىء العبور المحروسة حراسة مشددة أصبحت جزءاً من الحواجز الطبيعية، كما أن سلسلة من القيود البعيدة المرمى المفروضة على جميع الأشخاص تحت حكم نظام الشيوعية لا تهدف إلا إلى الحدّ مما يسمعونه أو يقرأونه أو يدركونه من أوجه نشاط وتطورات العالم الحر، والحيلولة دون تسرب المعلومات عن الحالة الحقيقية فى البلاد التى يحكمها الشيوعيون.

ومنذ عام ١٩٥٦ أصبحت الرقابة المفروضة على المراسلين الأجانب فى اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية وبولندا أقل مما كانت عليه، كما أصبح توزيع المطبوعات الأجنبية أكثر تحرراً من السابق.

(٢) كيف يشعر الناس فى اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية إزاء القيود المفروضة على حرية الإعلام ؟

على الرغم من أن الدولة السوفيتية تسيطر على جميع أجهزة الإعلام العامة، بيد أن هناك أدلة قوية على أن الشعب بصفة عامة لا يكترث بالدعاية المرسومة وفقاً « لسياسة الحزب الشيوعى ».

ففى ١٠ يناير ١٩٦٠ أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى قراراً تعلن فيه وجوب شن كفاح لا هوادة فيه ضد « المظاهر الفردية غير السياسية ، والقومية ، والوطنية العالمية ، التى لا تزال موجودة بصورة واضحة فى الحياة السوفيتية ، وضد مخلفات العهد البائد مثل الإهمال فى العمل والواجب العام ، ونهب الممتلكات العامة ، والبيروقراطية ، والفساد ، والمضاربة ، والتزلف ، والسكر ، والعربدة وغيرها من الأشياء الغريبة عن نظامنا». وفى نفس هذا القرار، استنكر كذلك الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى بشدة الخطابات « الجافة والتافهة » التى يقوم بإلقائها رجال الدعاية المحترفون .

وهكذا نجد أنه على الرغم من مرور أكثر من أربعين عاماً على الدعاية المحلية فى محاولة لخلق « الرجل الشيوعى » الجديد ، لا تزال التصرفات والاتجاهات المناهضة للإشتراكية منتشرة . ومهما يكن من أمر فإنه يمكن القول بأن الشعور العام غير مكترث نوعاً ما بالاتجاه نحو الشيوعية والنظام الشيوعى وليس معادياً لهما . وكذلك نوه السياح بأن المواطنين السوفييت ليسوا ميالين إلى مناقشة صحة البيانات التى تنشر فى الصحف أو التى تذاع على موجات الأثير .

(٣) هل يماثل الستار الحديدى الموجود فى الدول الشيوعية الأخرى الستار الحديدى فى الاتحاد السوفيتى ؟

إن الغرض من وجود الستار الحديدى فى جميع البلاد الشيوعية الأخرى واحد ، وهو الحيلولة دون تمكين الملايين من الناس فى البلاد الشيوعية الواقعة خارج اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية من الإتصال بالعالم الحر . ولكن بما أن البلاد الدائرة فى فلك الاتحاد السوفيتى واقعة

بالقرب من بلاد أوروبا الغربية أو تشترك معها فى الحدود ، فإن مهمة الاحتفاظ بالحواجز متماسكة بينها وبين العالم الحر أمر أكثر صعوبة .

وكذلك تقوم شعوب هـــذه الدول الأسيرة بالاستماع بتلهف إلى الإذاعات الموجهة إليها من الدول الغربية بالرغم من العقوبات الشديدة التى تتعرض لها بسبب القيام بمثل هذه الأعمال . وفى سبيل التشويش على هذه الإذاعات تقوم الحكومة السوفيتية بإنفاق المبالغ الطائلة وبذل الجهود الكبيرة . (وافقت الحكومة السوفيتية فى ٣ فبراير عام ١٩٦٠ على أن توقف تشويشاتها على الإذاعات البريطانية الموجهة باللغة الروسية إلى اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية ، ولكن تشويشاتها بالنسبة للإذاعات الأمريكية مازالت مستمرة) .

(٤) لماذا لا يسمح للشعوب فيما وراء الستار الحديدى برؤية وسماع مايجرى فى العالم الحر ؟

إن أبسط تفسير للقيود والموانع التى يفرضها الستار الحديدى هو أن الحكام الشيوعيين يخشون السماح لشعوبهم المغلوبة على أمرها بأن تسمع وتعرف الحقائق ، لأنهم يعلمون أن الحقيقة ستهزم دعاياتهم .

والسبب الآخر يتعلق بالنظريات الماركسية — اللينينيه عن « التعليم فى الشيوعية » ذلك أن الشعوب فيما وراء الستار الحديدى إذا لم تسمع أو تقرأ شيئاً إلا عن « الماركسية اللينينية » سنة بعد أخرى فإنها تصل - وهذا هو منطق الشيوعيين — إلى الوقت الذى تتقبل فيه جميع هذه المبادىء كأنجيل لها . وهذا القول ينطبق لدرجة كبيرة على الشعب فى روسيا السوفيتية ، ولكنه لاينطبق إلى حد كبير على الشعوب فى البلاد التى استولى عليها الشيوعيون فى الآونة الأخيرة .

(٥) هل هناك من فرص لتبادل الزوار بين البلاد الشيوعية وغيرها من البلاد ؟

تقوم الحكومة السوفيتية بإرسال العديد من البعثات التجارية والثقافية إلى الخارج ، كما تقوم باستقبال مثل هذه البعثات داخل أراضيها ، وتظهر موسكو اهتماماً متزايداً بتبادل الوفود العلمية والفنية وذلك تمشياً مع رغبتها التى جاهرت بها فى أن تلم بالتطورات الخارجية فى مثل هذه الميادين التى هى متأخرة فيها . وكذلك تقوم الفرق الرياضية من شعوب الستار الحديدى بالاشتراك فى مباريات دولية ، كما تقوم فرق الباليه والأوبرا بجولات فى الدول الواقعة خارج حدود بلادها .

وإذا ما استثنينا البعثات الرسمية والجولات الخارجية التى تقوم بتمويلها الحكومة السوفيتية ، فإن المواطن السوفيتى لا يكون أمامه سوى القليل من الفرص للسفر خارج حدود بلاده . وسفر مواطنى البلاد الشيوعية إلى الدول الحرة من أجل السياحة مقيد تقييداً شديداً ، كما أن السياحة من الدول الحرة إلى المناطق الشيوعية هى أيضا مقيدة ، ولكن هذه القيود خففت نوعاً ما .

ومنذ عام ١٩٥٨ والسياح يشجعون على زيارة الاتحاد السوفيتى ، ونتيجة لذلك قام عدة آلاف من السياح — وكان يرافقهم رجال من وكالة السياحة السوفيتية الداخلية — بزيارة بعض المناطق المختارة لقيمتها الدعائية الكبيرة . وأياً كان الأمر فما زالت هناك مناطق واسعة مغلقة أمام الزوار .

(٦) هل يسمح للناس فى البلاد الشيوعية بقراءة الصحف الأجنبية والاستماع إلى الإذاعات ورؤية برامج التليفزيون الخارجية كما يسمح للناس فى الدول الحرة ؟

جميع الصحف ومواد الإعلام الأخرى المتاحة لمواطنى البلاد الشيوعية

تخضع لسيطرة حكوماتهم ورقابتها . فمحطات الإذاعة التي تملكها الحكومة وتديرها لا تذيع سوى الدعاية الرسمية والأنباء التي تعدها المصادر الحكومية ، كما أنه لا يسمح بإقامة أية محطة إذاعية أو تليفزيونية ، ومحظور على المواطنين الاتصال بمصادر الأنباء والمعلومات الخارجية .

(٧) هل توجد حرية صحافة في البلاد الشيوعية ؟

كلا ، فقد أعطى لينين الرد الشيوعي على حرية الصحافة عندما قال :

«يجب أن تكون الصحف الدورية وغير الدورية وجميع الأعمال الخاصة بالنشر خاضعة تماماً للجنة المركزية للحزب (الشيوعي) بغض النظر عما إذا كان الحزب ككل شرعياً أو غير شرعي في ذلك الوقت . كذلك يجب ألا يسمح للمشروعات الخاصة بالنشر بأن تسيء استعمال استقلالها الذاتي باتباعها سياسة لا تمثل سياسة الحزب تمثيلاً تاماً».

ولا تخضع الصحف في كل بلد من البلاد الشيوعية لرقابة الحزب الشيوعي التامة فحسب ، ولكن الجرائد والمجلات الشيوعية التي تصدر خارج الستار الحديدي تردد أيضاً أصداء «خطة موسكو» . أما في الصين الشيوعية وكوريا الشمالية فحرية الصحافة فيهما منعدمة .

هذا ، ويمكن القول بأن الرقابة المشددة المفروضة على الصحافة في البلاد الشيوعية تطبق بحذافيرها على إذاعات الراديو والتليفزيون الموجودة فيها .

(٨) هل تطبق الرقابة على أوجه النشاط الثقافية في البلاد الشيوعية ؟

تطبق أعمال الرقابة والإشراف من جانب الحزب الشيوعي على جميع أوجه النشاط الثقافية على وجه العموم ، تحت ستار تنفيـــذ مبدأ

« الواقعية الإشتراكية » . والواقعية الإشتراكية حسبما هى معرّفة فى الموسوعة السوفيتية الضخمة هى وسيلة تعكس الحياة فى الأدب الخاص بالمجتمع الإشتراكى (الشيوعى) . وتحتاج الواقعية الإشتراكية إلى تصوير الحقيقة فى تطورها الثورى ، كما أن مشكلة الأدب تعتبر المخطط الحقيقى والعميق لأناس جدد وخلاقين لمجتمع إشتراكى ولكفاحهم نحو تحقيق الشيوعية » .

وقد أدت ممارسة هذا المبدأ إلى إنتاج ضخم من الأعمال العامة الدنيا، لا تعدو أن تكون أكثر من دعاية للحزب والدولة والإيديولوجية الشيوعية .

ومن الأشياء التى تأثرت أقل من غيرها « بالواقعية الاشتراكية » : الباليه وغيره من أنواع الرقص — الذى هو على مستوى الفن الرفيع فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية — والموسيقى السوفيتية . فلقد تعرض الكثير من الملحنين السوفييت الحائزين على شهرة عالمية لسنوات عديدة لحملات بسبب أن موسيقاهم لم تفلح فى ترجمة « حياة الشعب» . ومن هؤلاء الموسيقيين المشهورين شوستاكوفيتش ، وبروكوفيف، وخاتشودريان الذين رد إليهم الحزب اعتباراتهم وحقوقهم فى عام ١٩٥٨ ولا يضايقون فى الوقت الحاضر .

أما الكتاب القلائل الذين تاهوا فى قواعد وشرائع « الواقعية الاشتراكية » ، فقد تمت إداناتهم بقساوة .

وعقب وفاة ستالين فى عام ١٩٥٣ تحول عدد من المؤلفين الذين كانوا مقيدين تقييداً شديداً من ناحية موضوع البحث ومعالجته إلى الكتابة الخلاقة الأكثر تحرراً . ووجه اتحاد المؤلفين الذى يسير وفقاً لخطة الحزب اللوم إلى أهرنبرج لكتابته أول رواية فى هذا الاتجاه وهى

« ذوبان الجليد The Thawn » وأصبت الرواية التي كتبها دود ينتسيف بعنوان « ليس بالخبز وحده Not by Bread Alone » — وكانت حدثاً فذاً من ناحية مخالفتها لخطة الحزب — هدفاً لحملة من النقد شنها عليه نقاد الحزب المستقيمو الرأى . وفى عام ١٩٥٧ نشرت فى إيطاليا أعظم قصة خيالية جدلية لكاتبها الشاعر بوريس باسترناك وهى « الدكتور جيفاكو » وسرعان ما لقيت رواجاً عظيماً على الرغم من أنها كانت محرمة فى روسيا .

وفى أكتوبر عام ١٩٥٨ منح باسترناك جائزة نوبل فى الأدب وكان ذلك شرفاً له أثار عاصفة من الاحتجاجات من الناطقين باسم الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى واتحاد المؤلفين ، ونتيجة لذلك رفض باسترناك الجائزة .

وفى عام ١٩٥٩ بذل الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى وغيره من الأحزاب الشيوعية الزميلة فى البلاد التابعة لروسيا كل جهد مستطاع لكى يصموا جميع الكتابات المنشقة عن خطة الحزب الشيوعى سواء كانت خيالية أو انتقادية أو درامية . ولم تستمر الروح الخلاقة الجديدة إلا فى بولندا ، إذ أن الحركة الأدبية التى كانت قد برزت فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ما لبثت أن كبتت كما أن الفورة المماثلة من الأدب من جانب الكتاب غير التابعين للحزب الشيوعى فى الصين الشيوعية وفيتنام الشمالية كانت قد صفيت تماماً قبل حلول عام ١٩٥٩

الفصل الثامن

الشيوعية والدين

(١) هل توجد ديانة فى البلاد الشيوعية ؟

على الرغم من الإجراءات الجائرة التى تتخذها الحكومات الشيوعية من أجل إضعاف الاعتقاد بالدين و بالتالى القضاء عليه ، فإن الدين لم يفقد من سيطرته على الشعوب التى تعيش فى ظل الحكم الشيوعى .

فالديانات البوذية والإسلامية والمسيحية لا يزال لها الملايين من أتباعها فى الدول التى يحكمها الشيوعيون ، ولكن قوة الكنيسة كمؤسسة منظمة ضعفت لدرجة كبيرة . والزعماء الدينيون — من قساوسة وغيرهم من سلك الإكليروس — يخضعون لمختلف ألوان الضغط والتهديد من جانب حكومات شيوعية ملحدة .

ومنذ عام ١٩١٨ والآلاف من الكهنة والرهبان والراهبات والقساوسة يرسلون إلى معسكرات السخرة أو يتم إعدامهم . أما الاضطهاد لأسباب دينية فقد توقف فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، ولكنه ازداد عما كان عليه فى الصين الشيوعية .

(٢) لماذا يرمى الشيوعيون إلى القضاء على الدين ؟

إن الشيوعيين الذين فى الحكم لا يأخذون بالقول المأثور : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» . إنهم يطالبون بدلاً من ذلك الطاعة العمياء والإخلاص التام لسلطة واحدة ، هى نظام الحكم الشيوعى أو الحزب الشيوعى . و بالقدر الذى به تعلم الديانة أن السلطة المقدسة للكائن الأسمى هى فوق جميع السلطات ، فإن الشيوعيين يهبون أنفسهم للقضاء على الدين .

و بالإضافة إلى ذلك ، إن الشيوعيين عندما تسلموا زمام الحكم وجدوا أمامهم ما يحتاجون إليه من مصادر للإيراد فى ممتلكات الكنيسة ،

فاستولوا عليها بحجة تخليص مختلف البلاد التى يسيطر عليها الشيوعيون من « أفيون الشعوب » ، وهى العبارة التى يصفون بها الدين .

(٣) إذا كان الشيوعيون يهاجمون الأديان ، فما هو المعتقد الذى يدين به الناس فى ظل الشيوعية ؟

إن معظم الناس فى جميع البلاد الشيوعية لا يزالون يعتقدون بوجود « الكائن الأسمى » . والذين يدينون بالشيوعية هم جزء يسير من مجموع السكان فى البلاد التى يحكمها الشيوعيون ، وحتى الشيوعيون أنفسهم منقسمون على بعضهم البعض فيما يتعلق بمسألة العقيدة . وفى الواقع إن الذين يكرسون أنفسهم للنظريات الماركية — اللينينية ويؤمنون بترجمتها إلى حيز الوجود من أجل تحسين مصائر الناس ، لا يكونون سوى جزء ضئيل من السكان .

إن الأغلبية العظمى من الشيوعيين يعتقدون بأن تمسكهم بالحزب هو السبيل الوحيد الذى يمكنهم من السير تدريجياً قدماً نحو الإستيلاء على السلطة أو مراكز النفوذ .

(٤) ما هى الديانة التى يعترف بها الشيوعيون ؟

لا يعترف الشيوعيون بأى دين . فالديانة يعرفونها بصفة شاملة بخدمة وعبادة الإله أو أى إله . والشيوعيون يعترفون بأنهم قوم ملحدون ، أى ينكرون حقيقة وجـــود الله بالإضافة إلى أن زعماءهم يتهمون أعضاء الحزب الشيوعى بمهمة القيام بمكافحة الدين مكافحة نشطة .

(٥) هل توجد كاتدرائيات ومعابد فى روسيا السوفيتية ؟ وهل تقام المراسيم الدينية فيها ؟

توجد فى روسيا السوفيتية كاتدرائيات وكنائس وجوامع ومعابد

مفتوحة أبوابها للمصلين، ولكنها لا تكوّن سوى جزء يسير مما كان موجوداً قبل الثورة البلشفية . فهناك عدد كبير من المدن الجديدة مثل مانيتوجورسك وستالينسك، وعدد سكان كل منهما حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة، وكاراجندا وعدد سكانها ١٢٠٫٠٠٠ نسمة ليس فيها كنيسة واحدة .

والشيوعيون يتساهلون فى الوقت الحاضر فى إقامة الخدمات الدينية فى المدن، ولكنهم يضعون الحواجز أمام المصلين فى المناطق الريفية، وذلك لأن الأشخاص الذين يبدون حماساً دينياً قد يخضعون « لرقابة » البوليس السرى، كما أن التهم التى توجه إلى المؤمنين غالباً ما تكون مبنية على أسباب « نشر الخرافات » و النشاط المعادى للدولة » وما إلى ذلك .

(٦) ماهى الديانة التى يكرهها الشيوعيون أكثر من غيرها ؟

لقد تعرض الأعضاء التابعون لجميع المعتقدات الدينية لألوان مختلفة من ضروب الاضطهاد من جانب الحكومات الشيوعية . فى دول البلطيق والبلاد التابعة لروسيا من أوروبا الشرقية كانت الحملات ضد الدين موجهة بصفة رئيسية ضد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية والكنيسة الأرثوذكسية . أما فى آسيا الوسطى ومنطقة الشرق الأقصى الشيوعية فإن ضحايا الإضطهاد الدينى من المسلمين والبوذيين والمسيحيين .

(٧) كيف يعامل الشيوعيون المتدينين ؟

تنظر الحكومات الشيوعية نظرة شك إلى أولئك الناس الذين يبدون تديناً سافراً فى البلاد الشيوعية، مع أنهم قد لايتعرضون فى الواقع للإعتقال أو الاضطهاد بسبب اعترافهم بالدين، كما أن المناصب ذات المرتبات المرتفعة والنفوذ لا تتاح إلا لعدد قليل منهم .

وفى الصين الشيوعية حيث تعامل الإرساليات الأجنبية بوحشية، تقوم حكومة بكين فى الوقت الحاضر بشن حملة ضد أعضاء الجماعات الدينية

المحلية معللة ذلك بأنهم يقـــومون ، بأوجة نشاط مضاد للثورة ، تحت ستار الدين .

كذلك ينصح أعضاء الحزب الشيوعى فى جميع أرجاء العالم بالقيام بدور فعّـال فى الحملات المعادية للدين . وفى البلاد الأوروبية التى ترزح تحت أنظمة الحكم الشيوعى ، أسفرت هذه الحملات المعادية للدين عن السخرية بالمصلين وإهاناتهم أمام الجمهور ، بل وتوجيه أعمال الشغب والعربدة ضد المتدينين ممن هم فى سن الرشد ، وإظهار التفرقة ضد أولادهم من جانب المدرسين وغيرهم من سلطات المدارس الشيوعية .

لقد اعترف دستور السوفييت لعام ١٩٣٦ « بحرية ممارسة الشعائر الدينية وبحرية الدعاية المعادية للدين» . ومع ذلك فإن التفسير الرسمى للفقرة الخاصة بحرية الدين قصر تطبيقها على « التوسل إلى الله وممارسة الشعائر الدينية وما إليها . أما القيام بأوجه نشاط تزيد على ما تحتاجه هذه المتطلبات فليس مصرحاً به » . وهذا التفسير الرسمى يستبعد كذلك أعمال البر الواسعة النطاق وأوجه النشاط الثقافية التى تقوم بها الهيئات الدينية (أنظر السؤال العاشر) .

(٨) هل تفرض أية عقوبات رسمية على مدرسى الدين أو القساوسة ؟

لم تفرض أية عقوبات رسمية عـــلى القساوسة التابعين للكنيسة الأرثوذكسية فى الاتحاد السوفيتى منذ تطبيق دستور عام ١٩٣٦ ، ولكن الحزب الشيوعى لم يتقاعس عن التحريض على شن حملة مناهضة للدين ترمى إلى منع الجيل الناشىء من أن يُصبح متمسكاً بالديانة . ومنذ عام ١٩٤١ قامت الحكومة السوفيتية بمنح الكنيسة مساعدات عملت بدورها على تأييد الحكومة تأييداً قوياً فى الداخل والخـــارج . ومهما يكن من أمر فقد سارت الحملة

الشيوعية ضد الدين بخطوات سريعة منذ أن أصدر الحزب الشيوعى أوامره بذلك فى عام ١٩٥٤ .

ويتساهل الحزب فى المساندة الحالية المألوفة للكنيسة الأرثوذكسية مفترضاً أن الجيل القديم والأكثر تديناً سوف يموت عما قريب، وأن الجيل الناشىء سوف يكون مادياً .

وفى أوروبا الشرقية قامت الحكومات الشيوعية بزج الآلاف من رجال الدين (الإكليروس) فى السجون وإعدام الكثيرين بعد أن وجهت إليهم تهم القيام « بأوجه نشاط ضد الدولة » . وفى عام ١٩٥٦ وبينما الحكومات التابعة لحكومة موسكو تذيع نبأ الإفراج عن بعض المسجونين السياسيين ، كان الكثيرون من الزعماء الدينيين لايزالون يقبعون فى سجونهم أو معتقلين فى بيوتهم .

وعقب الفورات التى قامت فى بولندا والمجر تم الإفراج عن الكاردينال البولندى ستيفان ويزنسكى فى ٢٨ أكتوبر بعد أن قضى فى السجن ثلاث سنوات ، وفى المجر سمح للكاردينال جوزيف منزنتى بالعودة إلى وطنه بعد ثمانى سنوات قضاها فى المعتقل . ولما قامت القوات السوفيتية باحتلال بودابست فى ٣ نوفمبر سارع الكاردينال منزنتى بالإلتجاء إلى المفوضية الأمريكية .

(٩) هل للحكومات الشيوعية أى نفوذ فى تعيين القساوسة وغيرهم من أعضاء الإكليروس ؟

تمارس جميع الحكومات الشيوعية مختلف درجات السيطرة على المؤسسات والقساوسة والطوائف الكنسية فى نطاق حدودها .

ففى تشيكوسلوفاكيا الشيوعية مثلاً وضعت الرقابة التامة على الحياة الدينية وشئون الكنيسة ، وفقاً لمرسوم صدر فى مايو ١٩٥٠ ، فى أيدى

الإدارات الكنسية التابعة للجان المديريات الشعبية التى ما هى فى الواقع إلا وكالات للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى .

وهذه الإدارات تقوم بمراقبة جميع ممتلكات الكنيسة وتمارس سلطتها على الطوائف والجماعات الدينية ، كما تمارس مراقبتها التامة على شئونها المالية وتدفع مرتبات القساوسة وغيرهم ممن يعملون فى خدمات الكنيسة ، وتصدر قراراتها فى كثير من المسائل مثل تحديد المناصب والترقيات وما إليها .

والزعماء الدينيون الذين يدركون إلتزاماتهم الروحية لا يساندون الحكومات الشيوعية مساندة نشيطة ولكن يوجد فى بعض البلاد التى يحكمها الشيوعيون رجال دين ممن يتعاونون مع الشيوعيين .

فمثلاً يوجد فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية أساقفة تابعون للكنيسة الأرثوذكسية ، يتصرفون كأنهم الناطقون بالدعاية الحكومية والمدافعون عن السياسة السوفيتية الخارجية . وفى أوروبا الشرقية ، لا سيما فى المجر ، هناك من يدعون « بقساوسة السلام » — ومن جردتهم كنائسهم من وظائفهم — يقومون بنشاط فعّال فى « حركة السلام » وهى جبهة شيوعية . وفى الصين الشيوعية يقوم بعض الكاثوليك ممن حرمتهم الكنيسة الكاثوليكية بالعمل كرؤساء صوريين للحزب الشيوعى ومؤيدين فى الخفاء للشيوعية ، كما يقوم بتأدية مثل هذه الأعمال بعض المسلمين المارقين فى جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية .

(١٠) هل يعاقب الوالدان المتدينان فى الدول الشيوعية ؟

لا يعاقب الوالدان مباشرة لتعليمهم مبادىء دينية فى البيوت ، بيد أن الحكومات الشيوعية تبذل كل جهد مستطاع للتغلب على نفوذ وتأثير الوالدين . فقد نشرت صحيفة « مولودوى كوميونست » — وهى لسان حال

الشباب السوفييت — فى شهر أكتوبر ١٩٥٩ مقالاً بعنوان : «حافظوا على الأولاد من النفوذ الدينى فى الأسر» ، استشهد فيه كاتبه بالمادة ١٢٤ من دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية التى تضمن «حرية الضمير» ثم علق على ذلك بقوله : «إن حق ممارسة المعتقدات الدينية وكذلك حق القيام بدعاية مناهضة للدين معترف بهما فيما يتعلق بجميع المواطنين» .

ثم يبرهن على ذلك فيقول : «إن حرية الضمير فى بلادنا تعنى منح الحرية للمؤمنين ، وكذلك منح الحرية للملحدين ليقوموا بدعاية فى صالح المعرفة العلمية المادية». ثم ينتقل المقال من هذا الافتراض فيختتم بقوله إن أية محاولة من جانب الوالدين لمنع تلقين أولادهم تعاليم مناهضة للدين : «هى فى الواقع مخالفة للقانون فيما يتعلق بحرية الضمير ، ومن ثم فإن الوالدين يعتبران مسئولين عن ذلك ويجب استجوابهما بشأن تعليم الأولاد فى البيت أية ثقافة دينية مناهضة للاشتراكية ، وأن هذه المسئولية يجب أن لا تكون أدبية فحسب ، بل وذات طبيعة قانونية إذا ما تطلبت مصلحة الدولة ذلك» .

إن هذا المقال الرسمى يبين أن اتخاذ إجراء قانونى ضد الوالدين المتدينين هو محل بحث إذا استمر هذا النشاط الدينى المعتدل السائد فى الوقت الحاضر .

(١) ما هو وضع القسس فى روسيا السوفيتية ؟

يسمح للقسس التابعين للكنيسة الأرثوذكسية الروسية بإقامة الشعائر الدينية بأعداد محدودة ، ولكنهم فى الوقت ذاته مطالبون بتأييد سياسات الحكومة وبرامجها . فقد أعلن البطريرك سيرجى رئيس الكنيسة الأرثوذكسية ولاء كنيسته التام للحكومة السوفيتية ، ونادى بستالين مدبّر الكثير من حركات التطهير الدموية «كزعيم معيَّن من قبل الله» .

وممارسة القسيس الأرثوذكسى لواجباته الدينية مقيدة بحقيقة أن أبرشيته قد يتم إخلاؤها ممن فيها وفقاً لأهواء المجلس السوفيتى المحلى . وحتى يمكن إقامة مكان للعبادة لابد أن ينتظم عدد من أتباع الأبرشية لا يقل عن عشرين عضواً فى « جماعة دينية » ويسجلوا أسماءهم لدى المجلس السوفيتى المحلى الذى قد يمنحهم عقداً بإنشاء كنيسة . ولكن حيث أن هذه العقود يجب تجديدها من وقت لآخر فإنها قد تفسخ باختيار المجلس السوفيتى المحلى .

وبالإضافة إلى رجال الإكليروس التابعين للكنيسة الأرثوذكسية الروسية ، فإن الزعماء الروحانيين التابعين للطوائف الدينية الأخرى — بما فيها الطوائف الإسلامية واليهودية والطوائف المسيحية غير الأرثوذكسية — ما زالوا يواصلون ممارسة شعائرهم الدينية فى الاتحاد السوفيتى . وأياً كان الأمر فإن هذه الطوائف قليل عديدها ، ولذا فلا بد لها عند ممارسة واجباتها الدينية من أن تتجنب أقل نقد لأعمال نظام الحكم السوفيتى .

(١٢) هل يسمى الشيوعيون الدين مخدراً ؟

قال لينين : « إن ما قاله ماركس — وهو أن الدين أفيون الشعوب — هو حجر الزاوية من وجهة نظر ماركس فيما يتعلق بمسألة الدين » .

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٥ قال نيكيتا خروشوف زعيم الحزب الشيوعى السوفيتى لرئيس الجمعية الفرنسية الوطنية أثناء زيارة قام بها جماعة من الأعيان الفرنسيين إلى موسكو : « إن الشيوعية لم تغير من موقفها المناهض للدين . ونحن بدورنا نعمل كل شىء يمكن أن نعمله لنزيل القوة الساحرة لأفيون الدين » .

(١٣) فى ظل النظام الشيوعى ، هل يستولى الشيوعيون على ممتلكات الكنائس والمعابد ؟

استولت الحكومة فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية على جميع ممتلكات الكنيسة . أما فى البلاد الشيوعية الأخرى فقد يسمح للكنيسة بالاحتفاظ بممتلكاتها ولكنها فى الوقت ذاته تدار بواسطة وكالة حكومية. ولقدتمت مصادرة الأراضى التابعة للكنيسة بوجه عام، ولكن قطعاً صغيرة منها خصصت للوفاء بنفقات كهنة الأبريشيات .

وبين عامى ١٩٢١ و ١٩٢٣ قامت الحكومة — فى جمهورية سوفيتية واحدة — بإغلاق ٧٢٢ ديراً وبالإستيلاء على جميع موجوداتها من كتب وصور دينية وأثواب كهنوتية وأشياء خاصة بإقامة الشعائر الدينية وغيرها من الأشياء الثمينة .

(١٤) كيف يعامل الشيوعيون البوذيين ؟

فى عام ١٩٤٣ أصدر ستالين مرسوماً ألغى بموجبه الاستقلال الذاتى لمنطقة فالميك الواقعة على نهر الفولجا ، وتبعاً لذلك نفى العدد الأعظم من سكانها إلى جهات غير معروفة .

وفى الصين الشيوعية يرغم الكهنة البوذيون على حضور محاضرات يلقيها عليهم رجال دعاية شيوعيون أميون ملحدون ، كما أرغم الكهنة البوذيون فى المدن ، الذين جردوا من وسائل معيشتهم ، على أن يجدوا لهم أعمالاً يدوية يتقاضون عنها أجراً بخساً .

وفى التبت يعكر صفو الحياة فى الأديرة بسبب الغزاة الصينيين الشيوعيين الذين قاموا بشن حملة تدميرية ضد الأديرة والرهبان هناك (أنظر الفصل الأول) .

(١٥) كيف ينفذ الشيوعيون القضاء على الدين ؟

يستخدم الشيوعيون العديد من الوسائل فى مهاجمتهم الدين . فالشيوعيون ينشدون عن طريق مصادرتهم للممتلكات التابعة للهيئات الدينية واستنفاد مصادر إيراداتها ، خنق التأييد الاقتصادى لهذه الهيئات الدينية . وحيث أن أنظمة الحكم الشيوعية هى التى تسيطر على جميع وسائل النشر وورق الطباعة ، فإنهم يستطيعون الحد من تدفق المواد الدينية المطبوعة .

والشيوعيون يشنون حملاتهم على التعليم الدينى من زاويتين . فمن جهة قاموا بإغلاق المدارس الدينية الخاصة ، ومن جهة أخرى أخذوا على عاتقهم الإشراف على الكليات والمدارس اللاهوتية . ومن المؤكد أن نظام التعليم الخاضع للدولة فى ظل الحكم الشيوعى ذو طابع معاد للدين .

وبالإضافة إلى ذلك تقوم الحكومات الشيوعية باعتقال وسجن الزعماء الدينيين ، ولكن ليس بحجة العقيدة الدينية بل بتوجيه تهم أخرى لهم مثل التجسس ، والمضاربة فى السوق السوداء ، واختلاس أموال الكنيسة وغيرها من التهم . والهدف من هذه الاتهامات التى لا أساس لها هو الحط من قدر زعماء الكنيسة فى أعين أعضاء رعاياها ، وأيضاً محاولة خداع العالم الحر عن الغرض الحقيقى لهذه المحاولات وهى القضاء على الدين نفسه .

وكذلك يحرض أعضاء الهيئات الشيوعية وأعضاء الحزب الشيوعى على الدخول فى حملات مناهضة للدين . وفى معظم البلاد الشيوعية تقوم « عصبة من الملحدين » بتنفيذ أوجه نشاط مضادة له .

وفى شهر مايو عام ١٩٥٧ قام الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى بالتحويل

والإشراف على مؤتمر إلحادىّ فى موسكو، حضره حوالى ٣٥٠ رجلاً من رجال الدعاية المناهضين للدين ، وأسفر عن إحياء «عصبة المجاهدين للكفر بالله» التى كانت قد حُلّت فى عام ١٩٤١ .

وقامت الدولة كذلك فى العام ذاته بإنشاء « بيت الملحدين » فى أوديسا وهو أول مؤسسة تقف جهودها خصيصاً على تلقين الإلحاد والتدريب عليه . وفى عام ١٩٥٨ أنشئت «جامعة الكفر بالله» فى مدينة أشقباد فى تركيمنستان وتم تنظيم معهد آخر فى مدينة لينينجراد ، كما كانت تقام مدارس أخرى من هذا النوع بين عامى ١٩٥٩ و ١٩٦٠ .

(١٦) هل يقوم الشيوعيون بتشجيع الشعور المناهض للدين فى البلاد الواقعة خارج حدود الكتلة الشيوعية ؟

يقوم الشيوعيون ، أيان يستطيعون ممارسة نفوذهم ممارسة سافرة أو فى الخفاء ، بمهاجمة أو محاولة تقويض المعتقدات الدينية لاسيما فى البلاد المتأخرة. وهذا أمر يرجح حدوثه فى المدارس المحلية التى قد يكون مدرسوها إما من أولئك الذين يعطفون على الشيوعيين أو ممن يسيرون فى ركابهم .

وعندما فاز الحزب الشيوعى الهندى بالسيطرة على ولاية كيرالا كانت أول خطوة اتخذها نظام الحكم هناك هى إدخال كتب التعليم ذات الميول الشيوعية . وفى أوائل عام ١٩٥٩ كان قد اقترح مشروع قانون خاص بالتربية والتعليم لو أجيز لجعـــل فى استطاعة الإدارة التى يتسلط عليها الشيوعيون السيطرة على جهاز المدارس بأسره بما فيها ذلك العدد الكبير من المدارس الطائفية . وكان الشيوعيون يهدفون بذلك إلى مناصرة التربية والتعليم المؤيد للشيوعية ، وبالتالى تخفيض التعليم الدينى تدريجياً .

وكانت المعارضة لمشروع القانون هذا قد وصلت إلى درجة كبيرة ، حتى أن حكومة الهند المركزية فى ٣١ يوليو عام ١٩٥٩ قامت بحل حكومة كيرالا. ولقد اتضح الطابع الجماعى الذى كانت تتسم به حكومة كيرالا بمحاولتها إضعاف وتدمير المقاومة عن طريق المدارس .

(١٧) ما الدور الذى يستطيع الزعماء الدينيون القيام به فى مقاومة الشيوعية ؟

يستطيع الزعماء الدينيون من أية ملة كانت أن يفضحوا أخطار الشيوعية فى الوقت المناسب الذى يكون فيه الشيوعيون يحاولون علانية أو فى الخفاء استمالة الناس إليهم . وحيث أن الدين هو ضرورة شاملة وأن تاريخ الاضطهاد الشيوعى يوضح أن العقيدة لا يمكن استئصالها ، فإن رجال الإكليروس يستطيعون مواصلة إتمام هذه الضرورة حتى بعد أن يكون الشيوعيون قد استولوا على مقاليد الأمور فى أية حكومة .

إن الدين لحصن عظيم ضد انتشار الشيوعية ، كما أن التاريخ يوضح أن فترات الإلحاد المنظم لم يكتب لها البقاء لآجال طويلة .

الفصل التاسع

التربية والتعليم في ظل الشيوعية

(١) ما هو الأساس الشيوعى للتربية والتعليم فى الاتحاد السوفيتى ؟

ينص الدستور السوفيتى لعام ١٩٣٦ على « حق » التعليم لجميع المواطنين فيقـــول :

« لجميع المواطنين فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الحق فى التربية والتعليم . وهذا الحق مكفول لهم عن طريق توفير : تعليم أولى إلزامى شامل ، وسبع سنوات من التعليم المجانى ، ونظام من المخصصات الحكومية للطلبة المبرزين فى المدارس العليا ، والقيام بدروس وإرشادات فى اللغة المحلية ، وتنظيم تدريب مهنى ، وفنى ، وزراعى ، للعمال فى المصانع والمزارع ، ومحطات الجرارات والمزارع الجماعية التابعة للدولة » .

واتخذ المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى قراراً ينص على التحول من التعليم الشامل لسبع سنوات إلى التعليم الثانوى الشامل لعشر سنوات . ولكن قبل أن يتم البدء فى تنفيذ برنامج السنوات العشر تم اتخاذ مشروع جديد فى شهر نوفمبر عام ١٩٥٨ ، استلزم تغيير النظام بأسره حتى يمكن تهيئة التعليم الإلزامى على أساس ثمانى سنوات .

(٢) ما مقدار التعليم الذى يتوفر فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ؟

ينتهى التعليم العام بالنسبة لأغلب الطلبة بعد إتمام السنة الدراسية السابعة. وتبدأ فترة التخصص فتحول أوجه نشاط دراسة الطالب نحو تحقيق الهدف النهائى للثقافة الشيوعية الكاملة ، أى استغلال جميع خدماته من جانب الدولة وحدها ولصالح الدولة وحدها .

ويبدأ التخصص بتوظيف الطالب لبعض الوقت فى الصناعة أو فى

المزرعة الجماعية أو فى مدارس العمل المتصلة بالمصانع والتى تعرف بمدارس العمل الاحتياطية . وتكوّن المدرســـة الداخلية وحدة أخرى من هذا النظام .

وتتخصص المدارس المتعددة الصنائع والفنون تخصصاً متشدداً . فبعد أن يتم الطالب منهاج مدرسة الصنائع والفنون يكون لزاماً على المتخرج منها أن يشتغل فى الصناعة لمدة ثلاث سنوات ، يجوز له بعدها أن يلتحق بمعهد فنى عالى ولكن فى نطاق اختصاص الشخص المتخرج .

وبعد الانتهاء من دراسة ثمانى سنوات تشتمل على برنامج عملى ودراسى فى الوقت ذاته على مستوى المدارس الثانوية ، يتوظف معظم الطلبة فى الصناعات أو المزارع الجماعية كعمال نصف مهرة . وقد يسمح لعدد قليل جداً من الطلبة المختارين والذين يتميزون بمكانة دراسية عالية ، بالانضمام إلى معاهد فنية أكثر تطوراً من غيرها بشرط أن توافق مجالس التقييم المحلية على طلباتهم . ولا يعتبر التفوق العلمى الممتاز سوى عامل واحد عند قيام مجلس التقييم المحلى باختيار الطلبة لهذه المعاهد الفنية ، إذ يجب أن يكون الطالب قد برهن على أنه يمكن الاعتماد عليه اعتماداً كاملاً فى السياسة ، اعتماداً تشهد له به مؤسسة الشباب الشيوعى (الكومسومول) ووحدات الحزب المحلية وإدارة المصنع .

إن ما بين ٥٠ و ٦٠ فى المائة من جميع التلاميذ فى اتحاد الجمهورية الاشتراكية السوفيتية لا يحصلون على ثقافة عامة بعد السنة الدراسية السابعة ، ومع ذلك فإن الطلبة الأكثر طموحاً قد يواصلون دراستهم بالمراسلة أو ينضمون إلى مدارس ليلية .

(٣) إلى أى مدى تدرس العلوم فى المدارس السوفيتية ؟

يعتبر التشدد فى تدريس العلوم أحد العوامل الهامة فى تطوير الثقافة

السوفيتية ، كما يعتبر بمثابة حجر الزاوية فى نظامها الحالى الخاص بالدرجات والمدارس المختارة . ففى موسكو وبعض المراكز الحضرية الأخرى يجد المرء المدارس الثانوية والمعاهد الفنية العليا معدة إعداداً كاملا ، ومناهج دراساتها صارمة ، لا سيما تلك الدراسات التى تختص بالصناعات الثقيلة وتطورات الذرة والقذائف وغيرها من الأهداف العسكرية .

وتدريس العلوم يصل ذروته فى معهد موسكو الخاص بعلم الطبيعيات والتكنولوجيا ، إذ أن هذا المعهد وقف على طلبة العلوم الموهوبين كما هو وقف على أبناء المسئولين من رجال الدولة وغيرهم من الطبقات المفضلة .

والتشدد فى العلوم ينبع من مبادىء لينين التى اعتبرت العلوم وسيلة لتحسين « مظهر العالم المادى » ولخدمة اقتصاد الدولة . وتنظر الشيوعية إلى التقدم العلمى على أنه « سلاح ضد الرأسمالية » وترياق شاف من « أفيون الدين » (أنظر الفصل الثامن) .

(٤) ما هى مدارس العمال الاحتياطية ؟

تهيىء مدارس العمال الاحتياطية التعليم على المهنة والتدريب على إنتاج أكبر عدد من العمال النصف المهرة والميكانيكيين والفنيين . فقد صدر مرسوم فى عام ١٩٤٠ بتجنيد الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ١٧ عاماً لهذه المدارس عندما تم تأسيس نظام العمال الاحتياطيين بأمر من ستالين . وفى الفترة التى أعقبت وفاة ستالين تم إلغاء حق السلطات المحلية فى تجنيد الشباب فى هذه المدارس ، ولكن ممارسة الانضمام إليها ظل يعمل به على أساس اختيارى .

وجاء فى عدد البرافدا بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ أن هذه المدارس ستتمكن فى الفترة ما بين عام ١٩٥٥ و ١٩٦٠ من تدريب ٣٫٥ مليون طالب كعمال فى الصناعة والزراعة إلخ . إن الهدف من هذا النظام هو تزويد

الاقتصاد الإنتاجى بالعمال على مستويات تنى بالحاجة الملحة إليهم ، حيثما وجدت حتى يمكن مد جميع القطاعات الخاصة بمشروع السنوات السبع . (أنظر الفصل العاشر) .

(٥) ما هى المدارس الداخلية السوفيتية وما الغرض من وجودها ؟

تأسس نظام المدارس الداخلية فى خريف عام ١٩٥٦ عقب اقتراح قام بتقديمه خروشوف فى الاجتماع العشرين للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى، الذى عقد فى شهر فبراير من ذلك العام .

وفى ديسمبر عام ١٩٥٩ أصبح عدد المكتتبين للانضمام إلى النظام ١٨٠ر٠٠٠ طالب ، ولكن الخطط الحالية تستدعى زيادة الاكتتاب إلى حوالى ٥ر٢ مليون طالب حتى عام ١٩٦٥ . وتشير الظواهر الحالية إلى أن عدداً أكبر من الأولاد سوف يرسلون بالفعل إلى هذه المدارس .

وتبدأ مرحلة التعليم فى هذه المدارس الداخلية ، فى دور الحضانة تابعة لها ، عندما يكون عمر الشخص عامين أو ثلاثة أعوام ، وتستمر حتى السابعة عشرة أو الثامنة عشرة ، ولا يرى الأولاد والديهم إلا مرة فى الأسبوع .

ولقد ذكرت برافدا فى عددها الصادر بتاريخ ٥ أكتوبر ١٩٥٦ أن أحد مديرى هذه المدارس فى موسكو كان قد قال إن : «الوالدين ما هم سوى مصدر قلق بالنسبة لتنفيذ مهمتنا » .

ويرتدى طلبة المدارس الداخلية هذه زياً رسمياً ، ويمارسون التدريب العسكرى . وبدلاً من المواد الثقافية التى يجرى تدريسها فى مدارس الدول الغربية تدرس فى هذه المدارس التعاليم الماركسية اللينينية مضافاً إليها التثقيف الخاص بالحزب الشيوعى والكومسومول .

وبالإضافة إلى الأربع ساعات ونصف ساعة من العمل فى الفصل فى

السنة الأولى ، يطلب من الأولاد الصغار أن يقوموا بأعمال يدوية لا تقل عن ثلاث ساعات يوميا . وفى السنة العاشرة يكون مجموع الدراسة للعمل ١١ ساعة يومياً . أما المصروفات المدرسية لأولئك الذين يستطيعون دفعها فتتراوح بين ٨ و٢٥ فى المائة من دخل الأسرة .

ولنظام المدارس الداخلية عدد من الأهداف . إنها ترمى إلى « تحرير الأمهات من العناية بأولادهن » حتى يصبحن على استعداد للعمل فى المصانع والمزارع . وهذا النظام يشترط بصفة رئيسية رقابة وثيقة ومشددة على الأولاد إبتداء من دور الحضانة إلى أن ينضموا إلى حرفة تعدهم لها المدرسة الداخلية . وتخضع الفتيات لنفس النظام وكامن آمال فى أن يحصلن على عمل مشابه . ويقلل النظام المتواصل لتلقين التلاميذ السوفييت بصفة جوهرية من احتمال استيعاب أى منهم للأفكار « الغريبة » من مصادر العالم الحر .

(٦) لماذا تجرى إعادة تنظيم جهاز التعليم السوفيتى ؟

يمر جهاز التعليم السوفيتى فى مرحلة فعّالة من التنقيح بسببين رئيسيين : أولاهما اقتصادى والآخر سياسى . أما العامل الاقتصادى فيختص بتوفير قوى الأيدى العاملة اللازمة لتنفيذ مشروع السنوات السبع (أنظر الفصل العاشر) . وأما العامل السياسى فيرجع إلى عام ١٩٥٦ عندما لاحظ الزوار الأجانب إختماراً فكرياً ملحوظاً بين الشباب السوفييت ، سببه — بصفة جزئية — الحط من قدر الدكتاتور السابق ستالين واتهام خروشوف له بتهمة « تقديس الفرد » فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى الذى عقد فى فبراير ١٩٥٦ .

وقد كتب الخبير السوفيتى إدوارد كرانكشو فى صحيفة « هونكونج ستاندارد » فى ١١ فبراير ١٩٥٩ ، فصرح بأن : « التشاؤم وعـــدم الاكتراث اللذين تولدا بين الناشئين الصغار اليوم بسبب قبول فرية

— عبادة ستالين كبطل — والتى عرفت بصفة عامة بأنها لاتعدو أن تكون سوى فرية ، قد مهدت السبيل أمام حالة من التشكك البنـاء . فإذا أمكن فضح الادعاءات المشينة المتعلقة بستالين فأى شيء محتمل الحدوث . فهؤلاء الناشئون الصغار لا يأخذون بأى شيء كأمر مسلم به ، بل إنهم يناقشون كل شيء ، كما أن أى عمل تقوم به القيادة الحالية يجرى التحقق من صحته فى ضوء ما كشف عنه خروشوف بشأن ستالين » .

ويعتبر التبرم الذى يبديه الجيل الناشىء مصدر قلق عميق للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى الذى يخشى أن يقوض نفوذ « طبقة البورجوازية الأجنبية » النظام الإيديولوجى للحزب والدولة . وبالإضافة إلى القلق الفكرى فإن مشكلة انحراف الأحداث (أنظر الفصل السادس) أصبحت مشكلة متزايدة الحدة ، ولذا فإن الحزب الشيوعى يؤمل فى أن يمكّن برنامج دراسة العمل بما ينطوى عليه من توكيد خاص من إتباع نظام خطة الحزب « والإنتاجية الاشتراكية » ، من أن يزيل التبرم السياسى ، لا سيما أن جميع العمال الطلبة سيكونون تحت المراقبة المشددة من جانب « كادرات » الحزب فى أماكن العمل .

والطلبة ذوو الكفاءات البارزة لا بد لهم ، قبل قيام مجالس التقييم المحلية بالتوصية على قبول طلباتهم ، من أن يبرهنوا على ولائهم للحزب وأنهم أهل للثقة فى المجال السياسى . وبدون مثل هذه التوصيات لا يستطيعون الإرتقاء إلى نيل ثقافات أعلى ومهن مفضلة .

(٧) كيف ترتبط الأهداف الاقتصادية بالثقافة فى ظـــل النظام الشيوعى ؟

حيث أن الغرض الحقيقى للثقافة فى ظل النظام الشيوعى هو خدمة الدولة ، فإن الأنظمة الثقافية فيها توضع من الوجهة النظرية للوفاء

باحتياجات نظام الحكم الاقتصادية . ومهما يكن من أمر فإنه حتى فى أى مجتمع جماعى منظم ، تتطور التقلبات إلى محاولات لتوجيه الثقافة إلى احتياجات الاقتصاد . وفى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية يعتبر التفاوت فى علاقة الطلبة بالعمال أحد العوامل الاقتصادية الهامة التى تسهم فى التغيرات الحالية الكبيرة فى نظام المدارس .

أما عدم التوازن فى قوى الأيدى العاملة فمرده جزئياً إلى تأثير الحرب العالمية الثانية على نسبة مواليد السوفييت ، وتأثيرها بالتالى فى عدد الطلبة الملتحقين بالمدارس فى السنوات التى أعقبت الحرب .

فعلى سبيل المثال بلغ عدد الطلبة فى الفصول الابتدائية الأربعة الأولى فى العام الدراسى ١٩٤٨ / ١٩٤٩ حداً كبيراً وصل إلى ٢٣ر٧٣ مليون تلميذ ، بينما هبط عددهم فى الفصول ذاتها فى العام الدراسى ١٩٥٣/١٩٥٤ إلى ١٢ر١ مليون تلميذ فقط .

وما أن جاء العام الدراسى ١٩٥٦/ ١٩٥٧ حتى زاد عدد الطلبة إلى ١٥ر٥٨ مليون تلميذ وأصبح الأولاد الذين بدأوا تثقيفهم الرسمى ، وهم فى السابعة ، فى عام ١٩٤٩ على استعداد للوظائف الصناعية فى عام ١٩٥٨ وهم فى السادسة عشرة . وأياً كان الأمر فإن عدد الأشخاص الذين هم فى سن السادسة عشرة والمعدين إلى سوق العمل سوف يبلغ أقل رقم فى حوالى عام ١٩٦٢ ، أى قبل ثلاث سنوات من الميعاد المحدد لإتمام مشروع السنوات السبع ، وهو عام ١٩٦٥ (أنظر الفصل العاشر) . ومع أن خروشوف ينكر أن الدافع للبرنامج الجديد هو النقص فى قوة الأيدى العاملة ، فإن الحقيقة هى أن مشروع دراسة العمل الذى يبدأ فى مستوى المدارس الثانوية كان قد رسم فعلاً لتوفير العمال الشباب الذين تحتاج إليهم الدولة .

(٨) هل المركز الاجتماعى ذو أهمية فى النظام الثقافى السوفيتى ؟

لقد ظلت الصحف السوفيتية لفترة ما تعرب عن تذمرها أن بعض أبناء الطبقات الممتازة لا يودون الاشتغال فى الأعمال اليدوية أو غيرها من الأعمال الدنيا التى لا يرغبون فيها . ونتيجة لذلك كان عدد من تم تدريبهم وتحويلهم إلى الصناعة من العمال المهرة أقل من اللازم بينما توافر فائض كبير من خريجى المعاهد الثقافية العليا .

فنى عام ١٩٥٧ كان يوجد فى الاتحاد السوفيتى ٧٧٤٫٠٠٠ شخص ممن تخرجوا فى المعاهد والمدارس الفنية العليا مقابل ٦٨٦٫٠٠٠ من العمال المهرة الذين كانوا قد أتموا تدريبهم حديثاً . ولذلك فإن الزيادة فى عدد العمال الذين لا يعملون بأيديهم أدت إلى نوع من البطالة ، بينما كانت الصناعة فى حاجة إلى عمال مهرة ونصف مهرة . وفى ٢٥ سبتمبر عام ١٩٥٧ لم يسع برافدا إلا أن تعترف بأنه قد أصبح من الضرورى قبول « عدد قليل من خريجى المدارس الثانوية . . . . فى المدارس العليا والمدارس الفنية » . إن الذين يفوزون بالانضمام إلى هذه المدارس هم نخبة مختارة من علية القوم .

(٩) هل التعليم بالمجان فى اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية ؟

فيما عدا الرسوم المدرسية المطبقة فى المدارس الداخلية ، فإن التعليم بالمجان لجميع المواطنين فى الاتحاد السوفيتى ، إذ أن مجلس الوزراء كان قد أصدر مرسوماً ألغى فيه الرسوم المدرسية الخاصة بالمدارس الثانوية والفنية والمعاهد الثقافية العليا . وأياً كان الأمر فإن الإنضمام إلى أى معهد ثقافى عال ينطوى على تكاليف كبيرة باستثناء الرسوم المدرسية .

ولكى يتمكن الطلبة من الوفاء بهذه التكاليف ، فإن الدولة تقوم بمنحهم مخصصات تتفاوت فى المتوسط بين ٢٢٠ و ٤٥٠ روبل فى الشهر . ويمنح الطلبة المنضمون إلى معهد موسكو الخاص بالعلوم الطبيعية والتكنولوجيا

وكذلك الكلية الدبلوماسية ٥٠٠ روبل فى الشهر مقابل ٢٩٠ روبل فى الشهر للطلبة الذين يدرسون فى جامعة موسكو .

والانضمام إلى معهد موسكو الخاص بالعلوم الطبيعية والتكنولوجيا وإلى الكلية الدبلوماسية ، موقوف بصفة رئيسية على اولاد الطبقة الأرستقراطية السوفيتية . وعلى وجه العموم إن هذه المخصصات لا تكاد تفى بتغطية تكاليف المعيشة للطالب ، الأمر الذى يهيء قبول انضمام أولاد الأسر الموسرة إليها لاسيما أن أسرة العامل فى حاجة إلى جميع دخول أبنائها المنتجين .

(١٠) هل يرتقب من المدرسين أن يقوموا بدورهم فى أوجه نشاط المجتمع ؟

إن المدرسين ملزمون بالقيام بخدمات عديدة للمجتمع والدولة . وعلى ذلك فإنه يتوقع منهم أن يقوموا بدور فعال فى حركة مؤسسة الرواد (وهى مؤسسة شيوعية للأبناء الذين هم فى سن تتراوح بين ٩ و ١٤ سنة) وحركة الكومسومول (جماعة الشباب الشيوعيين) للشباب الذين تتفاوت أعمارهم بين ١٤ و ٢٦ سنة .

وفى المناطق الريفية ينتظر من المدرسين أن يقوموا بتفسير المراسيم واللوائح الحكومية إلى أعضاء المزارع الجماعيـة ، وإلقاء محاضرات عن مواضيع يحددها لهم الحزب الشيوعى ، والمساهمة فى أوجه نشاط أخرى ترمى إلى إحكام سيطرة الحزب .

وبالإضافة إلى ذلك كله يجب على المدرسين أن يعدوا أنفسهم ليكونوا مستعدين لأن يصبحوا أولئك « الرجال السوفييت » الجدد المدربين منذ طفولتهم لكى يكونوا خاضعين تماماً لتنفيذ أوامر الحزب الشيوعى وأوامر

الدولة . وفى سبيل الوفاء بهذه المهمة يكون المدرسون دائماً تحت مراقبة أعضاء الحزب الشيوعى .

(١١) كيف يعمل المدرسون فى روسـيا السوفيتية على الترويج للأهداف الشيوعية ؟

قال ستالين لأحد الكتاب فى عام ١٩٣٤ : « إن التعليم هو ذلك السلاح الذي تتوقف فاعليته على الإنسان الذى يقبض عليه وعلى الشخص الذى يُطعن به » .

وكذلك يطلب من المدرسين أن يستخدموا غرفة الدراسة كأنها ترسانة للدعاية الشيوعية . وكما قالت مجلتهم الثقافية الرسمية « فن التربية » Pedagogy فإن من واجب المدرسين أن « يغرسوا فى عقول الأولاد الكراهية لأعداء الشعب » أى لأولئك الذين يقاومون الشيوعية فى الداخل والخارج . يجب عليهم أن يكونوا رسلاً غيورين على الماركسية — اللينينية ومناصرين عاملين لسياسات الحزب الشيوعى .

(١٢) هل يجرى تعليم الماركسية — اللينينية فى جميع المواد التى تدرس فى روسيا السوفيتية ؟

تعلَّم المبادىء الشيوعية السياسية والإيدولوجية فى جميع المواد التى تدرس فى روسيا السوفيتية تقريباً حتى الفصل العاشر على أقل تقدير . ومثال على ذلك أن نوهت مجلة « فن التربية » بقولها : « إن نظم العلوم الطبيعية هى الأساس فى تلقين الطلبة النظرة المادية الجدلية للعالم ، هذه النظرة العلمية الوحيدة التى هى أساس الكفاح ضد ما تبقى من خرافات وتحامل دينى » . وبالإضافة إلى ذلك فإن « دراسة الجغرافيا تغرس فى أذهان الطلبة نظرة مادية إزاء العالم » .

ويبدو تشويه وتزوير السوفييت للحقائق واضحاً بصورة جلية فى تدريسهم للتاريخ . فبالنسبة للطالب فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية مثلاً تكون الحرب العالمية الثانية قد بدأت فى عام ١٩٤١ بغزو الألمان للاتحاد السوفيتى ، وليس فى عام ١٩٣٩ عندما قاموا بالهجوم على بولندا . وكذلك تزيف التواريخ القومية ، حتى بما فيها تاريخ روسيا نفسها ، من جانب المؤرخين الشيوعيين عندما يتفق ذلك وأغراض الحزب . وهذا أمر ينطبق أيضاً على تواريخ الدول التابعة لروسيا والتى أعيدت كتابتها من جانب مؤرخين سوفييت أو مؤرخين قوميين تحت رقابة السوفييت .

ومنذ أن استنكرت الستالينية لكونها « عبادة شخصية » ما زالت « القيادة الجماعية » السوفيتية تواجه المهمة العجيبة ، وهى توفير ما يلزم لمراجعة وتنقيح الآلاف من الكتب المدرسية التى تمجد الديكتاتور ، كما أن عناء المراجعة والتنقيح الهائل هذا سيشمل جميع الكتب المدرسية والمراجع التى كانت قد نشرت فى الدول التابعة لروسيا بإرشادات سوفيتية .

(١٣) كيف يتم تصوير الاتحاد السوفتى وغيره من الدول فى التعاليم السوفيتية ؟

يلقّن الطالب السوفيتى أن النظام الشيوعى يتفوق على غيره من النظم الأخرى ، وأن الاتحاد السوفيتى هو أكثر الدول تقدماً ورخاءً ، وأن زعماءه هم أكثر الزعماء حكمة وتعقلاً وتبصراً فى العالم . أما الشعوب التى تعيش فى ظل « الرأسمالية » فى أى مكان خارج الاتحاد السوفيتى ، فتوصف بصفة عامة بأنها شعوب محتقرة ومظلومة تنتظر مجرد إشارة لتثور ضد أسيادهم العتاة من المستغلين الرأسماليين .

ولا يجرؤ الطلبة ولا المدرسون على مناقشة محتويات أى كتاب مدرسى

ولا غيرها من المواد التى تكون قد وافقت عليها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ومجلس وزراء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

(١٤) هل النظام الثقافى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية من النوع المركزى ؟

لا توجد إدارة مركزية تضطلع بالإدارة الشاملة للجهاز الثقافى السوفيتى ولكن فى الممارسة فإن البرنامج الثقافى متشابه تماماً فى جميع أنحاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية فيما يتعلق بالمناهج الدراسية . فوزارات التربية والتعليم فى جمهوريات الاتحاد تنفذ قرارات مجلس وزراء الاتحاد بإصدارها تعليمات مفصلة تشمل كل ناحية من نواحى الأجهزة الثقافية . ومهما يكن من أمر فإن الإدارة المركزة للثقافة يتم تسييرها فى مختلف الميادين من جانب وزارة التربية والتعليم العليا للاتحاد ووزارة الثقافة والإدارة الرئيسية لاحتياطى العمال (للمدارس المهنية) .

(١٥) ما الدور الذى تقوم به مؤسسات الشباب فى الثقافة السوفيتية ؟

تتصل مؤسسات الشباب إتصالاً وثيقاً بجهاز المدراس كما تضطلع بنفس الأهداف أى القيام بأعباء تلقين الشيوعية وغرس النظام كفضيلة رئيسية فى الدولة الجماعية الشيوعية .

ويقوم الكومسومول للشباب بتنفيذ الأعمال التى يضطلع بها عادة الرواد الناشئون ، ولكن العضوية فيه تعتبر محددة أكثر من غيره من المؤسسات ، كما يركز أهمية خاصة على التدريب العسكرى والدعاية المناهضة للدين .

(١٦) هل يجرى التدريس فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بلغات أخرى بجانب اللغة الروسية ؟

ينص الدستور السوفيتى على وجوب القيام بالتدريس « باللغة المحلية » لأهل البلاد .

ويعمل بموجب هذا فى اتحاد الجمهوريات الأربع عشرة خارج الجمهورية السوفيتية الاشتراكية الروسية الاتحادية RSFSR حيث اللغة المحلية هى الروسية . ومع ذلك فإن دراسة اللغة الروسية إلزامية فى جميع أجهزة المدارس السوفيتية ، وقد تمت تقويتها على حساب اللغات المحلية . وقد تعددت الشكايات من مصادر إقليمية بشأن وجود تحيز فى استخدام اللغة الروسية بكثرة فى ميدان الثقافة .

أما مسألة « ترويس » الثقافة السوفيتية أو جعلها روسية الطابع فتتضح من مقالة نشرت فى صحيفة « قازاقستانسكايا برافدا » بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٥٢ جاء فيها تظلمها : « منذ إزاحة القناع عن الإنحرافات القومية البورجوازية (أى وجهة النظر القومية) فى العلم التاريخى لقازقستان ، لم يكتب بحث واحد عن تاريخ قازقستان أو أدبها أو إقتصادها . وحتى فى وقتنا هذا لا توجد لدينا كتب مدرسية عن هذه المواضيع » .

وفى البلاد التابعة لروسيا كان هناك « ترويس » مشابه فى ميدان الثقافة الوطنية ، « ترويس » يؤكد تفوق الأعمال الفذة الروسية على غيرها من الأعمال لأية أمة أو منطقة .

(١٨) ما الهدف من وراء الثقافة الشيوعية ؟

إن الهدف الرئيسى الذى ترمى إلى تحقيقه الثقافة السوفيتية وغيرها من جميع الثقافات الشيوعية هو تهيئة الشباب ليحتلوا مكانهم فى المجتمع الشيوعى « الاشتراكى العلمى » أولاً عن طريق تلقينهم الماركسية اللينينية تلقيناً تاماً ، وثانياً عن طريق دراسات تدريبية مرسومة لإعداد كل فرد إلى وظيفة محددة أو مركز فى جهاز الدولة .

وفى هذه العملية الثقافية تخصص جوائز للوصول إلى القيادة فى برامج الحزب الشيوعى وإنجاز أعمال عظيمة فنية فى غيرها من الميادين .

وهناك هدف آخر ترمى إلى تحقيقه الثقافة الشيوعية وهو إعداد عقول الشباب لقبول المذهب الشيوعى القائل بأن الشيوعية مقدر لها أن تحكم العالم . وهذا الافتراض هزته السلسلة المتلاحقة من الثورات التى قام بها الطلبة ضد الشيوعية فى عام ١٩٥٦ داخل دول الكتلة السوفيتية .

الفصل العاشر

انتاج المواد الغذائية والسلع
في ظل الشيوعية

(١) كيف توفر حكومة من الحكومات الشيوعية المواد الغذائية والسلع اشعبها ؟

يتم فى اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية وأوروبا الشرقية إنتاج جميع المواد الغذائية والسلع وفقاً لخطة تضعها الدولة . وبموجب هذه الخطة يطلب إلى كل صناعة ومصنع أن ينتج كمية معينة من السلع معظمها ترمى إلى مساعدة تطوير صناعات الاتحاد السوفيتى الثقيلة . ولا يتألف سوى جزء ضئيل من الإنتاج السنوى من السلع الإستهلاكية مثل الثياب والأدوات المنزلية وما شابهها ، ومثل هذه السلع الإستهلاكية التى لا يوجد منها أبداً ما يكفى الحاجة ، تباع فى محلات تجارية تديرها إما الحكومة أو جمعيات تعاونية تشرف عليها الحكومة إشرافاً وثيقاً .

وتقرر كذلك خطة الدولة هذه كمية ونوع المنتجات الزراعية التى يجب على المزارع الجماعية والحكومية أن تنتجها وتسلمها إلى وكالات التجميع التابعه للدولة .

ومن الوجهة النظرية يسمح للمزارع إما أن تحتفظ بالمنتجات المتبقية لديها بعد تسليم حصة الدولة أو تبيعها فى السوق الحرة ، ولكن عند الطبيق فإن الكمية المتبقية فى المزارع بعد تسليم حصة الدولة لا تكاد تكفى لسد ما تتطلبه المعيشة المقترة للمزارع الجماعى العادى .

أما المنتجات الزراعية التى تجمعها الدولة فتباع فى محلات تجارية حكومية بأسعار محددة . وتتبع الحكومات الشيوعية الأخرى تقريباً نفس هذا النوع من التخطيط الإنتاجى والتصريف فى السلع الاستهلاكية .

(٢) كيف تم تنفيذ مشروع السنوات الخمس الأول ؟

لقد بدأ تنفيذ مشروع السنوات الخمس الأول عندما قرر ستالين فى

عام ١٩٢٨ أن يدفع بالاتحاد السوفيتى نحو خطة من التصنيع كفيلة بأن تحوله إلى دولة عسكرية قوية . وصاحب هذه المرحلة الجديدة من تطوير النظام السوفيتى ظهور وتماسك نظام جماعى واسع النطاق سحق دون رأفة كل أثر من آثار الإنشقاق السياسى وأخضع كل نوع من التنظيم الإجتماعى لتنفيذ أغراضه .

وشمل برنامج ستالين تطبيق نظام التجميع وإدخال الآلات فى الريف مما أدى بدوره إلى تصفية الكولاكس (المزارعين الأثرياء) الذين عارضوا تجميع أراضيهم ، إذ بلغ عدد من فقدوا جميع أراضيهم من الكولاكس حوالى مليون أسرة نفى معظمها بأوامر من ستالين إلى معسكرات السخرة .

(٣) كيف يجرى تنفيذ مشروع ما تابع للدولة ؟

تقوم وكالة التخطيط التابعة للدولة (وتسمى فى الاتحاد السوفيتى « جوسبلان Gosplan ») بوضع برنامج شامل مفصل لإنتاج جميع فئات المنتجات الزراعية والسلع الإستهلاكية والصناعة الثقيلة بما فيها العناصر الرئيسية كالفحم والصلب والبترول والإمدادات العسكرية والأسلحة .

ويقسم البرنامج إلى أنصبة من الإنتاج السنوى لجميع الاتحاد السوفيتى ثم إلى أنصبة إقليمية ومركزية داخل جمهوريات الاتحاد . أما فيما يختص بالمستويات المحلية — مثل المدن والقرى والدساكر - فإن المصانع الفردية والمزارع الجماعية تتسلم أنصبتها من السلطات المركزية كما تحدد لها كميات السلع أو المنتجات الزراعية التى يكون لزاماً عليها أن تسلمها لوكالات التحصيل التابعة للدولة فى ميعاد محدد .

(٤) أيتم الوفاء بأهداف المشروعات التابعة للدولة ؟

لا يتم أبداً الوفاء بأهداف المشروعات برمتها . فبعض الفئات يزيد إنتاجها عن الحد المطلوب ، بينما البعض الآخر ينقص إنتاجه عن الأرقام

المقدرة له . وإنجاز أهداف الصناعة الثقيلة هو أكثر احتمالاً من الأهداف الخاصة بالزراعة والسلع الإستهلاكية ذلك لأن الصناعة الثقيلة تهيء للحكومة الشيوعية الأسس لمزيد من التصنيع والمعدات والإمدادات العسكريه التى يعتبرها الحكام الشيوعيون أكثر أهمية من السلع التى تفى بحاجة المستهلكين .

(٥) كم من مشروع تابع للدولة وجد حتى الآن فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ؟

بدىء فى تنفيذ مشروع السنوات الخمس الأول فى عام ١٩٢٨ ، كما أعلن عن مشروع السنوات الخمس السادس فى الاجتماع العشرين للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى الذى عقد فى عام ١٩٥٦ . ولكن هذا المشروع ما لبث أن هجر فى عالم ١٩٥٧ عندما ظهر واضحاً أن نسبة التقدم الصناعى كانت متأخرة عما كان مقرراً لها ، وأعلن خروشوف بدلاً منه عن مشروع أكثر طموحاً وهو مشروع السنوات السبع فى اجتماع الحزب الحادى والعشرين الذى عقد بين ٢٧ يناير و ٥ فبراير عام ١٩٥٨ .

وأهم ما ينطوى عليه هذا المشروع من شروط هو أنه يدعو إلى زيادة فى الإنتاج الصناعى الكلى بحوالى ٨٠ فى المائة قبل حلول عام ١٩٦٥ ، وإلى توسع كبير مماثل فى الإنتاج الزراعى . إن الهدف الذى أذاعه خروشوف هو الاستمرار فى زيادة الإنتاج لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية حتى يصبح إنتاج الشخص الواحد فيه مماثلا لإنتاج الشخص الواحد فى الولايات المتحدة فى نهاية فترة السنوات السبع .

ويقدر المحللون الاقتصاديون أن الإنتاج القومى الإجمالى الحالى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية يوازى حوالى ٤٠ فى المائة من الإنتاج القومى الإجمالى للولايات المتحدة ، كما أنهم يعربون عن شكهم فى أن

يتساوى إنتاج الدولتين فى عام ١٩٦٥ أو فى خلال أى تاريخ فى المستقبل المتوقع القريب .

ولكى يجعل خروشوف القيام بحملة إنتاج أخرى يلقى قبولاً لدى العمال السوفيت ، وعد بتحقيق عصر من « الوفرة » فى المستقبل . وفى حديث له بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٦٠ قال : « أعتقد أنه فى فترة ما بين عام ١٩٧٥ وعام ١٩٨٠ سيكون لدينا الكثير من المصادر المادية لضمان مستوى مرتفع جداً من المعيشة لشعبنا وذلك بشرط أن لا تنشب حرب » .

وكان أن صرح رئيس الوزراء السابق ، ملينكوف ، فى صيف عام ١٩٥٣ بمثل هذا الوعد عن الوفرة الذى بسببه شن عليه خروشوف سكرتير الحزب هجومه ، وكان ما لينكوف من بين « الجماعة المناهضة للحزب » التى طردها خروشوف فى عام ١٩٥٧ . ومهما يكن من أمر فإنه يمكن القول بأن الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى يركز أهمية أعظم على تلبية إحتياجات المستهلكين فى الوقت الحاضر مما كان يركزه فى المشروعات السابقة .

(٦) كيف يتسنى لمديرى المصانع إنجاز الأنصبة المطلوبة من الإنتاج ؟

طالما يجد مديرو المصانع صعوبات كبيرة فى الوفاء بالأنصبة المعينة لإنتاج مصانعهم ، لأن ما يحـــدد لها يزيد عن طاقتها الإنتاجية ، ولأنه قد ينقصهم العدد الكافى من العمال أو الكمية اللازمة من المواد الخام التى يستطيعون بها القيام بأعمالهم حسب الخطة الموضوعة .

وحتى يتسنى لهم التغلب على هذه العقبات فإن مديرى المصانع قد يلجأون إلى عدد من الوسائل البارعة ، منها إرتكاب الأخطاء . فقد يقومون بتزوير سجلاتهم بإثباتهم الوفاء بأنصبتهم أو إنجاز ما يفوق

أنصبتهم عن طريق إجازتهم السلع الغير مستوفية الشروط وكأنها سلع يتوفر فيها المستوى المطلوب ، أو عن طريق إثبات المنتجات المصنوعة بقيمة الروبل ، أو عن طريق إتباع بعض الوسائل المضللة الأخرى ، أو قد يقومون بالتستر على المصروفات الباهظة المخصصة للأجور والمواد ، وبالتالى يثبتون تحقيق « ربح » كبير على الورق .

(٧) كيف يؤثر تخطيط الدولة على عمال المصانع ؟

يتعرض العمال أفراداً وجماعات لضغط متواصل لكى ينتج الفرد منهم المزيد من السلع . وبما أن معظم العمال الصناعيين تحت الحكم الشيوعى تدفع أجورهم على أساس إنتاج القطعة الواحدة ، فإنهم مرغمون على العمل فى إطار من « التنافس الاشتراكى » . وهذا النوع من « التنافس » هو فى الحقيقة وسيلة لرفع « متوسط » إنتاج الفرد ، أى مقدار أو عددالوحدات المتوقع منه أن ينجزه كإنتاج يومى عادى له . ولهذا فإن أى تقصير فى الوفاء بمعيار الإنتاج يؤدى إلى تخفيض فى أجور العمال الأسبوعية .

وهناك وسيلة أخرى لتشجيع الإنتاج ، وهى الاستفادة من العمال السريعى الإنتاج أو ما يُعرفون « بالعمال التقدميين » أو « المبتكرين» الذين وضعوا نظام التسابق فى إنجاز العمل فى المصانع وغيرها من ميادين الإنتاج . وهؤلاء العمال المهرة مدربون على الإنتاج بخطوات سريعة وتدفع لهم أجور كبيرة ويكونون الطبقة الأرستقراطية من العمال .

وقد ينتقلون من مصنع إلى آخر لاستعراض مهارتهم ، وبذا تكون النتيجة زيادة متوسط ما ينتجه العامل العادى الذى لا يستطيع أن يجارى ما ينجزه واضعو السباق المتخصصون من أعمال .

أما شروط العمل فى معظم المنشئات الصناعية فى دول الكتلة الصينية السوفيتية فإنها تعتبر من الأمور المفزعة (أنظر الفصل الثالث) .

(٨) هل صحيح أن العمال فى دولة شيوعية يملكون المصانع ؟

طالما يشير رجال الدعاية الشيوعيون إلى ملكية العمال لجميع المصانع . والحقيقة أن الذى يملك جميع المنشآت الصناعية وكذلك جميع المشروعات الأخرى التابعة للدولة ويديرها ، هى الحكومه الشيوعية . وما العمال سوى مجرد جزء من آلة إنتاجية فى جهاز الحكم البيروقراطى الذى تتمثل فيه السلطة النهائية فى الحزب الشيوعى ؟

وفى هذه الحالة لا تقوم نقابة العمال بأية مساعدة إذ أن النقابات التى يهيمن عليها الشيوعيون هى ذراع لجهاز الدولة التنفيذى ، ومهمتها الأساسية هى أن تنقل إلى العمال الأوامر والمنشورات التى تصدرها السلطات العليا وتنفذ « النظام » ، أى تحتفظ بالعمال يكدحون بأقصى سرعة ممكنة .

(٩) كيف يعامل أعضاء المزارع الجماعية بمقتضى تخطيط الدولة ؟

يواجه عضو المزرعة الجماعية العادى حياة كئيبة فى أفضل الأحوال . ففى موسم الزراعة والحصاد يكد العامل أو العاملة لساعات طوال ، وفى كثير من الأحيان عليه أن يعمل طيلة سبعة أيام فى الأسبوع حتى يتم زرع البذور أو حصد المحصول . أما الأجر فغير مؤكد وعادة يكون ضئيلاً يُدفع إما نقداً أو عيناً .

ويقيد لحساب عضو المزرعة عدد « أيام العمل » أى وحدة الرقابة من حيث كمية وجودة العمل الذى يسهم به عضو المزرعة الجماعية . ومهما يكن من أمر فإن توزيع الدخل إن كان نقداً أو عيناً يتوقف على الحصاد ، ولكن حصة كل واحد لا يتم تقريرها وتوزيعها إلا بعد خصم جميع الديون والضرائب وغيرها من الإلتزامات السنوية تجاه الكولوخوز . ونتيجة لهذه الخصومات قد يحصل العضو على قدر قليل جداً على شكل

حبوب أو نقد ، وقد يعمد كذلك إلى الالتجاء إلى إنتاج بستانه الصغير للوفاء بمجرد معيشته الضرورية .

وعلى الرغم من إدعاء الحكومة السوفيتية بممارسة الإدارة «الديمقراطية» للمزارع الجماعية فإن عضو المزرعة لا يقوم إلا بالموافقة على قرارات مديرها ومجلس إدارتها . ونظرياً ينتخب رئيس المزرعة الجماعية فى اجتماع عام يعقد للأعضاء ، ولكن فى الواقع لا يقوم المجتمعون إلا بالمصادقة على اختيار العضو الذى كان قد انتخب أو رشح من جانب جماعة الشيوعيين المحليين .

وينتمى رئيس المزرعة الجماعية إلى طبقة البيروقراطيين الذين يتمتعون بالإمتيازات . وحيث أنه ينتخب من جانب الحزب الشيوعى ، ليس لما قام به من أعمال مجيدة فنية بل للوثوق به من وجهة نظر الحزب ، فغالباً لا تكون لديه أية دراية بالمرة فى الزراعة ، وقد يكون غريباً عن بيئة المزرعة نفسها ولا يعرف شيئاً عن التربة المحلية والظروف المناخية أو المتعلقة بالحاصلات . وتتضح نتيجة هذه العملية فى الطاقة الإنتاجية المنخفضة نسبياً لمعظم المزارع الجماعية .

ويتفاوت دخل رئيس المزرعة الجماعية الذى يقوم أساساً على قاعدة معقدة إلى درجة كبيرة ، بتفاوت نوع المحصول المزروع وحجم المزرعة ذاتها وموقعها . وعلى أية حال فإن رئيس المزرعة ذاتها يشغل مكانة مفضلة ، وبسبب مركزه ونفوذه السياسيين ، يستطيع أن يعيش عيشة طيبة بمطالبته بأفضل منتجات المزرعة .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن مديرى المزارع ليسوا فوق شبهة استغلال مناصبهم من أجل تحقيق أرباح لهم . فقد جاء فى الصحف السوفيتية أن عدداً كبيراً من رؤساء المزارع الجماعية جرت محاكمتهم بعد أن وجهت

إليهم تهم بيع منتجات المزارع فى السوق السوداء ، وتزييف سجلاتها وتقاريرها ، واختلاس الأموال الخاصة بالمزارع الجماعية ، وما شابهها من التهم .

(١٠) هل تعتبر الفلاحة الجماعية الهدف الأخير فى ظل الحكم الشيوعى ؟

ما فتىء خروشوف منذ أن تسلم مقاليد الحكم فى الاتحاد السوفيتى يدافع عن تحقيق أهداف زراعية تغير تغييراً فعالاً من نظام المزارع الجماعية الحالية . وكان أحد اقتراحاته تكوين مدن زراعية يسكن فيها العمال بالقرب من الأراضى الصالحة للزراعة التى يعملون فيها ، لا أن يعيشوا على هذه الأراضى . ووفقاً لهذا النظام تستبدل المزارع الجماعية والملكية الجماعية للآلات المستخدمة فى الزراعة بطراز صناعى من الإنتاج الزراعى يقوم بتنفيذه أحد البروليتاريين الريفيين .

وهذه المرحلة « الانتقالية من الاشتراكية إلى الشيوعية » سيكون من شأنها إنهاء الرابطة الوثيقة للعمال الزراعيين بالأرض .

كذلك طالب أحد المتحدثين باسم الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى بإلغاء قطع الأرض الخاصة الصغيرة المخصصة كحدائق وتشجيع فكرة الحياة الشعبية بالرغم من أنهم لا يحبذون نظام الكوميونات المطبق فى الصين الشيوعية .

(١) هل يعمل نظام التجميع على زيادة الإنتاج الزراعى ؟

إذا ما استخدمنا عبارة إنتاج الوحدة الواحدة من الأرض ، فإنه يمكن القول إن نظام التجميع لا يفشل فى زيادة غلة الهكتار الواحد من أرض

المزرعة فحسب ، بل أنه كذلك لا يزيد زيادة ملحوظة من الإنتاج الزراعى الإجمالى فى معظم البلاد الشيوعية .

وهناك عدة أسباب لفشل الزراعة الجماعية فى أن تصل إلى المستويات الموجودة فى دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة وغيرها من البلاد الحرة ، أحدها عدم وجود الحافز لدى عمال الحقول وأعضاء المزارع الجماعية للنهوض بإنتاجهم الفردى أو الشخصى . وثمة سبب آخر ألا وهو عدم الكفاية التى تتميز بها الحكومات الشيوعية البيروقراطية .

ولقد صرح خروشوف أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى فى ٢٥ ديسمبر ١٩٥٩ بأن الأخطاء البيروقراطية كانت هى المسئولة عن المحصول الهزيل وأنه يوجد فى الاتحاد قادة لا يفهمون شيئاً عن الزراعة ومن ثم فإنهم وضعوا أهدافاً خاصة بالإنتاج الزراعى دون أن يأخذوا الحقائق بعين الاعتبار .

وقال خروشوف بأن ١٫٦١٨٫٠٠٠ هكتار من الأرض المزروعة بالحبوب (حوالى ٤ ملايين فدان) كانت قد تركت لتواجه التلف لأن ١٨٫٠٠٠ جرار و ٣٢٫٠٠٠ آلة دراسة و ٢١٫٠٠٠ سيارة نقل و ١١٫٠٠٠ آلة حصاد كانت فى حالة سيئة وتحتاج إلى إصلاحات كبيرة ولم يمكن استخدامها .

وكذلك صرح خروشوف بأن اللجنة المركزية كانت قد تلقت شكاوى عديدة عن وجود نقص فى المواد الغذائية وغيرها من السلع الهامة .

ومع أن مشروع السنوات السبع كان يرمى إلى تحقيق زيادة إجمالية قدرها ٨ فى المائة فى إنتاج المزارع لعام ١٩٥٩ ، بيد أن البيانات التى تم

عرضها فى جلسة الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى كانت قد أوضحت وجود نقص فى إنتاج المزارع الكلى أقل بمقدار ١٠ فى المائة عن إنتاج عام ١٩٥٨ .

وفى عام ١٩٥٩ ظهر هذا النقصان فى المواد الغذائية فى بلغاريا وألمانيا الشرقية ، كما أن السلع الإستهلاكية ظلت غير متوافرة وتباع بأسعار باهظة فى جميع أنحاء أوروبا الشرقية .

واعترف وولتر البريخت الرئيس الشيوعى لألمانيا الشرقية بأن الإنتاج فى ألمانيا الشرقية للهكتار الواحد من الحاصلات الرئيسية أقل بكثير مما هو عليه فى ألمانيا الغربية ، واقترح حلاً لذلك الأخذ بمزيد من المزارع الجماعية وليس التقليل منها على الرغم مما يكنه مزارعو ألمانيا الشرقية من عداء شديد لنظام الزراعة الجماعية .

وفى أثناء عام ١٩٥٩ مارس نظام الحكم الشيوعى فى المجر ضغطاً شديداً لزيادة نسبة المزارع الجماعية التى ما لبثت أن أصبحت فى نهاية العام تكون ٧٠ فى المائة من جميع مساحة الأرض الصالحة للزراعة فيها . وأرغم حوالى ٣٥٠٫٠٠٠ شخص على الانضمام إلى المزارع الجماعية ، ونتيجة لذلك حدثت موجة من الإستياء والإخلال بالنظام والخسائر المادية بين الفلاحين .

الفصل الحادي عشر

حياة الأسر والنساء والأولاد في ظل الشيوعية

(١) هل تتبوأ النساء مناصب عالية فى البلاد الشيوعية ؟

يشغل عدد قليل من النساء مراكز عالية نسبياً فى بعض البلاد التى يسيطر عليها الشيوعيون . وفى الأوساط الحاكمة فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية لا توجد سوى امرأة واحدة شهيرة ، وهى إكاترينا فورتسيفا (Ekaterina Furtseva) النائبة فى مجلس السوفييت الأعلى والتى أصبحت وزيرة الثقافة فى مايو عام ١٩٦٠ .

وتعتبر نسبة عدد النساء اللواتى يشغلن مناصب انتخابية مثل أعضاء مجلس السوفييت الأعلى ، بالمقارنة إلى عدد الممثلين الذكور ، أقل بكثير من نسبتهن فى القوة العمالية . وكثيراً ما تملأ المراكز الشاغرة ذات الأهمية الثانوية من بين النساء فى البلاد التابعة للاتحاد السوفيتى ، ولكن الدوائر الداخلية التابعة للحزب الشيوعى إنما يسيطر عليها الرجال سيطرة تامة .

وكان هناك ثلاث موظفات رسميات من النساء الشيوعيات يلعبن أدواراً بارزة فى اضطهاد السكان غير الشيوعيين .

ففى ألمانيا الشرقية الشيوعية ، وعقب ثورة يونية عام ١٩٥٣ الشهيرة ، تم تعيين الشيوعية المتعصبة « الحمراء » هيلدا بنجامين وزيرة للعدل ، فأقامت حكماً من الإرهاب ضد الأعداء الحقيقيين لنظام الحكم أو من كانوا يشتبهون بعداوتهم له ، ولكنها مالبثت أن وجه إليها زعماء الحزب الشيوعى اللوم علانية فى عام ١٩٥٦ .

وكانت هناك سيدة أخرى ذات سمعة رديئة تضاهى سمعة هيلدا بنجامين هى أنا بوكر التى كانت قد عينت فى منصب وزيرة الخارجية مكافأة لها لاضطهادها الأهالى غير الشيوعيين فى رومانيا ، والتى ما لبثت أن وجدت نفسها فى خلاف مع الحزب وجردت من سلطتها . إن « الإرهاب الأحمر »

الذى أدخلته بوكر فى أوائل فترة استيلاء الشيوعيين على السلطة فى رومانيا لا يوازيه فى قسوته سوى الأعمال الخالية من الرأفة التى قامت بتنفيذها تسولا دراجوتشينا فى بلغاريا الشيوعية .

(٢) ما هو الدور الذى تقوم به الهيئات النسوية فى البلاد الشيوعية ؟

تلعب الهيئات النسوية — وهى هيئات يسيطر عليها الشيوعيون — دوراً هاماً فى توسيع الحزب الشيوعى وتعزيزه . فى الميدان الدولى ، تقوم هذه الهيئات بنشر الدعاية الشيوعية وتنفيذ تعليمات الحزب الشيوعى والسعى إلى اجتذاب الجماعات من النسوة غير الشيوعيات للاشتراك فى برامج من شأنها أن تروج المطامع الشيوعية .

ومهما يكن من أمر فإن هذه الهيئات النسوية التى يدير شئونها الشيوعيون ليس لها عملياً أى تأثير فيما يتعلق برسم السياسة الخاصة بالحزب الشيوعى . (أنظر الفصل السادس عشر) .

(٣) وما هى الحالة بالنسبة لربة البيت السوفيتية ؟

تتوقف حالة ربة البيت السوفيتية تحت الحكم الشيوعى كلية على مكانتها فى النظام الطبقى الجديد للمجتمع السوفيتى . فإذا كانت زوجة لأحد كبار موظفى الدولة أو أحد الضباط العسكريين البارزين ، فإنها قد تتمتع بجميع سبل الراحة والترف وبكثير من الامتيازات الإجتماعية التى تتمتع بها المرأة فى المجتمع « الرأسمالى » ، وأياً كان الأمر فإن مكانتها فى المجتمع تأتى بكل تأكيد بعد مكانة زوجها فى جميع العلاقات الاجتماعية ، بل إن زوجات المسئولين السوفييت الرسميين كن حتى الآونة الأخيرة محجوبات عن الناس أو غير معروفات .

أما إذا اتخذنا ربة البيت بالنسبة المستويات الأخرى فى المجتمع

السوفيتى ، فإنها تقوم بعملين : أحدهما كمدبرة لشئون المنزل والآخر كعاملة تكسب أجرها . والنساء لا يشتغلن فى نفس الظروف التى يشتغل فيها الرجال فحسب ، بل أنهن يكلفن بإنجاز نصيب كبير من العمل الشاق والذى لا يحتاج إلى مهاره فى الصناعة والزراعة .

وكان بولجانين ، رئيس الوزراء السابق ، قد أكد فى اجتماع عقد فى يوليه عام ١٩٥٦ لمجلس السوفييت الأعلى ، أن النساء لن يكلفن بإنجاز مثل هذا القدر من العمل الشاق ، ولكن النقصان الحاد فى عدد العمال أدى إلى تخفيض ضئيل فى العمل الشاق الذى تكلف به النساء بوجه عام .

ووفقاً للقانون السوفيتى تعرف المرأة « غير المنتجة » بأنها تلك المرأة التى لا يتم توظيفها فى أى فرع من فروع الاقتصاد فى الدولة ، ومن ثم فإنه لا يحق لها أن تتمتع بالرعاية الاجتماعية أو العناية الطبية ، ومن حقها فقط أن تتمتع بأقل الحقوق الخاصة بالمخصصات الغذائية والسكنية وما إليها .

هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى فإننا نرى الممثلات والراقصات اللواتى يعملن فى الدولة وغيرهن من شهيرات الفن ، يحصلن على دخول جيدة تتناسب ودخول الطبقة العالية من البيروقراطيين .

وتقوم الحكومة السوفيتية أيضاً بتشجيع اشتراك النساء فى الدورات الرياضية ، كما تدفع للنساء الرياضيات أجورهن كموظفات فى الحكومة ، إلا أن متوسط أجورهن زهيد .

(٤) ما هى مكانة المرأة العاملة فى ظل الشيوعية ؟

على الرغم من « المساواة فى الجنس » التى أذيع عن الأخذ بها فى جميع أرجاء البلاد الدائرة فى فلك الشيوعية ، فإن النساء من الطبقة العاملة لا يحظين بأى اهتمام بالمرة فى أى مكان من دول الكتلة الصينية الشيوعية .

إن الشيء الذى يصدق على مبدأ « المساواة » هو أن النساء يشقين فى مصانع الصلب ومخيمات الأخشاب والمناجم والسكك الحديدية . إنهن يعملن كمساعدات بنائين فى أعمال الإنشاء والعمران ، وكانسات للشوارع ، وحطابات ، ووقادات ، وصانعات آلات ، وسائقات سيارات نقل ، ونجارات ، وغيرها من أمثال هذه المهن ، ومع ذلك فإن المشرفين عليهن — باستثناء بعض الحالات — هم من الرجال .

ويبالغ فى تمجيد الدور الذى تقوم به النساء المهنيات لأغراض دعائية . وأياً كان الأمر فإنه توجد نسبة مرتفعة من النساء اللواتى يمارسن الطب فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، كما أن هناك عدداً محدوداً من النساء يعملن فى مهن أخرى . ولكن بالرغم من ذلك كله ، فإنه لا يوجد سوى عدد قليل من النساء اللواتى يعملن فى المهن فى البلاد الدائرة فى فلك الاتحاد السوفيتى .

ويقوم الناطقون بلسان الشيوعية بتبجيل « مساواة » النساء فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والدول الشيوعية من أوروبا الشرقية ، ولكن هؤلاء القوم يتناسون أن منح المرأة حقوقها قد صاحبه الكد والمشقات التى فرضتها الدولة على النساء من الطبقة العاملة . إن الغالبية العظمى من النساء العاملات يشتغلن فى وظائف خسيسة ذات أجر منخفض وليس أمامهن سوى فرص ضئيلة للتقدم .

ولقد اعترفت النشرة الرسمية « رود برافو » للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى فى ٧ يناير عام ١٩٥٧ ، بأن « عدداً كبيراً من المسئولين عن نقابات العمال غالباً ما يقومون بدون أى مبرر ببخس أعمال النساء وكفاءاتهن ويتحاشون تكليفهن بالقيام بأعمال تنطوى على المسئولية » .

وفى تشيكوسلوفاكيا ، حيث ظروف العمل أفضل قليلاً منها فى سائر

أوروبا الشرقية ، تقوم النساء بأعمال تحت الأرض فى مناجم الأورانيوم وفى مصانع الصلب . وفى أحد مصانع الصلب فى تشيكوسلوفاكيا قامت حوالى مائتى عاملة من النساء برفع شكاية مؤداها أنه كان لزاماً عليهن أن يشتغلن فى نوبات ليلية حتى يقمن بعمل رجال كانوا يحضرون اجتماعات الحزب الشيوعى ، وأنه عندما نظمن احتجاجاً يعربن فيه عن استنكارهن لذلك ، قام البوليس بتفريقهن .

وقامت حكومات الدول التابعة للاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٥٩ بإدخال ممارسة « العمالة الإختيارية » فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، وهو نظام ينطبق على العمال من الرجال والنساء على السواء ، بل وعلى تلاميذ المدارس ، ولا يدفع بموجبه أى أجر عن العمل الذى يقومون بتأديته للإنتاج زيادة عن الوقت المقرر عمله أسبوعياً . ومثال ذلك يجب على تلاميذ المدارس فى ألمانيا الشرقية أن ينفقوا يوماً واحداً فى الأسبوع باعتباره « يوماً للإنتاج » دون مكافأة .

(٥) ما هى الإمتيازات التى تتمتع بها الأمهات العاملات فى روسيا السوفيتية ؟

تتمتع الأمهات العاملات والحوامل بعدد من الإمتيازات فى الاتحاد السوفيتى وغيره من البلاد الشيوعية .

فالمرأة العاملة فى الصناعة تمنح قبل الوضع وبعده إجازة ولادة تتكون وفقاً لقانون عام ١٩٤٤ ، من ٧٧ يوماً منها ٣٥ قبل الوضع و ٤٢ بعد الوضع . والنساء اللواتى يحق لهن الاستفادة من مزايا الائتمان الإجتماعى ، تدفع عنهن نفقات المستشفى وكالات التأمين الاجتماعى ، كما أن معظم الأمهات السوفيتيات يحق لهن أن يأخذن علاوة نقدية زهيدة لشراء لوازم الطفل المولود حديثاً .

وعلى الرغم من هذه النصوص الشرعية ، فإن هذة المزايا قد لا يكترث بها فى بعض الأوقات ، أو قد يؤجل منحها نتيجة لإجراءات رسمية عقيمة أو عدم اكتراث إدارة المصنع ، كما أن الضغط الذى يمارسه مديرو المصانع للاحتفاظ بقوة العمالة يعمل بأقصى طاقة من شأنه أن يبطل من تطبيق هذه الشروط على الأمهات المشتغلات .

وباستثناء عدد قليل من المراكز الموجودة فى المدن حيث تتوافر عناية لا بأس بها خاصة بالولادة بالنسبة للأمهات العاملات ، فإن المرافق الخاصة بالعناية الطبية ورعاية الأطفال فى المدن الصغيرة والمناطق الريفية غير كاملة الإعداد على وجه العموم ، أو لا توجد بالمرة .

(٦) كيف تتحقق العناية بالأطفال الصغار فى البلاد الشيوعية بينما تكون أمهاتهم يشتغلن فى أماكن عملهن ؟

يقوم عدد كبير من المصانع والمزارع الجماعية بإدارة دور للحضانة تعتنى أثناء النهار بالأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين شهرين وثلاث سنوات ، كما أن هناك مدارس روضة الأطفال للأولاد الذين هم بين الثالثة والسابعة . وجميع هذه المؤسسات تتقاضى عن خدماتها رسوماً ، فيدفع والدا الطفل ما بين ثلث إلى ربع تكاليف حفظه فيها ، وتدفع الحكومة أو الوكالة المتكلفة بهذه المهمة الرصيد الباقى .

وأكثر الشكاوى تردداً فيما يتعلق بهذه المؤسسات الخاصة برعاية الأطفال هى أنها تفتقر إلى التسهيلات اللازمة وأنها مزدحمة وتدار بدون كفاءة من جانب موظفين غير مدربين . وهذا القول ينطبق بصورة خاصة على المراكز الموجودة خارج المراكز الحضرية .

ومن الأمثلة النموذجية على ذلك الشكوى التى أعربت عنها زوجة أحد

موظفى الجيش السوفيتى عند ما كتبت فى إحدى الصحف المحلية تقول :

« إننى لا أتمكن من أن أذهب لأعمل ، لأنه لا يوجد أحد فى البيت أستطيع أن أترك معه أولادى الصغار ، كما أننى لا أتمكن من أن أتركهم فى إحدى دور الحضانة ، على الرغم من أننى ما زلت أحاول أن أقوم بذلك لأكثر من شهر . إنهم يعدوننى بقبول أولادى فى دار الحضانة عند ما يفتتحون فرعاً لها . ولكن متى يكون هذا ، فإن أحداً لا يستطيع أن يتكهن بذلك . »

(من رسالة نشرت فى صحيفة لنيينسكوية زوانيا)

(٧) أصحيح أن الحكومات الشيوعية تعزل الأولاد الصغار عن تأثير والديهم ؟

ليس نظام الثقافة الماركسية — اللينينية المعمول به فى جميع البلاد الشيوعية سوى وسيلة واحدة لعزل الأولاد الصغار عن تأثير والديهم ، ذلك لأن جهاز التثقيف الشيوعى وهيئات الشباب التى يديرها الشيوعيون هى فى الواقع عوامل مبدئية للسيطرة على الأطفال .

أما الوسيلة الأخرى لفصل أعضاء الأسرة عن بعضهم البعض ، فهى العمالة الإجبارية لوالد الطفل ووالدته لساعات طويلة كل يوم بسبب الحاجة الاقتصادية . فالعامل السوفيتى الماهر يكسب ٨٠٠ روبل فى الشهر أو أكثر ، ولكن تكاليف المعيشة لأسرة مكونة من شخصين بالغين سن الرشد وطفلين لا تقل عن ١٠٠٠ روبل فى الشهر وذلك لسد نفقات المواد الغذائية ودفع أجر المسكن فقط . ولذلك فلابد للمرأة من أن تعمل ولو كعاملة غير ماهرة تكسب نصف ما يكسبه زوجها من أجر .

ويوم العمل الطويل فى ساعاته — ومعيار أسبوع العمل هو ٤٦ ساعة وقد يزيد عن ذلك بكثير بالنسبة للرجال العاملين الذين يسعون للوفاء

بأنصبتهم من الإنتاج — يعنى أن الأولاد الصغار هم تحت إرشاد وسيطرة وكالات تابعة للدولة من الصباح الباكر حتى الساعة السادسة مساءً .

أما خارج ساعات الدراسة فتقوم هيئات الشباب والمؤسسات الأخرى التى توجهها الدولة بمواصلة تلقينها تعاليم الشيوعية للأطفال عن طريق دعايتها المستمرة المناهضة للدين ، وتدريسهم أن ولاءهم الأول إنما يجب أن يكون لنظام الحكم الشيوعى وليس لأسرهم .

(٨) كيف يؤثر انضمام النساء الاجبارى للعمل فى الانتاج على حياة الأسرة فى روسيا السوفيتية ؟

لقد عمل انضمام النساء الإجبارى إلى العمل فى الإنتاج وغيره من ضروب العمل فى الاتحاد السوفيتى على زيادة العدد الإجمالى للعمال ولكن على حساب مرتفع للفرد والأسرة .

وفى أثناء النهار تكد المرأة السوفيتية المثالية وهى تعمل فى صناعة شاقة تقصم ظهرها ، وغالباً مايكون هذا العمل من النوع غير المسموح به للنساء فى الدول الحرة بسبب ما ينطوى عليه من مخاطر جسمانية .

وقبل أن تتوجه المرأة السوفيتية إلى عملها عليها فى كثير من الأحيان أن تقف فى طوابير طويلة أمام محل لبيع المواد الغذائية . وهنا غالباً ما تجد الكثير من المواد الغذائية الهامة غير متوفرة ، أو أن ما كان يوجد منها قد نفد . وكذلك عليها هى وزوجها أن تحضر لبضع أمسيات أسبوعياً اجتماعات محلات بيع المواد الغذائية ومحاضرات الإرشاد ، أو أى نشاط تقوم به نقابة العمال أو الحزب الشيوعى ، ومن ثم لا يكون متوفراً لديهما سوى الوقت القليل أو قد لا يتوفر لديهما أى وقت بتاتاً للمتعة سوياً .

(٩) ما الدور الذى يقوم به الوالدان فى ظل الشيوعية ؟

تفسر المحاضرة التى أذيعت فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية فى ١٨ أكتوبر ١٩٥٢ عن دور الوالدين فى ظل الشيوعيه الموقف الرسمى الذى يسلكه الاتحاد تجاه إلتزامات الوالدين فيما يتعلق بهذه المسألة . قالت الإذاعة : « يلعب الوالدان وأعضاء الأسرة الكبار دوراً هاماً فى تربية الطفل بروح من الفضيلة الشيوعية . والطفل إنما يتلقى التربية المناسبة إذا ما كان الوالدان من الوطنيين الحادى الطباع ، يساهمان فى الأعمال الاجتماعية ، ويقومان بدور فى الكفاح من أجل إنجاز مشروع السنوات الخمس ، ويساعدان بعضهما البعض فى أعمالهما الخاصة بالعناية بالأسرى . »

وعلى ذلك تعتبر عناية الوالدين وتدريبهم للأطفال امتداداً لأوجه النشاط التى يقوم بها الحزب الشيوعى ومجرد تتمة لإشراف الدولة عليهم .

وبالإضافة إلى ذلك يحاول الشيوعيون — ولم يحرزوا نجاحاً يذكر فى هذا الشأن — أن يضعوا الزواج على أساس إيديولوجى . وفى هذا تقول إحدى النشرات الشيوعية الرسمية :

« عند اختيار الشاب الشيوعى أو الشابة الشيوعية شريكة حياته أو شريك حياتها ، يجب على كل واحد منهما أن يبحث أولاً عن الأفكار السياسية السليمة التى يتحلى بها كل منهما ، ثم عن الثقافة والطباع والصحة والجمال .

(١٠) ما نوع العناية الطبية التى تتوفر لأسرة العامل العادى فى الاتحاد السوفيتى ؟

تتمتع أسر الطبقة العليا فى الاتحاد السوفيتى بأحسن عناية طبية ، كما تحظى بأفضل الخدمات من جانب الأطباء . أما العمال العاديون فلا ينالون سوى اليسير من التسهيلات الطبية العامة . إن نسبة الأطباء الإجمالية لجميع السكان السوفييت هى تقريبا طبيب واحد لكل ٧٠٠ شخص ، ولكن وجودهم بصورة مركزة فى المراكز الحضرية تجعل كثيراً من المناطق الريفية بنسبة طبيب واحد لكل ١٠٫٠٠٠ شخص .

(١١) هل عملت مشروعات السنوات الخمس السوفيتية على زيادة القدرة الشرائية للعامل العادى ؟

لم تعمل مشروعات السنوات الخمس على زيادة القوة الشرائية للمستهلكين فى الاتحاد السوفيتى .

فقد كانت الزيادة فى أجور العمال العاديين بين عام ١٩٢٨ (العام الذى بدأ فيه تنفيذ مشروع السنوات الخمس الأولى) وعام ١٩٦٠ ، أقل بكثير من الارتفاع فى ثمن السلع الاستهلاكية ، ولذا فقد كان لزاماً على العامل السوفيتى العادى أن يعمل حوالى ٤٠ فى المائة أكثر مما كان يعمله فى عام ١٩٢٨ حتى يستطيع أن يشترى ما يكفى لطعامه الأسبوعى من سبعة أنواع رئيسية ، وهى الخبز والبطاطس واللحم والزبد والبيض والسكر .

وأدخلت بدعة على الاقتصاد السوفيتى فى أكتوبر عام ١٩٥٩ عندما صرح قانونياً بالشراء بالدفع بالأقساط لعدد محدود من السلع الاستهلاكية ، وطالب مرسوم أصدره الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى فى ١٥ أكتوبر بزيادة إنتاج السلع التى تعمر طويلا . وقامت صحف موسكو فى الوقت

نفسه تنقل أخبار ندرة وجود ورداءة أصناف سلع مثل الجوارب والخيوط ، والملابس المحاكة ، والأحذية ذات الوزن الخفيف ، وثياب العمل الجذابة ، وغيرها من السلع الأساسية .

(١٢) هل الضرائب مرتفعة بالنسبة للعامل العادى فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ؟

إن الضرائب المباشرة ليست مرتفعة بالنسبة للعامل العادى فى الاتحاد السوفيتى ، بيد أن هناك التزامات أخرى يجب عليه الوفاء بها ، مثل الشراء الإلزامى لسندات الدولة ، والضرائب المفروضة لصالح الاتحاد وما شابهها ، من شأنها أن تخفض من دخله الصافى تخفيضاً جوهرياً . وزيادة على ذلك كله فإن الضريبة الباهظة المفروضة على المبيعات — وهى ضريبة مخيفة تفرض على جميع الدخول — تزيد من ثمن أية سلعة يشتريها العامل بمقدار يوازى ٧٠ فى المائة أو أكثر ، كما أن ضريبة الدخل المفروضة على معدل مستوى الأجور الصناعية — من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ روبل فى الشهر — هى ٥ فى المائة على الـ ٥٠٠ روبل الأولى و ١٠ فى المائة على المبلغ الذى يزيد على ٥٠٠ روبل حتى ٧٠٠ روبل .

وصرح خروشوف فى خطاب له بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٥٩ بقوله : « إننا عازمون فى المستقبل القريب على إلغاء جميع الضرائب المفروضة على الشعب » . ومهما يكن من أمر فإن ضريبة الدخل السوفيتية ، وتبلغ حسب تخطيط مرسوم ٧٫٨ فى المائة من إيرادات الحكومة لعام ١٩٥٩ ، ليست بذات شأن فى الميزانية السوفيتية . ومثال ذلك هو أنه فى عام ١٩٥٩ استدعت الميزانية جمع أكثر من سبعة أمثال الإيراد الذى يدفعه الأهالى (ضريبة الدخل والضرائب الخاصة بما فيها جميع ضرائب الجمهورية) من دخل ضريبة المبيعات وضريبة الأرباح (المفروضة على الصناعات) .

وإذن ، فإن إلغاء ضريبة الدخل سيكون فى صالح المواطنين السوفييت ذوى الدخول المرتفعة نسبياً ، ولا تستفيد منه الأسر العادية التى يجب عليها أن تدفع من ٥٠ إلى ١٠٠ فى المائة كضريبة مبيعات على مشترياتها ، إلا قليلا ، وقد لا تستفيد منه بتاتاً .

(١٣) هل جميع العمال فى روسيا السوفيتية مشمولون بالتأمين الاجتماعى ؟

إن حوالى نصف القوة العمالية السوفيتية بما فى ذلك ٣٥٫٠٠٠ مليون عامل زراعى تقريباً ليسوا مشمولين بالتأمين الاجتماعى .

فقد جاء فى تقرير نشرته صحيفة « إنترناشيونال ليبور رفيو » أن العامل السوفيتى لا يتمتع بأى مزايا فى حالة مرضه أثناء الشهور الستة الأولى من توظيفه ، ولا يدفع له المبلغ بالكامل إلا بعد أن يكون قد اشتغل لمدة عشر سنوات فى نفس المكان .

ومن أولئك الأشخاص الذين يشملهم التأمين الاجتماعى يحق للرجال أن يتمتعوا بمزايا نظام التقاعد (المعاش) فى سن الستين ، ولكن بعد أن يكونوا قد عملوا بصورة متواصلة لمدة خمس وعشرين سنة . وكذلك يحق للنساء أن يحصلن على مخصصاتهن فى المعاش عندما يبلغن الخامسة والخمسين من أعمارهن بشرط أن يكن قد اشتغلن بصورة متواصلة لمدة عشرين عاماً .

وهكذا نرى أن نظام التأمين الاجتماعى يمثل سلاحاً فى يد الدولة لإرغام العمال على الاشتغال فى نفس الوظيفة مدى الحياة .

وكان أن أعلن رئيس الوزراء السابق ، نيكولاى بولجانين ، فى اجتماع مجلس السوفييت الأعلى الذى عقد فى ١٢ يولية عام ١٩٥٦ عن مشروع معاش جديد أسماه « إصلاح جذرى » . ووفقاً للقانون الجديد

يحق للمواطنين السوفييت الذين يقضون فى أعمالهم مدداً تتراوح بين عشرين وخمس وعشرين سنة ، أن يحصلوا على معاش لا يقل عن ٣٠٠ روبل ولا يزيد عن ١٢٠٠ روبل فى الشهر .

والعمال فى اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية يخضعون حتى لأحكام أكثر صرامة عن طريق تطبيق نظام جوازات السفر الداخلية و «بطاقات العمل» . فكل عامل فى الاتحاد السوفيتى يجب عليه أن يحتفظ ببطاقة تشتمل على سجل بحياته العملية ، أى بتواريخ وأمكنة عمله ، وبعدد المرات التى غابها ، وبعدد العقوبات التى فرضت عليه لمخالفته قانون العمل ، وما إليها .

(١٤) هل يتمتع العمال بمزايا دور الاستراحة والمنتجعات (المصايف والمشاتى) دون مقابل ؟

على العمال أن يدفعوا نقوداً مقابل استفادتهم من مثل هذه المزايا ، ولكن العمال « المهرة » ، وموظفى الحزب الشيوعى ينظر إليهم نظرة اعتبارية خاصة فيما يتعلق بهذا الأمر . وبالرغم من أن نفقات المعيشة فى هذه الأماكن زهيدة نسبياً ، فإن هذه النفقات مضافاً إليها تكاليف المواصلات لتزيد عما يستطيع العامل العادى أن يتحمله . زد على ذلك أن أسرته لا تصاحبه فى هذه الرحلات .

ولا يسمح بالإستفادة من مثل هذه الأماكن مجاناً فى العام الواحد، سوى لحوالى واحد فى المائة فقط من جميع العمال السوفييت الذين يحق لهم التمتع بها . إن هذه المنتجعات يتمتع بها بصفة رئيسية موظفو الحزب الشيوعى والإداريون وغيرهم من الأفراد الذين لهم حظوة لدى الدولة .

(١٥) هل يلقن الأطفال التجسس على والديهم فى ظل الحكومات الشيوعية ؟

يشجع الأطفال فى ظل الحكومات الشيوعية على أن يقوموا بإعلام المسئولين عن أى تقصير من جانب والديهم ومدرسيهم فى اتباع ما يمليه عليهم الحزب الشيوعى .

ويوجد فى حديقة كراسنوبرسنسك للأطفال فى موسكو تمثال لبافليك موروسوف الذى كان قد وشى ، وهو فى الثانية عشرة من عمره وباعتباره عضواً فى جماعة « الرواد » (وهى هيئة للشباب الشيوعيين) ، بوالده للسلطات المسئولة لإخفائه كمية صغيرة من الحبوب عن المأمورين الذين يقومون بجمعها . ونتيجة لفعلة بافليك هذه كان قد حكم على والده موروسوف بأن يعمل للدولة لمدة عشر سنوات بالسخرة ، وقام المسئولون رسمياً بتشجيع الشباب من أعضاء جماعة الرواد والكومسومول بتقديس « البطل بافليك » .

(١٦) هل هناك انحراف فى الأحداث فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ؟

إدعى راديو موسكو فى ١٦ أكتوبر ١٩٥٩ أن انحراف الأحداث « لم يعد مشكلة » فى اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية . وهذا الادعاء مردود بالتلميحات التى ترددها الصحافة السوفيتية عما يقوم به الاحداث من أعمال تعتبر فى البلدان الأخرى بمثابة أدلة على انحراف الأحداث .

ولقد ازدادت منذ عام ١٩٥٦ الجهود التى يبذلها الحزب الشيوعى والحكومة الشيوعية من أجل القضاء على السلوك المخالف لآداب المجتمع

وعصيان القانون من جانب الأحداث زيادة عظيمة ، كما أن هناك برنامجين مختلفين بدأ العمل فيهما فى عام ١٩٥٩ يدلان على خطورة حالة الأحداث فى الاتحاد السوفيتى .

إن ما يسمى « بالفرق الشعبية » التى اختبرت فاعليتها فى عدد قليل من المراكز الريفية فى عام ١٩٥٨ ، قد أصبحت تعم جميع أرجاء الاتحاد . وهى تتألف من العمال الذين يشتغلون فى الصناعة والمزارع الجماعية أو غيرها من الأعمال الحكومية التى مهمتها القضاء على انحرافات الأحداث فى الأماكن التى يعملون فيها .

وقادة هذه الفرق هم من أعضاء الحزب الشيوعى أو الكومسومول الموثوق بهم ، وتنحصر مهمتهم فى وقف انحرافات الأحداث ، مثل « الإخلال بالنظام والسلوك المشين » . وقد يقومون كذلك بالتبليغ عن أسماء « مخالفى النظام العام » إلى « المحاكم الصديقة » (أنظر الفصل السادس) .

وحيث أن هذه الجماعات من المواطنين تعمل خارج نطاق قوة البوليس المدنى النظامى (الميليشيا) ، فقد تعددت الشكاوى بأن تلك الفرق الشعبية قد تجاوزت الحقوق المخولة لها بتدخلها فى شئون تعتبر شخصية محضة .

والدليل الآخر على وجود مشكلة الأحداث يتمثل فى اللوائح الرسمية التى أذيعت فى شهر أكتوبر عام ١٩٥٩ ، والتى تنظم الإجراءات الخاصة بمنظمات الشباب التى أنشئت حديثاً . ومنظمات الشباب هذه تقوم بتأسيسها اللجان التنفيذية للحزب الشيوعى التابعة للمدن المركزية والأقاليم السوفيتية ، وتمارس مهمتين رئيسيتين : أولاهما الحيلولة دون وقوع مخالفات للقانون من جانب الأحداث أو معاقبة مرتكبيها ،

وثانيهما : اتخاذ الإجراءات القانونية ضد والدى الأحداث أو أولياء أمورهم . ويعتبر الأشخاص الرشيدون مسئولين عن مخالفات القاصرين الذين هم تحت رعايتهم .

أما الأشخاص القصر الذين تزيد أعمارهم على الحادية عشرة والذين ارتكبوا « أعمالاً اجتماعية خطيرة » ، أو الذين يخالفون « قواعد السلوك العام » بصورة متواصلة ، فقد يحكم عليهم بوضعهم فى « مستعمرات ثقافية » لمدد قد تصل إلى ثلاث سنوات .

(١٧) لماذا توصف الشيوعية بأنها تهديد لحياة الأسرة ؟

يعتبر نظام الأسرة ، وفقاً للمبادىء الماركسية اللينينية ، جزءاً من جهاز الدولة لإنتاج شيوعيين معايمين « مدربين » .

والأسرة الشيوعية تكون معرضة فى أى وقت لتفتيش ورقابة من جانب الدولة ، أو من جانب وكالة أو أكثر من وكالاتها أو من جانب ممثلى الحزب الشيوعى المحلى . والأولاد يعزلون فى معظم الأوقات عن رقابة والديهم وتأثيرهم ، كما أن الوالدين يفصلون عنهم بسبب شروط العمل والظروف المعيشية العامة .

الفصل الثاني عشر

التجارة والشيوعية

(١) هل تمارس الحكومة السوفيتية التجارة بمثل الطريقة التى تمارسها بها الدول الأخرى ؟

تختلف التجارة الخارجيـــة للاتحاد السوفيتى فى نواح هامة ، عن تلك التى تمارسها بهـا الدول الحرة ، ولعل الاختلاف البارز هو فى طابعها الاحتكارى .

فالتجارة فى العـــالم الحر يتم معظمها بواسطة الأفراد أو الشركات الخاصة ، وهم الذين يقررون تجارتهم على أساس جملة عوامل ، مثل الطلب والثمن وما حجم التجارة التى سيتعاملون بها ومع من يتعاملون .

أما التجارة الخارجية — وكذلك الداخلية — للاتحاد السوفيتى وغيره من الدول الشيوعية ، فتخضع تماماً لسيطرة الحكومة التى تملك جميع المنتجات التى يتاجر بها وتقوم بتوزيعها . وفى الاتحـاد السوفيتى يدخل كل من التصدير والاستيراد فى نطاق سلطة وزارة التجارة الخارجية ، كما تقوم الوكالات التجارية أو عـدة بيوت صناعية ، بتوجيه التفاصيل العملية على أســـاس اتفاقيات أو عقود تجارية مع الدول الأخرى أو الشركات الخاصة .

ومما يجدر ذكره أن عدداً كبيراً من هـذه الاتفاقيات ذو صبغة سياسية ودعائية .

(٢) ما هى العوامل الرئيسية التى تتحكم فى التجارة الخارجية السوفيتية ؟

تتأثر التجارة الخارجية السوفيتية بمطامح سياسية شيوعية تنص عليها السياسـات التى وضعتهـا اللجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحـاد السوفيتى . فالاحتياجات العسكرية والصناعية السوفيتية المتشابكة والتى

ينسقها الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى هى التى تقرر إلى حد كبير، برنامج الاستيراد، كما أن الصادرات السوفيتية تتأثر بلا ريب بحجم وطابع السلع المنتجة للتصدير تبعاً لخطة تضعها الدولة.

ويتقرر حجم الصادرات السوفيتية إلى درجة ما بحاجة الاتحاد السوفيتى إلى التبادل الخارجى أو الاعتماد المالى الذى يستطيع به شراء السلع التى هو فى حاجة إليها والتى لا ينتجها بكميات كافية فى البلاد. وأيا كان الأمر فإن جزءاً كبيراً من صادرات السوفييت — ومن وارداتهم أيضاً — يتم التعامل به تجارياً مع البلاد التى ترغب الحكومة السوفيتية بصفة خاصة فى أن تقيم معها، أو أن تحتفظ وإياها، بعلاقات سياسية وثيقة.

(٣) كيف أثرت الماركسية — اللينينية على التجارة الخارجية السوفيتية ؟

كانت السياسة التجارية لموسكو ولا تزال تتأثر فى بعض الأحايين تأثراً قوياً بالمبادىء الماركسية — اللينينية. فقد حدثت عدة تحولات فى أوجه نشاط التجارة الخارجية السوفيتية بسبب التغيرات التى طرأت على الأساليب الشيوعية.

ومثال ذلك أن السوفييت كانوا يبدون حتى انعقاد المؤتمر الاقتصادى الدولى فى موسكو فى ابريل عام ١٩٥٢، وكأنهم يسعون لتعزيز التجارة بين الشرق والغرب لتكون فى صالح الكتلتين، أى للمنفعة المتبادلة للدول المعنية.

وفى صيف عام ١٩٥٢ على أية حال، نشرت النشرة الرسمية «بولشفيك» مقالاً بقلم ستالين، أحدثت تغييراً حاسماً فى سياسات التجارة الخارجية السوفيتية. قال ستالين — على أساس المبادىء الماركسية اللينينية — إن

« المتناقضات الاستعمارية » ستمهد السبيل لحروب ومنازعات تجارية على الأسواق العالمية بين « الدول الاستعمارية » ، وإنه بسبب ذلك يجب على الكتلة الشيوعية أن تهيء تجارة تعتمد على نفسها فى الصعيد الخاص بها .

وأسفرت السياسة الإنعزالية غير العملية لستالين ونظريته القائلة بإقامة « سوقين متوازيين عالميتين » عن تقاعس اندفاع تجارة الحكومة السوفيتية فى العالم الحر .

وفى غضون شهرين بعد وفاة ستالين فى مارس ١٩٥٣ ، قامت الحكومة الجديدة برئاسة جورجى مالينكوف بشن أعنف « هجوم على التجارة » منذ انعقاد المؤتمر الاقتصادى فى موسكو ، ثم أعلن مالينكوف نفسه بعد عام أن الحكومة السوفيتية تتمسك بسياسة « المنافسة الاقتصادية السلمية للاتحاد السوفيتى مع جميع الدول الرأسمالية بما فيها ، بكل تأكيد ، الولايات المتحدة .

ومنذ ذلك الحين ما فتئت الدعاية والأعمال السوفيتية فى ميدان التجارة الخارجية تحذو حذو حملة موسكو للدعاية من أجل « التعايش السلمى » الذى يعتبر تقدم التجارة بين الشرق والغرب جزءاً منه . ولم تفِ الحكومة السوفيتية بكثير من التزاماتها وفقاً للاتفاقيات التجارية رغم ما تفوهت به موسكو من رغبة فى توسيع التجارة الخارجية . فالكتلة السوفيتية تريد أن تشترى المواد الستراتيجية من الغرب غير مكترثة بالسلع الاستهلاكية . وقد أعلن مولوتوف ، وزير الخارجية السوفيتية هذا جلياً ، فى مؤتمر جنيف الذى عقد فى منتصف شهر نوفمبر عام ١٩٥٥ .

إن الشطر الأعظم من « التجارة الخارجية » للبلاد الشيوعية إنما يتم بين دول الكتلة السوفيتية الصينية ، كما تسيطر على معظمه ممارسة مركزية .

(٤) ما مدى التجارة الدولية للحكومات الشيوعية ؟

يعتبر تقييم الوضع التجارى للكتلة الشيوعية مسألة معقدة ، وذلك لأن عملات الكتلة ليست الوسائل للتبادل التجارى الخارجى . فالأرقام الموضوعة على أساس الأسعار الرسمية الشيوعية لتبادل النقد الأجنبى تميل إلى تضخيم التقديرات لتجارة الكتلة الشيوعية عند تحويلها إلى عملات إلى عملات صعبة كالدولار .

ولم يطرأ سوى تغيير طفيف على حجم التجارة الدولية بين « السوق الاشتراكية العالمية » و « السوق الرأسمالية العالمية » ، إذ أن الفارق بين هاتين السوقين كان فى عام ١٩٥٢ ، ٢ر٢ فى المائة من مجموع التجارة الدولية و ٩ر٢ فى المائة فى عام ١٩٥٨ . وفى خلال السنوات الخمسينات من هذا القرن ارتفعت حصة المعسكر الشيوعى من التجارة العالمية وفقاً لأرقام التبادل الشيوعى من ٩ر٢ فى المائة فى عام ١٩٥٢ إلى ٧ر١٣ فى المائة فى عام ١٩٥٨ .

وقد يكون التقييم الأقرب إلى الحقيقة هو ١٠ فى المائة ، كما أن ٧٨ فى المائة من مجموع تجارة الكتلة كان قد تم فى عام ١٩٥٨ فى المتاجرة بمبادلات السلع فى داخل الكتلة نفسها .

وتشير المصادر الشيوعية إلى أن تجارة الكتلة مع الدول الآخذة فى النمو قد ارتفعت من ١٢ر١ بليون دولار فى عام ١٩٥٢ إلى ٥٨ر٢ بليون دولار فى عام ١٩٥٨ . وعلى الرغم من هذه الزيادة فإن الرقم الإجمالى لا يمثل سوى جزء صغير من حجم التجارة بين الدول الآخذة بأسباب النمو والعالم غير الشيوعى .

(٥) ما هى السلع التى يصدرها الاتحاد السوفيتى ؟

يبدو أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الغنى فى موارده

الطبيعية يواجه صعوبات فى الوفاء بالتزاماته الخاصة بتصدير مثل هذه الأشياء ، اللهم إذا استثنينا المواد المعدنية. وأياً كان الامر فإن موسكو قد وقعت معاهدات تجارية عديدة تستدعى تصدير سلع صناعية .

وفى الاتحاد السوفيتى نقص فى تزويد السلع التقليدية الروسية للتصدير مثل الحبوب والأخشاب ، وقد قام سكرتير الحزب الشيوعى نيكيتا خروشوف بالتعقيب تعقيباً عنيفاً على هذا النقصان فى المنتجات الزراعية والأخشاب ، كما أن الاتحاد السوفيتى فى حاجة ماسة إلى المواد الخام الأخرى مثل البترول الخام والفحم لاستخدامهما فى مصانعه الخاصة ومنشآته الحربية.

ومنذ عام ١٩٥٤ قامت الحكومة السوفيتية ببحث إتفاقيات تجارية عديدة مع دول العالم الحر ، ولكنها فى كثير من الحالات لم تتمكن من توريد السلع الموجودة فى قائمة التبادل أو لم تكن راغبة فى توريدها .

وحدث تغيير فى طابع وحجم الصادرات السوفيتية فى الفترة بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٥٨ . فقد قفزت نسبة الآلات والمعدات والمعادن والسلع المعدنية من ٦,٦ فى المائة من مجموع الصادرات السوفيتية فى عام ١٩٣٨ إلى ٣٥ فى المائة فى عام ١٩٥٨ ، وتضاعف حجم الصادرات من المعادن الخام والمواد المركزة، بينما قل تصدير السلع الاستهلاكية الصناعية إلى النصف فى هذه الفترة ، كما أن الصادرات من الأقمشة والمواد الخام المستخدمة فى صنع الأقمشة كانت قد سجلت ارتفاعاً معتدلا (من ٢,٤ فى المائة إلى ٦,٨ فى المائة) ، وارتفعت الصادرات من مواد الوقود لا سيما البترول الخام من ٨,٨ فى المائة من مجموع الصادرات إلى ١٥,٢ فى المائة . ومن الجهة الأخرى هبطت الصادرات من الحبوب فى المدة نفسها من ٢١,٣ فى المائة إلى ٨,٣ فى المائة .

كذلك سجلت الصادرات السوفيتية من البترول الخام ارتفاعاً عظيماً ، إذ زادت الكمية المصدرة فى عام ١٩٥٧ من ٥,٩ مليون طن إلى ٩ ملايين

طن فى عام ١٩٥٨ . ومن بين الآلات احتلت سيارات النقـــل الكبيرة والسيارات العادية مكان الصدارة ، إذ بلغ عدد السيارات النقل التى تم تصديرها من الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٥٨ ، ٢٩,٧٠٠ سيارة نقل كبيرة مقابل ١١,٢٠٠ فى عام ١٩٥٧ من بينها ٢٠,٥٩٥ سيارة نقل كبيرة استوردتها الصين الشيوعية . وبالإضـــافة إلى ذلك كانت بكين مشترية كبيرة للآلات الصناعية السوفيتية ،

أما أكبر نسبة مئوية فى ازدياد الفرق بين صادرات وواردات الكتلة الصينية السوفيتية فقد تمثلت فى الجرارات إذ بلغ ما استوردته بكين فى عام ١٩٥٨ ، ٢,٦٢٥ وحدة مقابل ٦٨ وحدة فى عام ١٩٥٧ .

وسجل المال المستغل سنوياً فى تجارة الاتحاد السوفيتى مع ٢٧ دولة من دول العالم الحر فى عام ١٩٥٨ زيادة مقدارها ٣,٧ فى المائة عما كان عليه فى عام ١٩٥٧ ، ولكن القيمة الإجمالية للروبل فى عام ١٩٥٨ لم تكن ضخمة ، إذ بلغت ٩ بلايين روبل (أو ما يوازى وفقاً للسعر الرسمى لمبادلة العملة ٢,٢٥ بليون دولار تقريبا) .

وكانت هناك شكاوى من مستوردين فى دول أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط والشرق الأقصى مفادها أن البضائع السوفيتية المستوردة لم يتأخر توريدها طويلاً فحسب ، بل لم تكن كذلك مستوفاة للشروط والمواصفات المنصوص عليها فى الاتفاقيات المعقودة بين الأطراف المعنية .

٦) كيف تؤثر موسكو على تجارة الدول التابعة لها ؟

تمارس التجارة الخارجية وكذلك الداخلية لدول أوروبا الشرقية وفقاً لسياسات تقرر فى موسكو أو بواسطة وكالات فى الدول التابعة لها خاضعة للحكومة السوفيتية .

ومنذ استيلاء الشيوعيين على السلطة فى أوروبا الشرقية من عام ١٩٤٧ — عام ١٩٤٩ ، وجميع أوجه الاقتصاد القومى والمعاملات التجارية للدول التابعة لموسكو ما فتئت تتغير تغيراً كبيراً بحيث تتلاءم وبرامج التجارة السوفيتية وتقوم بمساندة الاقتصاد السوفيتى .

وفى معظم بلاد أوروبا الشرقية ، حيث كانت الزراعة العنصر الأساسى فى الاقتصاد ، قامت السياسة السوفيتية قهراً بخلق صناعة ثقيلة مرسومة لتغذية الصناعة الثقيلة الموجودة فى الاتحاد السوفيتى وتكميلها . وكان أن أسفرت هذه السياسة عن أثر مضاد فى التنمية الزراعية لهذه البلاد ، ونتيجة لذلك باتت الدول المشايعة لروسيا والتى كانت من قبل تمد دول أوروبا الغربية بمعظم احتياجاتها من الحبوب وغيرها من المنتجات الزراعية ، لا تملك فائضاً تستطيع أن تصدره لها ، بل أصبحت بعض هذه البلاد هى نفسها فى حاجة إلى المنتجات الزراعية .

فبلاد المجر مثلاً التى كانت تعرف بمصدر الحنطة الرئيسى لأوروبا قبل الحرب العالمية الثانية ، لم تعد دولة مصدرة للحبوب ، كما أن رومانيا وبولندا أصبحتا لا تكفيان نفسيهما من المواد الغذائية .

ونتج عن النظام النصف الجماعى فى أوروبا الشرقية وتنظيم المزارعين فى جماعات تحت الشيوعية ، نقص فى المنتجات الزراعية حال دون تصديرها إلى الدول الغربية ، وأضعف من التجارة الداخلية بين دول الكتلة الشيوعية . ومع أن التجارة السوفيتية مع الغرب قد ازدادت منذ عام ١٩٥٣ بيد أنه كان هناك انخفاض فى تجارة الدول التابعة لموسكو .

وفى مايو ١٩٥٦ وأثناء مؤتمر لممثلى جميع الحكومات الشيوعية الأوروبية عقد فى برلين الشرقية واستمر ثمانية أيام ، أعلن عن مشروع سوفيتى لتوحيد اقتصاد الدول الشيوعية

ينص على تخصيص كل دولة من دول الكتلة الشيوعية لإنتاج بعض السلع وتوحيد مشروعات السنوات الخمس فى الدول التابعة لموسكو مع مشروع السنوات الخمس لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

ومشروع موسكو هذا لتوحيد اقتصاد الدول التابعة لها يقوم بتنفيذه المجلس السوفيتى للمساعدات الاقتصادية المتبادلة . وفى اجتماعاته التى عقدها فى الفترة بين عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ كان قد أكد وجوب وضع تخطيط اقتصادى عسكرى أكثر تماسكا بين جميع الدول الأعضاء فى الكتلة الصينية الشيوعية ودعا إلى شن حملة خاصة بالتجارة والمساعدة فى المناطق الأقل تقدما .

وتمشياً مع هذا البرنامج سجلت الدول الدائرة فى فلك موسكو فى صادراتها إلى دول الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا فى عام ١٩٥٨ زيادة عما صدرته إليها فى عام ١٩٥٧ بلغ ٢٠ فى المائة بقيمة الدولار . وتعتبر تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية ورومانيا الدول المصدرة الرئيسية من بين هذه الدول الدائرة فى فلك موسكو .

وعلى الرغم من أن الحكومات الشيوعية لا تعير سوى اهتمام ضئيل بالإعلان والدعاية الداخلية ، فإن مطبوعاتها الخارجية الخاصة بالتجارة تحفل بالكثير من مثل هذه المواد وتفاخر ببيع منتجات إما غير متوفرة للتجارة الداخلية أو مسعرة فى متاجر الدولة ومحظور بيعها .

(٧) هل التجارة المحدودة بين الشرق والغرب هى نتيجة الحظر الذى يفرضة الغرب على تصدير السلع الستراتيجية ؟

تقول صحيفة الأبزيرفر البريطانية الأسبوعية فى عددها الصادر بتاريخ ١٨ أبريل سنة ١٩٥٤ :

« إن العوامل التى تحد من اتساع التجارة بين الشرق والغرب لا تتمثل فى الجزء الأعظم منها فى الحظر الذى تفرضه الدول الغربية على تصدير السلع الاستراتيجية إلى الاتحاد السوفيتى ، بل فى النظام الاقتصادى السوفيتى ذى الاكتفاء الذاتى العالى بصفة عامة والكميات المحدودة من البضائع المتوفرة للتصدير . فتصدير الحبوب يمكن ترويجه ولكن على حساب حملة تشن للحصول على مزيد من إنتاج الماشية فى داخل روسيا ، وكذلك يمكن لروسيا التوسع فى تصدير الأخشاب . وتصدير روسيا للأخشاب فى الوقت الحاضر لا تزيد نسبته على عشر ما كانت تصدرها قبل الحرب — ولكن على حساب نقص فى الكميات المستهلكة محليا .

« لقد عملت الثورات الاقتصادية التى أخذت مجراها فى السنوات الأخيرة فى جميع الدول السوفيتية على زيادة كل من الطلب على البضائع الاقتصادية المستخدمة فى الإنتاج والحد لدرجة كبيرة من القدرة على دفع أثمانها بالسلع التى تصدر بصورة تقليدية » .

(٨) كيف تستغل تجارة السوفييت الخارجية فى تحقيق أغراض السياسة؟

اتضح استغلال التجارة السوفيتية « كأداة للشيوعية » فى حالة إيران إذ أن الاتحاد السوفيتى جعل من تجارته مع هذه الدولة وسيلة لتمويل الجهاز الشيوعى فيها .

ومثال آخر على ذلك ، هو أنه فى ديسمبر عام ١٩٤٨ ، أى بعد شهور قلائل من طرد الحزب الشيوعى اليوغوسلافى من عضوية الكومينفورم الذى يسيطر عليه السوفييت ، أذاعت موسكو أن تجارتها مع يوغسلافيا فى عام ١٩٤٩ ستنخفض إلى ثمن ما كانت عليه فى عام ١٩٤٨ .

وسرعان ما حذت الدول التابعة للسوفييت حذو موسكو ، ولكن

جهودها المشتركة للاتفاق على أمر اقتصادى تستطيع به القضاء على حكم تيتو وتنصيب حكومة يوغوسلافيه تابعة لموسكو كانت قد باءت بالفشل.
وكان أن استؤنفت التجارة بين البلدين على نطاق ضيق فى عام ١٩٥٦ عندما قامت موسكو بمنح يوغوسلافيا قرضاً جوهرياً بالروبلات ، بيد أنه عندما ساءت العلاقات السوفيتية اليوغوسلافية فى عام ١٩٥٨ قامت موسكو بإيقاف تدفق القروض إلى يوغوسلافيا .

(٩) كيف تستخدم الحكومة السوفيتية التجارة كسلاح اقتصادى ؟ .

ترتبط الحملة التجارية الحالية التى تشنها الحكومة السوفيتية والحكومات التابعة لها ارتباطاً وثيقاً بالجهود التى تبذلها موسكو فى سبيل الحصول على مركز اقتصادى خانق لبعض الدول والفوز بامتيازات هامة ـ اقتصادية وسياسية ـ من الدول الأخرى . والاتفاقيات التجارية بين الكتلة الشيوعية وغيرها من الدول غير الشيوعية تحوى بصفة عامة شروطاً جذابة للدول غير الشيوعية ، أى نصوصاً تشتمل على أسعار مخفضة ، ونسب فوائد لا تنافس وآجال طويلة لسداد قيمتها .

وحكومة الاتحاد السوفيتى وغيره من الحكومات الشيوعية تستطيع القيام بذلك لأن أهدافها ليست تحقيق أرباح عاجلة من الصفقات التجارية ، بل التسلل الاقتصادى المترتب عليها إلى اقتصاديات الدول غير الصناعية (والأمل فى السيطرة عليها) .

ومن الأمثلة الحديثة العهد على استخدام موسكو لتجارتها كوسيلة للتسلل الاقتصادى قضية أفغانستان . فلقد بدأت الأساليب السوفيتية المرسومة لإيقاع هذا البلد فى أحبولة النظام الاقتصادى والسياسى للكتلة الشيوعية فى عام ١٩٥١ عندما تم إرسال الفنيين السوفيتيين لبناء سلسلة من صهاريج

الغازولين (البنزين) فى هذه الدولة التى كانت فى يوم من الأيام « مملكة منقطعة للعبادة » .

ومنذ ذلك الحين قامت الحكومة السوفيتية بتمويل عدد من الأجهزة الصناعية فى البلاد عن طريق تزويدها بقروض تسدد قيمتها بمنتجات أفغانية، ونتيجة لسياسات موسكو الخاصة «بالمساعدات والتجارة» أصبحت أفغانستان تعتمد أكثر فأكثر على الروابط الاقتصادية السوفيتية وتجد نفسها واقعة كذلك فى شبكة المناورات السياسية الشيوعية .

ويعمل عدد من الوطنيين السوفييت يتراوح بين ٥٠٠ و ٦٠٠ ومعظمهم من المتخصصين فى الإعمار والفنيين – و بينهم عدد كبير ممن يتكلمون اللغة الأفغانية – فى مراكز لهم فى أفغانستان ، وضبط بعض « المستشارين » السوفييت وهم يوزعون مواد تحتوى على دعاية شيوعية ، وحتى فى بعض الحالات وجدت شعارات عدائية موضوعة فى أساس إحدى العمارات أثناء بنائها فأزيلت .

وبينما تتضاءل تجارة أفغانستان مع البلاد غير الشيوعية ، أخذت نسبة تقدر بحوالى ٥٠ فى المائة من صادراتها تجد طريقها إلى الاتحاد السوفيتى وفقاً لاتفاقيات تجارية واتفاقيات مقايضة بين البلدين . وكذلك زادت واردات أفغانستان من الاتحاد السوفيتى زيادة ضخمة تدريجياً ، ولكن تبين أن عدداً كبيراً من السلع والمنتجات المستوردة دون المستوى المتفق عليه .

وما إن تقع إحدى الدول غير الشيوعية تحت سيطرة السوفييت الاقتصادية حتى تجد نفسها معرضة للابتزاز الاقتصادى الذى قد يهددها بوقف جميع متاجرتها فى حالة عدم الوفاء بجميع الشروط السياسية الشيوعية. وهذا أمر قد يعود بالكارثة على أية دولة تقطع الكثير من روابط تجارتها ببلاد العالم الحر .

(١٠) ماذا يقصد بعبارة « هجوم التجارة الشيوعية » ؟

تهدف عادة اتجاهات الكتلة الشيوعية التجارية المقنعة بعبارة « المنافسة السلمية » إلى تحقيق أغراض دعائية وسياسية بالإضافة إلى أغراضها الاقتصادية ، ومن ثم فقد ارتفع تدريجياً « الهجوم التجارى » للكتلة الصينية السوفيتية فى الشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى منذ عام ١٩٥٥ .

ومنذ نوفمبر عام ١٩٥٧ ، عندما اجتمع قادة الحزب الشيوعى من جميع مناطق العالم فى موسكو ليقوموا بوضع الخطة الاستراتيجية المستقبلة للحزب تركزت حملة الهجوم التجارى على أمريكا اللاتينية والدول الأفريقية الحديثة باعتبارها أهدافاً رئيسية . حقيقة إن حجم التجارة لهذه المناطق حتى عام ١٩٥٩ كان ضئيلاً ، ولكن الدافع السياسى الشيوعى لهذه الحملة بدا واضحاً .

أما العلاقة الوثيقـــة بين حملات « التجارة والمساعدة » الشيوعية والأهداف السياسية ، فقد اتضحت أثناء الجولة التى قام بها بولجانين رئيس الوزارة السوفيتية وسكرتير الحزب الشيوعى السابق ، فى الهند وبورما فى شهرى نوفمبر وديسمبر عام ١٩٥٥ ، إذ كانت وعودهم البراقة فيما يتعلق بزيادة التجارة بين هذه البلاد والاتحاد السوفيتى يتخللها بين حين وآخر الكثير من الدعاية الشيوعية والتهجمات العنيفة على الديموقراطيات الغربية .

وكذلك بينما كان المسؤلون فى حكومة بكين يتاجرون فى سبيل إقناع رجال الأعمال اليابانيين الزائرين لبلادهم بعقد اتفاقيات تجارة سخية ، قامت أجهزة الأنباء والدعاية للحكومة بتشديد حملة تهجمها على الحكومة اليابانية نفسها . وهذا التهجم من حملة الدعاية الصينية الشيوعية كان يرمى إلى تحقيق هدف ذى شقين ، أولهما : الضغط على طوكيو لتعترف ديبلوماسياً

بنظام الحكم فى بكين ، وثانيهما ، القيام بمحاولة عن طريق الإصرار على تسلم سلع استراتيجية من اليابان ، لتجاهل الحظر الذى فرضته الدول الحرة على التجارة الستراتيجية مع الصين الشيوعية .

(١١) ما هى الأسباب الاقتصادية الهامة للحملة التجارية الشيوعية بالإضافة إلى دوافعها السياسية ؟

بما أن الربح الخاص ليس له أى نصيب فى التجارة الخارجية فى ظل الشيوعية ، فإن « الربح » العائد إلى احتكارات الدولة للحكومات الشيوعية إنما يتمثل فى ملاءمة احتياجات التصدير والاستيراد فى الخطة الدارجة للدولة (أنظر الفصل العاشر) .

واتفاقيات التجارة الخارجية تقوم فى الوقت الحاضر بتحقيق ضرورتين متضادتين متساويتين فى أهميتهما لاقتصاد المنطقة ذات النفوذ السوفيتى . فالكتلة السوفيتية أولاً هى فى حاجة ملحة إلى مواد خام هامة وحيوية لنظامها المعقد الصناعى الآخذ فى الاتساع ، وثانياً ترغب الكتلة ـ لاسيما اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية — رغبة مستميتة فى أن تتم تكنولوجيتها المحدودة المتركزة فى الوقت الحاضر فى ميادين المعدات العسكرية والقذائف والصناعة الثقيلة بالدراية التكنولوجية للغرب فى الميادين الأحدث منها ، مثل الكيماويات وأنواع البلاستيك المختلفة والخيوط والأنسجة الصناعية وما إليها ،

ومكانة الاتحاد السوفيتى باعتباره الشريك المهيمن على تماسك الكتلة السوفيتية ، يجعل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية المصدر الرئيسى للمنتجات الهامة للدول الدائرة فى فلكه والتى يعمل كوسيط بالنسبة إليها .

ولهذا فإنه بينما استورد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتيه فى عام ١٩٥٦ أكثر من ١٤٠٫٠٠٠ طن من المطاط الطبيعى ، إذا به يعيد تصدير

حوالى ٩٧ فى المائة من هذه السلعة إلى تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية وبولندا . وكذلك قام الاتحاد فى العام ذاته بتصدير أكثر من ثلثى كميات البترول السوفيتى المعد للتصدير إلى الصين الشعبية وأوربا الشرقية و ٨٠ فى المائة من كميات القطن و ٧٤ فى المائة من كميات الفحم والفحم الكوك السوفيتى المعدة للتصدير إلى أوروبا الشرقية .

وبالقدر الذى تقرر فيه موسكو قيمة التبادل التجارى لجميع سلع التصدير والاستيراد فى دول الكتلة السوفيتية ، فإن الأمر المألوف العادى لاحتكارات التجارة السوفيتية هو شراء السلع بأسعار منخفضة وبيعها بأسعار مرتفعة ، ومن ثم تكون النتيجة أن المواطن العادى فى بلد من البلدان التابعة لموسكو يكون لزاماً عليه أن يدفع مقابل الأضرار التجارية للمعاملة مع موسكو بالسلع النادرة الوجود أوالسلع الاستهلاكية المرتفعة الأسعار .

ويجد المصدرون الغربيون للآلات والمعـــدات والسلع أنفسهم يواجهون فى الميادين الجديدة مطمحاً غير مرض ، ألا وهو تسلمهم «لسيل» من الطالبات مصحوبة بمنافسة شيوعية فى نفس الميادين فى الأسواق الخارجية، لاسيما أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية لايحترم أى حق من حقوق الاختراعات الخارجية .

الفصل الثالث عشر

توسع الشيوعية

١) كم عدد الذين تم إخضاعهم للحكم الشيوعى منذ أن بدأ التوسع السوفيتى فى عام ١٩٣٩ ؟

بلغ عدد الذين تم إخضاعهم للسيطرة الشيوعية بالقوة منذ عام ١٩٣٩ أكثر من ٧٠٠ مليون شخص وذلك بما فيهم الدول التابعة لموسكو فى أوروبا الشرقية والصين الشيوعية وكوريا الشمالية وفيتنام الشمالية والتبت . فإذا ما أضفنا هذا الرقم إلى ٢٠٨ر٨ مليون شخص فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية فعندئذ يصبح مجموع عدد من يخضعون للحكم الشيوعى أكثر من ٩٠٠ مليون نسمة أو حوالى ثلث عدد سكان الكرة الأرضية بأسرها .

أما الغالبية العظمى من الشعوب التى تم إخضاعها لحكم الشيوعية الصينية — السوفيتية فقد وقعت فى حبائل هذا النوع من الحكم فى مدة السنوات الخمس التى جاءت بين انتهاء الحرب العالمية الثانية وعام ١٩٥٠ .

وأياً كان الأمر فإنه بينما كانت الكتلة الشيوعية تعبىء فى معسكرها بالإكراه الملايين من الأشخاص ، انضم أكثر من ٦٥٠ شخصاً - معظمهم فى منطقة الشرق الأقصى والقارة الإفريقية - إلى أسرة الدول الحرة ، كما حصلت هذه الديمقراطيات الجديدة على المساعدة والتشجيع من الدول الغربية .

٢) ما هى المراحل التى مر بها التوسع الشيوعى ؟

أجازت المعاهدة المعقودة بين ستالين وهتلر فى عام ١٩٣٩ للاتحاد السوفيتى احتلال الجزء الشرقى من بولندا وضمه إليه . وبعد ذلك العدوان بقليل ضم السوفيت ثلاث جمهوريات من دول البلطيق هى ليتوانيا وأستونيا ولاتفيا . ثم أرغمت رومانيا على التنازل عن قسم كبير من أراضيها ،

وخسرت فينلندا حرباً مع جارتها القوية فتنازلت عن مناطق استراتيجية فى الجنوب لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، كما تنازلت عن منطقة فى أقصى الشمال وهى جزء من كاراليا فضمها الاتحاد السوفيتى إلى أراضيه .

وبينما كانت تدور رحى الحرب العالمية الثانية ، بدأ الكريملين يقوم بسلسلة من المناورات أدت إلى إخضاع الأقليات الشيوعية فى الدول الواقعة على حـــدود الاتحاد فى أوروبا الشرقية . وفى الفترة بين عام ١٩٤٧ وعام ١٩٥٠ تم تحويل حكومات بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا وألبانيا إلى حكومات لم تكن سوى ألعوبة فى يد السوفييت ، كما وقعت منطقة ألمانيا الشرقية والقطاع السوفيتى من برلين المحتلة تحت سيطرة موسكو . هذا وفى عام ١٩٤٦ أصبحت يوغوسلافيا دولة يسيطر عليها الحكم الشيوعى برئاسة المارشال تيتو .

وفى هذه الفترة كانت القوات السوفيتية المحتلة لكوريا الشمالية قد أقامت فيها حكومة ألعوبة فى يد الروس ، ومكنت مساعدة الروس فى الأسلحة الشيوعيين الصينيين أن يجتاحوا أراضى الصين الأم فى الفترة بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٠ ، كما أسفرت مساعدة الشيوعيين الصينيين لفيتنام الشمالية عن إقامة حكومة شيوعية فى المنطقة .

ومنذ عام ١٩٣٩ أصبح تحت سيطرة الشيوعيين أكثر من ١٤ مليون ميل مربع من الأراضى اغتصبت جميعها بقوة السلاح المصحوبة بأعمال الدسائس والتخريب والإرهاب . وبالإضافة إلى ذلك اتضحت ميول بكين التوسعية فى عام ١٩٥٩ بالقضاء على الحكم الذاتى للتبت وادعائها لملكية مناطق هندية على الحدود بين البلدين ، وأعمالها الإرهابية لمنطقة جنوب شرق آسيا .

(٣) هل حدث أن اختارت إحدى البلاد بمحض إرادتها الشيوعية كنظام لنوع الحكم فيها ؟

لا يوجد أى شعب فى العالم ، بما فيه الاتحاد السوفيتى ، اختار حكومة شيوعية عن طريق إجراء اقتراع شعبي حر .

والواقع أنه عندما كان الاقتراع يمارس بحرية ، كما حدث فى الانتخابات الأولى التى أجريت قبل الحرب فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ، رفض الشعب الأخذ بنظام الحكم الشيوعى .

وأيا كان الأمر فقد أحرزت الأحزاب الشيوعية انتصارات محلية . فمثلاً أخذت حكومة جواتيما لا تتحول بسرعة إلى حكومة شيوعية نتيجة لأعمال تخريبية شيوعية أثناء « وضع ثورى » (أنظر الفصل الخامس عشر) عندما قام المناهضون للشيوعية بانقلاب فى يونية عام ١٩٥٤ .

وفى الهند فاز الحزب الشيوعى فى انتخابات عام ١٩٥٧ بأكثر من ٣٥ فى المائة من الأصوات فى ولاية كيرالا ، واستطاع بتأييد الاستقلاليين أن يؤلف حكومة للولاية . وما أن جاء ربيع عام ١٩٥٩ حتى أصبح طابع نظام الحكم الآمر فيها واضحاً فى محاولة له للسيطرة على نظام المدارس . وأسفر هذا الأمر عن حدوث فوضى فى جميع المنطقة . وفى ٣١ يولية قامت الحكومة المركزية بحل إدارة الولاية . وفى انتخابات فبراير عام ١٩٦٠ فقد الشيوعيون نصف مقاعدهم التمثيلية فى مجلس ولاية كيرالا التشريعى . (أنظر الفصل الثامن) .

(٤) لماذا تسمى بلاد أوروبا الشرقية بالدول « التابعة » ؟

تسمى بلاد أوروبا الشرقية التى يسيطر عليها الشيوعيون عادة بالدول التابعة لأنها تدخل فى نطاق دائرة النظام الاقتصادى والسياسى والعسكرى للسوفييت .

وهذه الحكومات التي لا تتعدى أن تكون سوى دمى في يد السوفييت هي « ديموقراطيات شعبية » بالاسم فقط وليست ديموقراطية بأي حال من الأحوال ، ذلك لأن شعوبها ليس لها الخيار في تأليف نوع الحكم الى تريده أو وضع السياسات التي تريدها .

إن السياسات المحلية والخارجية للحكومات الربيبة إنما توجهها موسكو ، كما أن الزعماء القوميين الشيوعيين يسيرون في « نفس الاتجاه الذي تسير فيه موسكو » .

وفي بولندا أسفرت اضطرابات في داخل الحزب الشيوعي ذاته في عام ١٩٥٦ عن تنصيب حكومة شيوعية جديدة تعهدت بأن « تسير في اتجاه استقلالي نحو الاشتراكية » (الشيوعية) . وفي عام ١٩٥٩ قامت هذه الحكومة فانتهجت خطة أقرب إلى الخطة التي تنتهجها موسكو ، ولكن الشعب البولندي مع ذلك يتمتع بقدر من الحرية أعظم مما تتمتع به الدول الأخرى التابعة للاتحاد السوفيتي .

(٥) هل يوغسلافيا من الدول التابعة للاتحاد السوفيتي ؟

ليست يوغسلافيا من الدول التابعة للاتحاد السوفيتي .

لقد كان الحزب الشيوعي اليوغسلافي في عام ١٩٤٧ عضواً في المكتب الشيوعي للاستعلامات الدولي « الكومنفورم » ، ولكنه ما لبث أن طرد من عضويته بعد عام نتيجة لمنازعات خاصة بالسياسة أهمها أن تيتو ، الرئيس اليوغسلافي ، كان قد رفض أن يتلقى الأوامر من ستالين . ومنذ ذلك الحين ما فتئت الحكومة اليوغوسلافية تتبع سياسة استقلالية فيما يتعلق بشؤونها المحلية والخارجية .

(٦) كيف تمكنت الأقليات الشيوعية في دول أوروبا الشرقية من أن تستولى على مقاليد الأمور فيها ؟

شرعت الدول الديمقراطية الغربية فى فترة الفوضى التى أعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية فى تسريح قواتها المسلحة بأسرع ما يمكن حتى يستطيع الملايين من الجنود الشباب العودة إلى أعمالهم السلمية وتتمكن حكوماتهم من تركيز جميع جهودها على إصلاح ما قد دمرته الحرب . ولكن الاتحاد السوفيتى لم يباشر تسريح قواته المسلحة ، وبدلاً من ذلك احتفظ بجيوش كبيرة فى جميع دول أوروبا الشرقية . وفى بعض الحالات كانت هذه الجيوش ، جيوش احتلال ، وفى الحالات الأخرى كانت على أهبة الاستعداد لتهديد الحكومات الحرة .

وبالاضافة إلى ذلك قام الجيش الأحمر بتوفير المساندة العسكرية إلى جيش آخر من الجيوش السوفيتية — يتكون من الأذناب الشيوعيين والبوليس السرى والإرهابيين والمتجسسين الشيوعيين — استطاع تدريجياً أن يسحق جميع الفئات المعارضة للشيوعية (أنظر الفصل السادس عشر) .

(٧) ألم يكن فى استطاعة الدول الديمقراطية الغربية حماية الدول غير الشيوعية فى أوروبا الشرقية ؟

لقد جنحت الحكومات الغربية إلى الوثوق بالعهود والاتفاقيات الحازمة التى وقع عليها ستالين رئيس الوزارة السوفيتية فى يالتا وبوتسدام والتى تضمن استقلال البلاد التى كان النازيون يحتلونها فى السابق ، ووحدة أراضيها وسياساتها ، لا سيما أن ستالين كثيراً ما أكد للشعوب الأسيرة أثناء الحرب أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ليس له أية نوايا للاعتداء على استقلالها فى المستقبل .

ولقد قال ستالين فى أحد المنشورات المسماة « أوامر اليوم » (Order of the Dday) الصادر فى عام ١٩٤٢ ما يلى : « ليست لدينا ولا يمكن أن تكون لدينا أهداف حربية من فرض إرادتنا أو حكومتنا على الشعب

السلافى أو شعوب أوروبا الأخرى الأسيرة التى تترقب مساعدتنا . إن أهدافنا إنما تتمثل فى مساعد هـذه الشعوب فى كفاحها من أجل التحرر من طغيان هتلر ثم جعلها حرة فى أن تحكم أوطانها كما تشاء » .

وعندما كانت الحكومات الغربية تحتج بصورة متكررة على الأعمال السافرة الخاصة بانتهاك اتفاقيات بوتسدام ويالتا فيما يتعلق بالانتخابات الحرة ، كان الكرملين يجيب دائماً بأن أى « خرق » من جانب الدول الغربية لمثل هذه الأمور سيكون بمثابة « انتهاك للسيادة القومية » . وفى هذه الأثناء كان الكرملين نفسه يعمل بصورة نشطة فى التآمر من أجل قلب الحكومات الشرعية .

فعلى سبيل المثال ، قام المرحوم أندريه فيشينسكى ، نائب قومسير الشئون الخارجية السوفيتى ، فى أواخر شهر فبراير عام ١٩٤٥ ، بأوامر من ستالين ، بتقديم رسالة إلى ملك رومانيا ، الملك ميشيل ، يطلب منه فيها تعيين ألعوبة سوفيتيه وهو « بيترو جروزا » فى منصب رئيس الوزراء . ولم يكن هناك سبيل للملك سوى الخضوع للأوامر ، وفى أواخر العام التالى كان جروزا قد أرغم الملك بمؤازرة جنود الأمن الشيوعيين ، على أن يتنازل عن عرشه .

(٨) ما هى المناصب والمراكز التى استغلها الشيوعيون فى أوروبا الشرقية لتعزيز أهدافهم التخريبية ؟

لقد بذل الشيوعيون كل جهد مستطاع فى سبيل أن يفوزوا لأعضاء حزبهم أو من يشاركونهم ميولهم ، بمناصب وزير الداخلية (أو الأمن) الذى يسيطر على البوليس السرى ، ووزير العدل للسيطرة على المحاكم ، ووزير الاستعلامات الذى يسيطر على الصحافة والإذاعة وما إليها . كما أن وزارة الزراعة كانت تعتبر هامة بالنسبة لهم فيما يتعلق بتوزيع الأرض التى تتم مصادرتها .

وبالإضافة إلى الوزارات والإدارات الحكومية كان ميدان نظام نقابات العمال يعتبر ذا أهمية عظيمة للشيوعيين الذين تمكنوا من التسلل والسيطرة على النقابات العمالية وذلك حتى يستخدموها كأسلحة سياسية .

(٩) كيف استغل الشيوعيون الانتخابات لينصبوا أنفسهم فى مراكز الدولة ؟

لم يجر سوى انتخابين شعبيين فى أوروبا الشرقية فى ظل ظروف حرة معقولة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية . ففى المجر يسرت انتخابات نوفمبر عام ١٩٤٥ للشيوعيين الفوز ١٧ فى المائة من مجموع الأصوات ، وفى تشيكوسلوفاكيا مكنت انتخابات مايو عام ١٩٤٦ الشيوعيين من أن يصبحوا أقوى حزب موجود بمفرده ، إذ كانوا قد حصلوا على ٣٨ فى المائة من مجموع الأصوات. وأياً كان الأمر فإن الحكومتين فى هاتين الحالتين كان قد تم التسلل إليهما ، كما كان قدتم تقويض أحزاب المعارضة بواسطة الدسائس والتواطؤ الشيوعيين .

وعند ما أقيلت الحكومة التشيكوسلوفاكية بواسطة انقلاب نفذ فى فبراير عام ١٩٤٨ ، كان قد أصبح من الواضح أن الشيوعيين فقدوا قبضتهم على الناخبين .

أما الانتخابات الأخرى فى بلاد أوروبا الشرقية ، فكانت جميعها تتميز بالتزييف والعنف من جانب الشيوعيين ، كما أن زعماء المعارضة كانوا يعتقلون ويحاكمون بتهم ملفقة ، واجتماعات غير الشيوعيين يجرى ارفضاضها من قِبَل عصابات من السفاحين المسلحين ، ومراكز قيادات المعارضة يتم سلبها وإغلاقها .

وبالإضافة إلى ذلك كله ، قامت السلطات الشيوعية الأذناب بإصدار

أحكام حرمت عدداً كبيراً من المواطنين من حقوقهم المدنية متعللة بأسباب مموهة ، ودمغت أحزاب المعارضة بأنها خارجة على القانون ، وعبثت بالاقتراعات السرية وزيفت نتائجها .

(١٠) إلى أى مدى يسمح بالتعبير عن الآراء القومية فى البلاد التابعة للاتحاد السوفيتى ؟

لقد قامت الحكومات التابعة للاتحاد السوفيتى بكبت الروح القومية كلما كانت هذه الروح تتعارض والسياسات السوفيتية . وفى الواقع لقد تم « تطهير » عدد من زعماء الحزب الشيوعى فى الدول التابعة للاتحاد السوفيتى — إما بتخفيض درجاتهم أو محاكمتهم « لانحرافهم الوطنى » أو بإبعادهم أو قتلهم — لأنهم كانوا يفضلون أن يبدوا كأنهم يفضلون مصالح وطنهم بدلاً من مصالح موسكو .

وحدث أن كانت هناك مجاهرة فى بعض النقد لزعامة موسكو الحالية فى الدول التابعة للاتحاد السوفيتى عقب الهجوم الذى شنه قادة السوفييت على الستالينية فى الاجتماع العشرين للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى ، لا سيما بعد أن قام نيكيتا خروشوف رئيس الحزب شخصياً بفضح أمر الديكتاتور المتوفى

وكان هذا النقد لايزال معتدلاً نسبياً فى عام ١٩٥٦ ، ولكن ما أن حل فصل الخريف حتى كان التعبير عن الشعور المعادى للسوفييت من جانب أعضاء الحزب الشيوعى ، سواء أكانوا جنوداً أم مدنيين ، لا يمكن تجاهله فى بولندا والمجر . ونتيجة لذلك حدث تغيير فى قيادة الحزب فى بولندا ونشبت فى المجر ثورة قومية بسبب إثارة عداء الأهالى ضد السوفييت والشيوعيين ، ولكن هذه القومية المجرية مالبثت أن أخمدها بطش السوفييت .

(١١) ما المقصود بعبارة « الاستعمار » السوفيتي ؟

يقصد بالاستعمار السوفيتي السيطرة الاقتصادية أو الضغط الذي تمارسه موسكو على البلاد التي تحكمها حكومات شيوعية ليست سوى دمى في يد الاتحاد السوفيتي . وكذلك يقصد بالاستعمار السوفيتي تلك المناطق التي لا تقع ضمن نطاق الاتحاد السوفيتي والتي تخضع للتغلغل السوفيتي الاقتصادي والسياسي والعسكري .

ومنذ قيام الثورة البلشفية وضغط ونفوذ السوفييت السياسيان والعسكريان يمتدان إلى ما وراء حدود اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية في الشرق الأقصى .

ولقد صرح المسئولون عن النظام الشيوعي أن الشيوعية تنبذ السياسات الاستعمارية القديمة التي كان يباشرها القياصرة في آسيا ، ولكنها في الممارسة ما زالت تأخذ بها دون تغيير يذكر . وحتى بعد أن تسلم الشيوعيون مقاليد الحكم في الصين جعلوا هذه البلاد حليفة للسوفييت .

ويرجع التغلغل السوفيتي في منغوليا الخارجية التابعة للصين إلى أوائل عشرينات هذا القرن . ففي عام ١٩٢٤ قامت جماعة من الشيوعيين المغوليين المدربين في موسكو تحت رعاية السوفييت بإقامة « الجمهورية المغولية الشعبية » ، وظل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية يواصل الاعتراف الإسمي بسيادة الصين على منغوليا الخارجية حتى عام ١٩٤٥ ، ولكن استفتاءً كان قد تم إجراؤه في تلك السنة أسفر عن إعلان استقلال منغوليا عن الصين . وجمهورية منغوليا هي الآن شبه مستعمرة للاتحاد السوفيتي وهي حالة ثابتة لم يسع حكومة الصين الشيوعية نفسها سوى الاعتراف بها مرغمة في عام ١٩٥٢ .

ولقيت تانو توفا ، وهى منطقة متاخمة لحدود منغوليا الخارجية وكانت فى يوم من الأيام جزءاً من الصين ، نفس المصير من حيث تغلغل السوفيت فيها عشرينات هذا القرن .

وفى عام ١٩٤٤ قام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بضم تانو توفا مرة واحدة إلى الاتحاد وأصبحت منذ ذلك الحين دولة تابعة له .

كذلك كان إقليم سينكيانج الصينى هدفاً رئيسياً من أهداف التوسع الشيوعى ، بيد أنه فى أواخر عام ١٩٤٥ وافق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية على أن يتنازل عن مصالحه الاقتصادية فيه إلى الصين الشيوعية .

وفى الفـــترة بين عام ١٩٤٠ وعام ١٩٤٥ قام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بضم الجمهوريات الثلاث الواقعة على بحر البلطيق وأجزاء من رومانيـا وشرقى بولندا وشرقى تشيكوسلوفاكيا وبروسيا الشرقية وفينلندا — وهى منطقة كان يسكنها قبل الحرب أكثر من ٢٤ مليون نسمة — إلى الاتحاد .

هذا ، وفى الفترة بين عام ١٩٤٦ وعام ١٩٤٨ قام الاتحاد السوفيتى بإنزال الوضع السياسى لخمس دول فى أوروبا الشرقية وألمانيا الشرقية إلى مرتبة الدول غير المستقلة سياسياً واقتصادياً . أما سكان هذه المنطقة فكان عددهم حوالى ٩٣ مليون نسمة .

(١٢) ما هى علاقة الأحزاب الشيوعية خارج اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بالحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى ؟

تحذو الأحزاب الشيوعية بوجه عام فى جميع أنحاء العالم ، باستثناء الحزب الشيوعى اليوغوسلافى ، حذو السياسات العامة للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى . (أما « الخطة » التى يتبعها الحزب الشيوعى الصينى

فتختلف فى بعض نواحيها عن تلك الخطة التى يتبعها الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى) .

والأداة الرئيسية التى استخدمها الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى بين عام ١٩٤٧ وعام ١٩٥٥ فى توجيه شيوعية على نطاق دولى كانت تتمثل فى المكتب الشيوعى للاستعلامات أو الكومنفورم ، وهو هيئة تتكون من ممثلين عن الأحزاب الشيوعية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، ولخمس دول تابعة له ، ولفرنسا وإيطاليا .

وكان الكومنفورم قد تم حله فى إبريل عام ١٩٥٦ ، ولكن الروابط بين الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى والأحزاب الشيوعية غير السوفيتية كانت قد أعيدت إلى حالتها الطبيعية فى اجتماع عقده زعماء الشيوعية فى موسكو فى شهر نوفمبر عام ١٩٥٧ أثناء الاحتفال بالعيد الأربعين للثورة البلشفية .

وكان أن أصدر المجتمعون « إعلاناً موقعاً » عليه من إثنى عشر حزباً شيوعياً » يبين أهداف الشيوعية العالمية و « مانفستو السلام » الذى يؤكد « الدور القيادى » للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى فى الشيوعية الدولية والذى وقع عليه ٦٥ زعيما من زعماء الأحزاب الشيوعية . ومنذ اجتماع عام ١٩٥٧ والحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى والأحزاب الشيوعية التابعة له تستنكر « الرجعية » أو الشيوعية المستقلة « كخطر رئيسى » على الحركة الشيوعية .

(١٣) ما هى الوكالات التى يستخدمها الشيوعيون عدا الوكالات السياسية لنشر المبادىء الماركسية ـ اللينينية فى دول العالم الحر ؟

يستخدم الشيوعيون حشداً من تنظيمات « الجبهات » من أجل تعزيز الأهداف الشيوعية ، كما أنهم نجحوا بالإضافة إلى ذلك ، فى أن يجعلوا

حركات إصلاحية شرعية تتسرب إلى بعض البلاد واستغلوها لخدمة أغراضهم السياسية أو الإيديولوجية .

لقد كتب ستالين فى صحيفة «أسس اللينينية Foundations of Leninism» تحت عنوان « الأساليب الثورية فى ظل النظام البورجوازى » يقول : « من البديهى أن يصبح الإصلاح أداة لإنحلال هذا النظام ووسيلة لتقوية الثورة » .

(١٤) هل يتراجع الشيوعيون أبداً عن موقف أو مركز يكونون قد حصلوا عليه ؟

يقول « مختصر تاريخ الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى » الرسمى :

قام لينين فى ثورة أكتوبر بتعليم الحزب كيف يتقدم دون وجل وثبات عند ما تكون الظروف ملائمة لمثل هذا التقدم . وفى فترة معاهدة السلم التى عقدت فى بريست — ليتفوسك (عند ما سلم السوفييت بامتيازات بعيدة المدى لألمانيا) أخذ لينين يعلم الحزب كيف يتراجع فى نظام رتيب عند ما تكون قوات العدو متفوقة بوضوح على قواتنا حتى يمكن لنا أن نستعد بأقصى طاقتنا لشن هجوم جديد » .

ومن ثم فإن الشيوعية تحت الضغط لا يمكن لها أن تتغلب أو تقاوم ، وقد تسلم ببعض الشيء مؤقتاً ولكنها تستفيد من فترة التراجع التكتيكى لتستعد للقيام بعدوان جديد .

(١٥) هل يعترف جميع الشيوعيين بنفس العقائد ؟

يتمسك الشيوعيون جميعهم فى الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية والشرق الأقصى بالمبادىء الماركسية — اللينينية العامة . أما فى الصين الشيوعية فقد أصبحت المبادىء الشيوعية تعرف بالمبادىء « الماووية » ، نسبة للزعيم الصينى الشيوعى ماوتسى تونج .

والمبادىء « الماوية » هى تطبيق للمبادىء الماركسية ـ اللينينية بحيث تلائم المشاكل الخاصة التى تواجه حكومة بكين والتى تختلف عن المشاكل القائمة فى أوروبا . ويرجع جزء من هذه الاختلافات إلى التقدم الصناعى فى تاريخ الصين والنسبة الضئيلة جداً فى عدد العمال الصناعيين بالمقارنة لعدد الفلاحين . ووفقاً للنظرية الماركسية لابد « للبروليتارية الصناعية » من أن تتقدم على « الثورة البروليتارية » ، أما الصين الشيوعية فتركز أهمية خاصة على حالة الفلاحين ومشاكلهم .

والوحدة التقليدية للسلطة والنفوذ فى الصين هى الأسرة ، ثم تليها القرية ، ومن أجل ذلك ركز الشيوعيون الصينيون جهودهم على إضعاف وحدة الأسرة وسلطتها وتدمير نفوذ المجتمع فى القرية .

وفى عام ١٩٥٨ أدخلوا نظام الكرميونات الذى نتجت عنه حياة إجتماعية تشبه حياة النمل لخمسمائة مليون فلاح (أنظر الفصل الثانى) .

(١٦) إلى أى مدى تنشب الثورات فى البلاد التى تثبت فيها الشيوعية أقدامها ؟

لم تنشب أية ثورات منظمة فى الاتحاد السوفيتى منذ أوائل عشرينات هذا القرن . وفى أول مارس عام ١٩٢١ قام بحارة حصن كرونستادت البحرى العظيم الواقع خارج مدينة بتروجراد ، الذين ساعدوا لينين على تسلمه زمام السلطة بالمطالبة بإجراء « انتخابات جديدة عن طريق اقتراع سرى » كما طالبوا بالسماح بحرية الكلام وحرية الصحافة وإنشاء نقابات عمال حرة وإنهاء نظام تعيين قومسيرات سياسيين فى القوات المسلحة .

وكان أن تم إخماد ثورة كرونستادت بوحشية بواسطة ٦٠٫٠٠٠ عضو من البوليس السرى وغيرهم من الجنود السوفيت ، وذبح جميع الثائرين من

البحارة مع أسرهم دون رأفة ، وفى ١٧ مارس من ذلك العام سقط حصن كرونستادت بعد مقاومة يائسة .

وفى فترة التجميع الإجبارى ما بين عامى ١٩٢٩ وعام ١٩٣٢ كانت هناك مقاومة محلية للبرنامج من جانب الفلاحين والقرويين ، وقام ستالين إما « بتصفية » بضعة ملايين من أسر المنشقين ، أو إرسالهم إلى معسكرات السخرة .

وفى منطقة شرق أوروبا كانت أولى الثورات الخطيرة تلك الثورات الشهيرة التى وقعت فى برلين الشرقية فى ١٧ يونية عام ١٩٥٣ ، والتى انتشرت حتى شملت كثيراً من المراكز الصناعية الأخرى فى ألمانيا الشرقية ، والانتفاضة التى وقعت بين ٢٨ و ٣٠ يونية من عام ١٩٥٦ فى مدينة بوزنان من أعمال بولندا ، والتى استغرقت ثلاثة أيام . وكانت هاتان الانتفاضتان قد بدأتا على شكل مظاهرتين سليمتين ، ثم ما لبثتا أن تطورتا فى الحال إلى أعمال جماعية مخلة بالنظام .

كذلك كانت هناك حركة من أجل الحصول على استقلال المجر بدأت بين ٢٠ و ٢٢ أكتوبر من عام ١٩٥٦ كمظاهرات سلمية للطلبة ، ثم ما لبثت أن تحولت فى غضون أيام قلائل إلى ثورة سافرة انتشرت من بودابست حتى شملت جميع البلاد بأسرها . وفى أثناء القتال قتل الآلاف من المجريين وأصيب الكثيرون منهم بجراح ، كما قتل عدد أقل منهم من الجنود السوفييت وأصيب عدد بجراح . وفى ٣ نوفمبر تم سحق الثورة بوحشية بواسطة القوات السوفيتية التى اجتاحت جميع البلاد وقامت باحتلالها .

وفى التبت بدأت ثورة ضد حكم الشيوعيين الصينيين فى أواخر ربيع عام ١٩٥٦ واستمرت على شكل حرب العصابات ، وما أن جاء عام ١٩٥٩ حتى أصبحت ثورة عارمة (أنظر الفصل الثانى) .

(١٧) ما هى علاقة الحكومة المركزية السوفيتية بشعوب منطقة آسيا الوسطى غير الروسيين ؟

تشتمل المستعمرات المستقلة فى منطقة آسيا الوسطى التابعة لروسيا - وتتكون من حوالى أربعة ملايين ميل مربع من الأرض الواقعة شمالى (إيران وأفغانستان والباكستان والهند — على خمس) جمهوريات سوفيتية يبلغ عدد سكانها ١٧ مليون نسمة تقريباً .

ويكفل الدستور السوفيتى لكل واحدة من « الجمهوريات » التى منها يتألف اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، قائمة طويلة من الحقوق التى تحوز الإعجاب فى ظاهرها بما فيها الحق فى الانشقاق عن الاتحاد ، ولكن عند الممارسة ليست هذه الحقوق سوى حبر على ورق . ففى كل مكان من هذه الجمهوريات يتمتع الروس كما تتمتع اللغة الروسية نفسها بمكانة ممتازة ، ويضطهد الشعور القومى كما تضطهد الديانة الإسلامية بوصفهما أموراً « رجعية » . هذا هو عمل الاستعمار الحقيقى فى عصرنا الحاضر .

(١٨) كيف تعامل الأقليات الوطنية فى الصين الشيوعية ؟

فى الصين الشيوعية حوالى ستين طائفة من الأقليات يبلغ عدد أفرادها أكثر من ٣٥ مليون نسمة تخضع خضوعاً تاماً لسيطرة الجنس الهانى (الصينى) . أما « الأقليات الكبيرة » والتى لها أهمية تاريخية — وهم المغول والمسلمون وأهل التبت — ويبلغ عدد أفرادها أكثر من ١٠ ملايين نسمة ، فقد رأوا تراثهم الثقافى يقضى عليه أمام أعينهم من جانب الجنس الهانى .

ولقد اختصرت الحرية والسيادة الذاتية لقوميات الطوائف الأقلية فى ميثاق جمهورية الصين الشعبية المعروف « بالبرنامج العام » الذى صدر فى عام ١٩٤٩ . وبالرغم من أن حكومة بكين قد أقامت « مناطق ذات

استقلال ذاتى ، للأقليات تتمتع نظرياً بقسط من الاستقلال ، إلا أن هذه الوحــدات الإدارية يسيطر عليها قوميون ليسوا سوى ألعوبة فى يد الشيوعيين الصينيين .

وأكبر مثال على تعطيل الحكم الذاتى القومى هو ما حدث فى ألتبت حيث تم إلغاء استقلال هذا البلد فى عام ١٩٥٩ ، وقام الغزاة الهانيون باضطهاد أهاليه بوحشية ، تؤيدهم فى ذلك القوات العسكرية التابعة لبكين . (أنظر الفصل الثانى) . وفى الفترة بين عامى ١٩٥٩ و ١٩٦٠ أعيد توطين الحشود من أهالى التبت والملايين غيرهم من الأقليات القومية .

الفصل الرابع عشر

التعايش السلمي والروح الحربية

(١) ما معنى عبارة « التعايش السلمى » كما يستخدمها الشيوعيون ؟

كان الاعتقاد بحتمية النزاع الحتمى بين « الرأسمالية » و « الاشتراكية » يمثل حجر الزاوية فى المذهب الشيوعى . ولكن بينما كان ماركس ولينين رجلين ثوريين ينادیان علانية بقلب « النظام الرأسمالى » ، كان ستالين ومن خلفوه يربطون بين « انتصار الاشتراكية النهائى وفوز الدولة السوفيتية . وهذا الافتراض العقائدى أصبح ملتبساً بسبب عبارات « التعايش السلمى و « التنافس السلمى » .

لقد صرح لينين فى عام ١٩١٩ بأن « وجود الجمهورية السوفيتية جنباً إلى جنب مع الدول الاستعمارية لزمن طويل أمر غير معقول ، إذ لا بد لأحدهما أن ينتصر على الآخر فى النهاية . وقبل أن تحدث هذه النهاية عرضاً فلا بد من حتمية وقوع عدد من المصادمات المخيفة بين الجمهورية السوفيتية والدول البورجوازية » . وأياً كان الأمر فإن زعماء السوفييت الحاليين ينكرون رسمياً وجهة النظر هذه .

وبعد سلسلة طويلة من العدوان بدأت فى عام ١٩٣٩ ، سمح ستالين فى عام ١٩٥٢ للمتحدث باسمه جورجى مالينكوف ، بأن يطمئن العالم بأن الاتحاد السوفيتى لا يرغب فى شىء سوى تحقيق « تنافس سلمى مع الرأسمالية » ، وأنه ليست له « أية نية لفرض إيديولوجيته أو نظامه الاقتصادى على أى أحد » .

واتبع نيكيتا خروشوف ، سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى ، نفس الأسلوب فصرح فى الاجتماع العشرين للحزب الذى عقد فى شهر فبراير عام ١٩٥٦ بقوله : « إنه لمن السخف أن يعتقد المرء بأن الثورات إنما جعلت لإصدار الأوامر » . بيد أن الثورات التى حدثت بين عام ١٩٤٤

وعام ١٩٤٨ فى أوروبا الشرقية إنما « جاءت طبقاً للأوامر » من جانب موسكو وعملائها وأذنابها .

وعلى هذا فإن التأكيد الحالى الذى تعرب عنه « القيادة الجماعية » السوفيتية فيما يتعلق « بالمنافسة السلمية » المصحوبة كما هو عليه الحال بالأعمال التخريبية الشيوعية فى أجزاء كثيرة من العالم ، لا يجب أن ينظر اليه إلا كحيلة تحتمها الضرورة قد تتغير فى أية لحظة .

(٢) هل « برنامج السلم » السوفيتى هو تطور حديث ؟

إن شعار « السلم » — وهو أسلوب شيوعى — كان ولا يزال يردده القادة السوفييت منذ أن قامت الثورة البلشفيه . وفى الوقت ذاته قامت موسكو بتوسيع الإمبراطورية السوفيتية تدريجياً على حساب جيرانها من الدول الصغرى باستخدامها القوة المسلحة والدسيسة والتخريب .

(٣) كيف تتلاءم فكرة « السلم » مع مبادىء الشيوعية ؟

لقد كتب لينين فى عام ١٩١٦ يقول : « يعتبر كل برنامج للسلم خديعة للشعب وجزءاً من النفاق ما لم يكن هدفه الرئيسى أن يوضح للجماهير الحاجة إلى الثورة وأن يساند ويساعد ويطور الصراع الثورى للجماهير » .

أما السياسة السوفيتية فيما يتعلق بالسلم ، فقد جرى تعريفها فى المؤتمر العالمى للشيوعية الدولية فى عام ١٩٢٨ بما يلى :

« إن السياسة الدولية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية هى سياسة سلمية تتفق ومصالح الطبقة الحاكمة فى روسيا السوفيتية ، أى طبقة البروليتاريات . وهذه السياسة تجمع جميع الحلفاء من طراز الدكتاتورية البروليتارية حول علمها وتهيء أفضل الأسس للاستفادة من أوجه الخلاف بين الدول الرأسمالية .

«وترمى هذه السياسة إلى حراسة الثورة العالمية وحماية العمل الخاص

ببناء الاشتراكية (أي الشيوعية) التي يهدف تقدمها إلى إحداث انقلاب في العالم. إن هذه السياسة لتجتهد من أجل أن تؤجل النزاع مع الاستعمار إلى أطول مدى مستطاع ».

ولذلك فإن « السياسة السلمية » للحكومة السوفيتية مرسومة بحيث تقوم بتأجيل وقوع نزاع سافر مع الدول غير الشيوعية، بينما يسعى الشيوعيون في جميع أرجاء العالم إلى تقويض أركان جميع الحكومات لصالح الشيوعية العالمية. ومع ذلك فإن أية سياسة من سياسات « التعايش السلمي » هذه لا تعارض مساندة السوفييت للقتال « الخارجي » أو المحصور محلياً الذي تقوم به القوات الشيوعية أو المشايعة لها إذا ما كانت هذه المنازعات تعزز مصالح موسكو.

(٤) ما هو ذلك الشيء المعروف باسم « عريضة استوكهولم السلمية »؟

لقد قام مؤتمر السلم العالمي الذي أوحت بعقده موسكو في اجتماع تم في استوكهولم في مارس ١٩٥٠، بابراز « نداء استوكهولم » الذي يعرف عادة باسم « عريضة استوكهولم السلمية ».

وكان قد جاء توزيع هذه العريضة على نطاق عالمي من جانب الشيوعيين، أو من يعطفون على ميولهم، أو « من يسير في ركابهم »، أو من كانوا ضحايا ألاعيبهم غير المتيقظين عقب مشروع أعده الكومنفورم، في الخفاء، والكومنفورم هو أداة للدعاية الدولية يسيطر عليها السوفييت.

وكان هناك الملايين من الناس ممن خدعوا بأن ذلك المنشور الموجز (المنيفستو) إنما يحث على وضع حد للحروب. وعلى العكس من هذا فإن ذلك النداء لم يطالب إلا بفرض حظر على الأسلحة الذرية. ولم يذكر النداء أي شيء عن الأسلحة التقليدية أو غيرها من أدوات العدوان، بل

كان فى الواقع يوزّع بأوامر من موسكو بينما كان الكرملين يستعد للقيام بعدوان سافر فى الشرق الأقصى .

لقد ظل النداء يوزع حتى اللحظة الأخيرة لقيام كوريا الشمالية بعدوانها على جمهورية كوريا فى الجنوب المحبة للسلام والمسلحة تسليحاً خفيفاً — ذلك العدوان الذى كان الكرملين قد رسم خطوطه وقام بتشجيعه .

(٥) ما هى الوسائل الأخرى التى استخدمتها الحكومة السوفيتية فى تسييرها « حملة السلام » الشيوعية ؟

يرجع بدء «الحملة السلمية» الحالى لموسكو إلى شهر أغسطس عام ١٩٤٨ ، أى بعد إنشاء الكومنفورم — وهو أحد أدوات موسكو للدعاية الدولية — بأقل من عام واحد . وكانت أول هيئة « للسلم » ساندها السوفييت هى « مؤتمر السلام العالمى لذوى العقول الراجحة » الذى عقد فى روكلو فى بولندا فى عام ١٩٤٨ .

ومنذ ذلك الحين تم إنشاء حشد من الهيئات لمواصلة حملة « السلام » هذه . (تم الغاء الكومنفورم أو مكتب الاستعلامات الشيوعى فى أبريل عام ١٩٥٦) .

ويستخدم الشيوعيون فى جميع أنحاء العالم فى الوقت الحاضر كل وسيلة للمواصلات أو النفوذ حتى يهيئوا الانطباع بأن الشيوعيين إنما يتفانون فى سبيل خدمة قضية السلام مقابل الأهداف « العدوانية لتجار الحروب » . كذلك تقوم الصحف والمجلات ومحطات الإذاعة ومنصات الخطابة التى يديرها الشيوعيون بترديد أصداء معتقدات موسكو فى نواياها السلمية ، كما أن المؤتمرات الدولية التى تحتضنها موسكو تقوم بمناقشة اقتراحات واتخاذ قرارات تحمل نفس المغزى .

ومن ثم فإن أوجه النشاط « السلمية » التى يقوم بها الشيوعيون إنما تس ؟

جنباً إلى جنب مع سياسة الشيوعيين فى خلق الاضطرابات والتحريض على المعارك المسلحة فى كثير من أنحاء الكرة الأرضية .

(٦) هل أنشأ الشيوعيون أية هيئة دائمة تعمل وفقاً «لبرنامجهم السلمى»؟

أنشأت « جماعة أنصار السلام » ، وهى هيئة يدير شؤنها الشيوعيون ، فى أبريل عام ١٩٤٩ مجلساً عالمياً للسلم فى باريس كان ولا يزال تحت سيطرة الشيوعيين المشددة . ولقد قام المجلس برعاية عدد من « مؤتمرات السلم العالمية » سنة بعد أخرى لتكون بمثابة وسائل فى سبيل خدمة الدعاية السوفيتية . وفى شهر نوفمبر عام ١٩٤٩ قامت جريدة الكومنفورم الرسمية واسمها « من أجل سلام دائم وديموقراطية شعبية » (وقد توقف صدور هذه الجريدة فى أبريل عام ١٩٥٦) بحث جميع أعضاء الحزب الشيوعى على دفع « حركة السلام العالمية » التى توجهها موسكو باجتذاب مساندة أكبر عدد ممكن من الناس غير الشيوعيين لها .

وكان من بين الذين أدرجت أسماؤهم فى القائمة كمساندين مرغوب فيهم للحركة : « نقابات العمال ، والجمعيات التعاونية للنساء والشباب ، والهيئات الثقافية والتعليمية والدينية وغيرها من الهيئات ، والعلماء والكتاب ، والصحفيون والباحثون فى ميدان الثقافة ، والزعماء البرلمانيون الذين يناصرون السلم ويناهضون الحرب » .

وهذه الحملة كانت محاولة طامحة لوضع أسماء الطبقة المثقفة وأعضاء النقابات والكثير غيرهم على القائمـــة من أجل توجيه نداء عالمى — لقضية السلام — التى كانت ولا تزال موسكو تزمع استغلالها لتنفيذ أغراضها الخاصة .

(٧) ما هى المنظمات الرئيسية التى تقوم بتسيير حمامات « السلام » فى صالح الشيوعيين ؟

إن من يدبر تسيير المساهمة الفعليـة فى حملات السلام ذات السمة الشيوعيـة هى المنظمات الدوليـة التى يسيطر عليها الشيوعيون ، وإليـكم أسماءها : الإتحاد الديمقراطى الدولى للنساء ، الاتحاد الدولى لنقابات العمال ، الاتحاد العـالمى للعمال العالميـين ، والاتحـاد العالمى للشباب الديموقراطى .

وهناك غيرها من الهيئات التى تقوم بنقل دعاية السلام السوفيتى وهى : اتحاد الطابة الدولى ، والنقابة الدولية للمحامين الديمقراطيين ، والمنظمة الدولية للصحفيين . أما المنظمات الأخرى التى تنتسب إلى هـذه الهيئات فهى عديدة بحيث لا بد لنا من تجاهل ذكرها (أنظر الفصل السادس عشر).

(٨) ما هى « لجان السلام » وما هى أغراضها ؟

لقد قام مجلس السلام العالمى ، الذى تدير شئونه موسكو ، برعاية عدد كبير من « لجان السلام » المحلية التى تتألف من الشيوعيين ومن يسير فى ركابهم وبعض الأشخاص غير الشيوعبين الذين يجهلون الهدف الذى تقوم بتأديته هذه اللجان .

أما الأعمال الهامة التى تقوم بتأديتها « لجان السلام » المحلية (والتى تعمل أيضاً فى بعض البلاد تحت إسم لجان السلام الدولية) فهى :

(١) تنظيم « لجان السلام » فى المدن والمراكز والمصانع حيثما وجدت إلى ذلك سبيلاً .

(٢) أن تجتذب إلى عضويتها بتوجيه من أعضاء الحزب الشيوعى ، الأشخاص غير الشيوعيين الذين يعطفون عل قضية السلام العالمى .

(٨) ترويج أهداف السياسة الخارجية للسوفييت أو خدمة الحزب الشيوعى المحلى تحت ستار الدعاية من أجل « السلام » .

(٩) ما هو الاقتراح السوفيتى الخاص « بنزع السلاح الشامل » وهل له من ميزات ؟

لقد كان اقتراح الرئيس خروشوف الخاص « بنزع السلاح الشامل » الذى أدلى به شخصياً أمام الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فى شهر سبتمبر عام١٩٥٩ ، الغاية القصوى من زيارته للولايات المتحدة . قال خروشوف : « إن جوهر اقتراحنا يتمثل فى أن تقوم جميع الدول فى غضون أربع سنوات بتطبيق نزع شامل للسلاح وأن لا يكون لديها بعد ذلك أية وسيلة تمكنها من شن حرب » .

واقتراح خروشوف هذا يكاد يشبه تمام الشبه ذلك الاقتراح الذى قدمه ليتفينوف ، قومسيير الخارجية السوفيتى ، فى المؤتمر العالمى لنزع السلاح الذى عقد فى جنيف فى عام ١٩٣٢ . ولكن ما أن مضت سبع سنوات على انعقاد المؤتمر ، وبينما كان المتحدثون باسم ستالين يواصلون تلميحاتهم إلى الأهداف « السلمية » لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، حتى قامت موسكو بشن سلسلة من العدوان لا مثيل لها فى عصرنا الحاضر فى جميع منطقة شرق أوروبا وغيرها من المناطق . وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانيـــة قام الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى برعاية وتمويل الجبهات الشيوعية الدولية التى ما فتئت تردد أصداء شعارات الدعاية السوفيتيـة — مثل « افرضوا حظراً على القنبلة (الذرية) وما إليها » — بينما ظل ساكتاً على استخدام القوة المسلحة من جانب الكتلة الصينية — السوفيتية فى كوريا والمجر والتبت . وعلى هذا فإن اقتراح خروشوف يمكن اعتباره دعاية للاستهلاك المحلى والخارجى على السواء فى محاولة ثانية لإظهار موسكو كزعيمة « لمعسكر السلام » .

(١٠) كيف يبرر الشيوعيون أعمال العدوان باسم « السلام » ؟

تتلاعب الدعاية السوفيتية بالألفاظ لتتستر على نوايا موسكو وتبرر المواقع التى تكون قد انتهت من اقتحامها .

فى ١٦ سبتمبر ١٩٣٩ ، أى قبل أن يغزو الجيش الأحمر شرقى بولندا بيوم واحد مثلاً ، نشرت الصحف السوفيتية العناوين : « مولوتوف يخبر دول العالم بأن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية سيظل على الحياد فى الحرب » (الحرب العالمية الثانية) .

وفى اليوم التالى للعدوان السوفيتى قامت الصحف ذاتها بالترحيب « بجيش التحرير الأحمر » فى بولندا وأعلنت أن الإجراء السوفيتى إنما كان « خدمة لصالح السلم والحرية الدوليين » . وبعد الانتهاء من تقسيم بولندا بين النازيين والسوفييت فى شهر أكتوبر ، صرحت الصحف السوفيتية « بأن السلم قد استتب فى أوروبا الشرقية » .

إن أية « تسوية سلمية » لقضية ما بين الدول تعنى من وجهة النظر السوفيتية إما أن تكون الحكومة غير الشيوعية قد خضعت لموسكو فيما يتعلق بالمسائل الحيوية أو أن الشيوعية قد انتصرت باستعمال القوة وأعمال التخريب .

(١) هل انتهكت الحكومة السوفيتية مواثيق وأحلاف عدم الاعتداء المعقودة بينها وبين الحكومات الأخرى؟

نعم ، مراراً وتكراراً . فى عام ١٩٢٧ وقعت إيران والحكومة السوفيتية معاهدة حيادية تضمن لكلتا الدولتين عدم تدخل أى منهما فى الشئون الداخلية للدولة الأخرى . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رفضت موسكو أن تسحب الجنود السوفييت الذين كانوا معسكرين فى إيران أثناء

الحرب ، ولم يكن هناك من مناص سوى اللجوء إلى الأمم المتحدة لتمارس ضغطها لانسحابهم فى عام ١٩٤٧ .

وفى عام ١٩٢٩ وقعت الحكومة السوفيتية إتفاقية مع بولندا وأستونيا ولاتفيا ورومانيا تنبذ فيها الحروب بين الدول الموقعة على الاتفاقية . وبعد ذلك عقدت موسكو اتفاقيات عدم اعتداء فردية مع كل من أستونيا ولاتفيا ، كما عقدت معاهدة بينها وبين ليتوانيا . وفى عام ١٩٣٩ قامت القوات السوفيتية باحتلال شرقى بولندا وضمها إلى الاتحاد السوفيتى ، وفى عام ١٩٤٠ قامت قوات الجيش الأحمر باجتياح أستونيا ولاتفيا وليتوانيا وضمها أيضاً إلى الاتحاد السوفيتى ، وفى ٣٠ ديسمبر عام ١٩٤٧ أقيلت الحكومة الرومانية الشرعية عن طريق استخدام القوة والدسائس السوفيتية .

وفى عام ١٩٣٣ وقعت الحكومة السوفيتية أيضاً معاهدة عدم اعتداء بينها وبين فينلندا ، ولكن القوات السوفيتية قامت بغزوها عام ١٩٣٩ دون سابق إنذار .

وفى عام ١٩٣٧ وقعت موسكو ميثاق عدم اعتداء بينها وبين حكومة الصين الوطنية ، وفى شهر أغسطس عام ١٩٤٥ عقدت محالفة بينهما وبين الحكومة ذاتها بوصفها « الحكومة الشرعية للصين » ، ولكن السوفييت شرعوا فى العام ذاته ، أى فى عام ١٩٤٥ ، فى نهب الصناعات فى إقليم منشوريا التابع للصين وتزويد الشيوعيين الصينيين بالأسلحة استعداداً لكى يقوموا بمحاولاتهم لقلب الحكومة الوطنية للصين . وبفضل المساعدات السوفيتية بالأسلحة والمعدات استطاعت القوات الشيوعية الصينية أن تستولى على قارة الصين .

كذلك وقع ستالين فى ١٢ فبراير عام ١٩٤٥ على اتفاقية يالتا التى

عقدت بينه وبين حلفائه الغربيين فى الحرب ، كما وقع فى ٢ أغسطس على اتفاقية بوتسدام، وكلتاهما تتضمنان إتباع الإجراءات الديمقراطية فيما يتعلق بإنشاء حكومات فى دول أوربا الشرقية .

ولكن هاتين الاتفاقيتين أنتهكتا من جانب السوفييت والسلطات التابعة لهم فى الدول الدائرة فى فلك موسكو مباشرة بعد أن تم التوقيع عليهما .

(١٢) ما هو سجل الاتحاد السوفيتى فى هيئة الأمم المتحدة ؟

عند ما أنشئت هيئة الأمم المتحدة أثناء انعقاد مؤتمر دولى فى سان فرنسسكو عام ١٩٤٥ ، انضمت الحكومة السوفيتية بالاشتراك مع ٤٩ دولة أخرى ، فى التعهد ببذل جهودها للتوصل إلى تسوية المنازعات الدولية بالوسائل السلمية . ومنذ ذلك الحين وسجل السوفييت فى الأمم المتحدة يتمثل فى الجزء الأعظم منه فى إقامة العراقيل وبذل الجهود الفاشلة من جانب وفود الكتلة السوفيتية للحصول على الموافقة على قرارات تهاجم الدول الحرة . ففى مجلس الأمن قام ممثلو السوفييت حتى نهاية عام ١٩٥٩ باستخدام حق الفيتو أكثر من ٨٠ مرة .

وبعد احتلال الجيوش السوفيتية لكوريا الشمالية فى شهر أغسطس عام ١٩٤٥ ، شرعت السلطات السوفيتية فى تجنيد وتدريب وتسليح قوات كوريا الشمالية واستخدمت هذه القوات فى العدوان على الجمهورية الكورية فى ٢٥ يونية عام ١٩٥٠ . وعند ما دمغت الأمم المتحدة كوريا الشمالية بأنها دولة معتدية ، هب الممثل السوفيتى فأيد ذلك العدوان وتدخل الصين الشيوعية فيما بعد . وفى شهر ديسمبر عام ١٩٥٦ قام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، وربيبته الحكومة المجرية ، بتحدى قرار الأمم المتحدة الذى يطالب بالسماح لمراقبى الأمم المتحدة بالدخول إلى المجر .

(١٣) ما هو موقف الماركسية - اللينينية إزاء الحرب ؟

لقد قال لينين فى عام ١٩١٨ : « إذا شنت طبقة البروليتاريات حرباً بعد تغلبها على الطبقة البورجوازية فى عقر دارها ، وإذا كان الغرض من الحرب هو تقوية وتوسيع الاشتراكية (الشيوعية) ، فإن مثل هذه الحرب تعتبر مشروعة « ومقدسة » .

وتأكيداً لهذا المنطق ، فإن الموسوعة السوفيتية الضخمة - الطبعة الثانية - فى مقال لها عن الحرب ، تميز بين « الحروب غير العادلة والرجعية » التى تشنها « البورجوازية الاستعمارية ضد الحركة الديمقراطية (الشيوعية) » أو بين « الدول الاستعمارية » و « الحروب التحررية العادلة » التى تشنها الحكومات الشيوعية .

ووفقاً لوجهة النظر هذه ، ليس أحد أهلاً لأن يحكم ما إذا كانت أية « حرب غير عادلة ورجعية » أو « عادلة وتحررية » سوى الشيوعيين . ولهذا كان الهجوم السوفيتى على فينلندا ، وهى دولة صغرى ، « حرباً عادلة » وفقا لمنطق الشيوعيين ، كما كان كذلك الهجوم الذى شنته حكومة كوريا الشمالية على جمهورية كوريا .

(١٤) هل يسهم التعليم فى ظل الشيوعية نحو خلق اتجاه حربى ؟

تقوم السلطات التعليمية المسئولة بوضع المناهج والكتب المدرسية لتتلاءم مع الاتجاه الحربى وذلك بإقحام الموقف الحربى فى النظام التعليمى بأسره فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وغيره من سائر الدول الشيوعية . وبالإضافة إلى ذلك يركز الكومسومول (جماعة الشباب الشيوعيين) أهمية كبرى على التعليم والتدريب الحربى . (أنظر الفصل التاسع) .

وحتى ميدان الرياضة لايخلو من التأثيرات الحربية . فقد قامت اللجنة التابعة للجمعية التطوعية لمساعدة قوات الجيش والطيران والبحرية السوفيتية بإلقاء الضوء على الألعاب الرياضية السوفيتية فى الاحتفال بالعيد الخامس والثلاثين للجيش والأسطول السوفيتيين فى عام ١٩٥٣ فقالت : « إن شبابنا فى رغبته المطلقة فى التفوق فى العلوم والمزايا الحربية والحصول على درجة عالية من التفوق فى النواحى الرياضية التى يمكن تطبيقها فى الحرب — إصابة الهدف ، والهبوط بالمظلات ، والطيران الشراعى والعادى ، وقيادة السيارات والدراجات الآلية ، والرياضة المائية ، والعمل فى فن الطيران ، ووضع نماذج للسفن — يجب أن يكون الروح التى يحذو حذوها المجتمع السوفيتى » .

وفى ٢٧ فبراير عام ١٩٥٣ حذرت صحيفة « الكومسومولسكايا برافدا » لسان حال الكومسومول الرسمى ، بأنه « يجب على كل عضو فى الكومسومول أن يكون عضواً أيضاً فى الجمعية التطوعية لمساعدة قوات الجيش والطيران والبحرية السوفيتية ، كما أن على أعضاء الكومسومول التزاماً ، وهو أن يكونوا مثالاً يحتذى من جانب الجماهير الغفيرة للشباب الذين يواصلون تفوقهم فى الشئون العسكرية .

والكومسومول يحتفظ بمنشأة حربية ضخمة كاملة السلاح - سواء من حيث القوات البرية أو الطائرات أو السفن البحرية الصغيرة - ولكن الإنفاق على هذه المنشأة لا يتم من الميزانية العسكرية العادية ، وإنما تدفع نفقاتها المشروعات التابعة للدولة والهيئات المدنية .

(١٥) هل يقوم الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى بالإشراف على الجيش الأحمر ؟

إن النظام المعقد الحالى الذى يشرف بمقتضاه الحزب الشيوعى للاتحاد

السوفيتى على الجيش الأحمر ، هو نتاج عشرات السنوات من التجارب بأنماط مختلفة من الخدمات والمسئوليات العسكرية التى تعتبر ملائمة لدولة « بروليتارية » .

وخلال العقد العشرين من هذا القرن ، كان الاهتمام يتركز على تحويل الأسلحة العسكرية السوفيتية إلى أدوات للسيطرة على السكان المدنيين وخلق قوة دفاعية قادرة على حماية « الموطن الأصلى للشيوعية » .

ففى أثناء هـــذه السنوات أنشأ الحزب الشيوعى « النظام السياسى للقومسيرات » (عدل عن هذا النظام فى عام ١٩٤٤) الذين كانوا يمثلون الحزب على جميع المستويات فى الجيش الأحمر ويتمتعون بسلطة تماثل ، إن لم تزد ، على السلطة التى يتمتع بها ضباط الجيش . وبعد الحرب العالمية الثانية أعيد تعيين القومسيرات « كمستشارين سياسيين » ، ومن ثم فإن قضية المارشال زوكوف « بطل ستالينجراد » إنما توضح مدى السيطرة التى كان يمارسها الحزب على الجيش . فقد حدث أن قام ستالين ، وكان لا يثق بكثير من القواد فى فترة الحرب ، فأبعد زوكوف إلى مركز غامض ، ولكن ما أن توفى ستالين حتى رد إليه اعتباره وأصبح وزيراً للدفاع . وفى أكتوبر عام ١٩٥٧ ، أى بعد حركة تطهير الجماعة المناهضة للحزب التى قام بها خروشوف ، طرد زوكوف من منصبه بحجة أنه كان قد « أبطل إشراف الحزب على القوات المسلحة » .

(١٦) هل يعمل البوليس السرى فى داخل صفوف الجيش الأحمر ؟ .

يحتفظ البوليس السرى الشيوعى بسلسلة خاصة من مناصب القيادة فى الجيش الأحمر .

فهناك أقسام خاصة تابعة لقوة البوليس السرى الشيوعى تقوم بمراقبة أية ظاهرة من ظواهر التمرد فى الجيش الأحمر ، كما أن هذا النوع من

المراقبة يشمل حتى أعلى الضباط مرتبة . ويقوم البوليس السرى كذلك بحفظ ملفات خاصة بجميع أعضاء القوات المسلحة ، كما تراجع الملفات الخاصة بسجلاتهم الشخصية مراجعة دقيقة للتأكد من خلوها من أية دلالة تشير إلى أى نشاط من جانبهم مناهض للسوفييت ، أو أى « مواقف لهم مناهضة للاشتراكية » فى الماضى . أما التبليغ من جانب المخبرين عن التمرد فى الجيش الأحمر ، فيقوم بتشجيعه مكتب البوليس السرى الشيوعى الذى يملك من أجل ذلك سلطة التهديد بإنزال العقوبة السريعة بسبب الأعمال « المناهضة للدولة » على رؤوس الأشخاص والضباط المدرجة أسماؤهم فى القوائم .

(١٧) إلى أى مدى تراعى الامتيازات الطبقية فى الجيش الأحمر ؟

يمتاز الجيش الأحمر ، شأنه فى ذلك شأن الجيش القيصرى الروسى ، بتمتعه بامتيازات طبقية كبيرة بين الجماعة المتطوعة فى الخدمة العسكرية وكتيبة الضباط .

فالمباهاة بالرتب والأوسمة والمرتبات الكبيرة والحياة الرغدة هى من الامتيازات التى يتمتع بها الضباط الذين يحتلون مراكز عالية . ويبلغ فى المتوسط مرتب من يعملون فى كتيبة الضباط نفس المرتب الذى يحصل عليه البيروقراطيون من الطبقة العالية . وبالإضافة إلى ذلك هناك نظام خاص من الجمعيات التعاونية للعسكريين تسمى « فونتورج Voentorg » تضمن لأعضاء كتيبة الضباط وأسرهم أصنافاً متنوعة من المواد الغذائية والملابس وغيرها من المؤن والخدمات التى لا يستطيع الحصول عليها المتطوعون فى خدمة الجيش أو السكان المدنيون . زد على ذلك ، أن الضباط لهم الأولوية فى الحصول على مساكن مريحة .

(١٨) لماذا هرب عدد من ضباط الجيش الأحمر من روسيا السوفيتية ؟

إن أحد الأسباب التى ذكرها ضباط الجيش الأحمر الهاربون من روسيا فى تفسير نبذهم للشيوعية ، هو شعورهم بالخطر الذى يهددهم نتيجة للمراقبة المتواصلة التى يفرضها عليهم البوليس السرى .

ومع أن الضباط السوفييت يكونون طبقة تتمتع بامتيازات ، إلا أن أوجه النشاط التى يقوم بها مكتب البوليس السرى الشيوعى هى بمثابة مذكر لهم بأن أية كلمة نابية تصدر منهم أو أية تهمة واهية توجه ضدهم من جانب أحد المخبرين قد تضع حداً لمستقبلهم العسكرى وربما لحياتهم .

(١٩) هل تحتفظ الدول التابعة لروسيا بقوات عسكرية كبيرة ؟

تحتفظ جميع الدول الشيوعية فى أوروبا الشرقية بمنشآت عسكرية كبيرة كانت ولا تزال خاضعة لنفوذ الجيش الأحمر ، كما كانت ولا تزال فى معظم الحالات تحت إشرافه المباشر . كذلك تم تزويد قوات الدول التابعة لروسيا بالأسلحة والذخائر السوفيتية أو بمهام ومعدات صنعت فى أوروبا الشرقية وفقاً لمواصفات عسكرية سوفيتية . هذا ، وقد أعلن فى الفترة بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٥٦ عن إجراء تخفيضات محدودة فى عدد هذه القوات .

(٢٠) هل أظهرت الصين الشيوعية ميولاً عدوانية تشبه ميول روسيا السوفيتية العدوانية ؟

منذ عام ١٩٥٠ وحكومة بكين تقدم على مباشرة عدد من الأعمال العدوانية والتوسعية . فى ذلك العام شرعت القوات الصينية الشيوعية فى غزو التبت ، وبالتالى قامت حكومة بكين بتحويل هذه البلاد إلى مرتبة إقليم معرضة بذلك أهل التبت إلى نفس المعاملة القاسية التى يكيلونها للسكان فى القارة الصينية .

وفى شهر سبتمبر عام ١٩٥٠ دخلت القوات الصينية الشيوعية كوريا الشمالية بأعداد كبيرة تحت قناع « المتطوعين » ، واشتبكوا فى معارك مع قوات الأمم المتحدة التى كانت تقوم بالدفاع عن استقلال جمهورية كوريا ووحدة أراضيها . وعلى أساس هذا التدخل دمغت الأمم المتحدة الصين الشيوعية بالعدوان .

(٢١) ما هى الطاقة العددية الحالية للقوات المسلحة الشيوعية ؟

من العسير على المرء أن يتأكد بالضبط من العدد الإجمالى للقوات المسلحة السوفيتية ، وذلك بسبب الانضمام الهائل إلى المنظمات شبه العسكرية مثل الكومسومول . ولكن خروشوف كان قد ذكر فى خطاب له فى ١٤ يناير عام ١٩٦٠ ، أن القوات العسكرية السوفيتية سيجرى تخفيضها من ٣٫٦٠٠٫٠٠٠ إلى ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ فى غضون السنة أو السنتين التاليتين ، وأن «جميع القوات الجويه تقريباً هى فى طريق استبدالها بأجهزة صاروخية» (وتقدر دراسة غير حكومية ، بريطانية عدد القوة العسكرية للسوفييت فى عام ١٩٥٩ بـ ٣٫٩٠٠٫٠٠٠ رجل ، أى بتخفيض قدره مليون رجل فقط منذ وفاة ستالين فى عام ١٩٥٣) .

أما الطاقة الإجمالية فى عدد القوات العسكرية التابعة لموسكو ، فتقدر بحوالى مليون جندى ، كما يعتقد أن الصين الشيوعية تملك حوالى ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ رجل فى القوات النظامية ، وحوالى ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ رجل فى قوات « الميليشيا الشعبية » المسلحة . والقوات الأخيرة لا تعتبر ذات قيمة من حيث ممارستها فن القتال .

(٢٢) كيف يفيد الشيوعيون من الثورات الوطنية للترويج لأهدافهم الخاصـــة ؟

منذ عام ١٩٥٥ ، ولا سيما منذ عام ١٩٥٧ ، والسياسة الشيوعية الدولية

التى توجهها موسكو قائمة على أساس مد يد العون إلى الأحزاب والحركات المتطرفة فى وطنيتها حتى تتمكن من التغلغل فيها والسيطرة عليها فى النهاية .

وتهيأت فرصة لأوجه النشاط التخريبية الشيوعية فى العراق بالانقلاب العسكرى الذى قام به عبد الكريم قاسم بين شهرى يوليو وأغسطس عام ١٩٥٧ ، وشرع الحزب الشيوعى العراقى فى الحال ، وإن كانت نسبة أعضائه ضئيلة ، فى تنظيم صفوف الفلاحين والعمال الصناعيين (كانت نقابات العمال ذات أهمية ضئيلة قبل الثورة) فى نقابات تستجيب للسيطرة الشيوعية .

وبذلت محاولة لتنظيم « ميليشيا شعبية » على نمط « لجان العمل » فى أوروبا الشرقية التى كانت على أهبة الاستعداد عند ما استولى الشيوعيون على المنطقة ، كما بذلت محاولات قوية للتسلل إلى نظام الحكم الثورى على جميع المستويات بما فيها القوات المسلحة . وعند ما أصبحت أساليب الشيوعيين سافرة للغاية ، تم إيقافها مؤقتاً ، وانشق الحزب العراقى على نفسه إزاء هذه الأساليب ، وما أن جاء عام ١٩٦٠ حتى كان الغموض يخيم على الحالة وما تتمخض عنه من نتائج .

وفى كوبا أفسحت ثورة فيدل كاسترو وأتباعه فى يناير عام ١٩٥٩ ، الطريق أمام اندفاع شديد من جانب الشيوعيين الكوبيين لاستمالة والسيطرة على مسلك الثورة وسياسات حكومة كاسترو المقبلة . وفى أوائل أكتوبر عام ١٩٥٨ كانت الاستراتيجية الشيوعية قد اتخذت كوبا هدفاً رئيسياً لا سيما الحركة الكوبية لنقابات العمال . كما كان ينظر إلى كوبا باستحسان كرأس جسر للنفوذ والدسائس الشيوعية فى أمريكا اللاتينية . وأياً كان الأمر فما أن أوشك عام ١٩٥٩ على الانتهاء ، حتى أصبحت الاستراتيجية الشيوعية بالنسبة لأمريكا اللاتينية معروفة جيداً ، وتم التقليل من حدة

الاندفاع فى الحركة الشيوعية فى كوبا . ومع ذلك فلا تزال دول أمريكا اللاتينية وأفريقيا والشرق الأوسط والشرق الأقصى أهدافاً رئيسية للأعمال التخريبية الشيوعية .

وفى عام ١٩٥٩ كانت الصين الشيوعية التى هى سبيل تسيير حملتها الدعائية الخاصة بها فى قارة أمريكا اللاتينية وغيرها من القارات ، تقوم بتنفيذ أساليب الكتلة السوفيتية لدرجة محدودة .

الفصل الخامس عشر

الشيوعية والعالم الحر

١) كيف يسعى الشيوعيون لكسب السيطرة على البلاد غير الشيوعية؟

لقد تمكن الشيوعيون من السيطرة على البلاد غير الشيوعية كما أنهم ما زالوا يسعون للسيطرة عليها بواسطة استخدامهم إحدى هذه الوسائل الأربع أو كلها مجتمعة :

(١) وفقاً للحقائق التاريخية ، لقد كانت هناك ثورتان عسكريتان اجتماعيتان مكنتا الشيوعيين من السيطرة على الحكم . فقط قاد الحزب البلشفي ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ فى روسيا فاستولى فى النهاية على الحكم بالقوة العسكرية . وهذه الحقيقة أيضاً تنطبق على الصين الشيوعية . (لا يغالى زعماء السوفييت فى الوقت الحاضر فى تركيز الأهمية على هذه الوسيلة) .

(٢) والوسيلة الثانية تنطوى على التهديد من جانب القوات الشيوعية على حدود أية دولة تكون هدفاً للشيوعيين. وهذا الأسلوب كانت موسكو قد استخدمته فى أوربا الشرقية بالإضافة إلى الضغط الديبلوماسى والتخريب من الداخل

(٣) الوسيلة الثالثة ، وهى قريبة الشبه جداً من الوسيلة الثانية ، تنطوى على القيام بالدسائس والتسلل والتخريب من جانب الشيوعيين استعداداً لإحداث انقلاب فى حكومة غير شيوعية . وخير مثال على ذلك ما حدث فى تشكيوسلوفاكيا .

كذلك فقد طرح زعماء السوفييت فى مؤتمر الحزب الشيوعى العشرين اقتراحاً بأن الشيوعيين يستطيعون الاستيلاء على السلطة عن طريق الإلتجاء إلى الوسائل البرلمانية ، ولكنهم لم ينبذوا استخدام العنف الثورى فى الحالات التى لقى فيها استيلاؤهم على مقاليد الأمور مقاومة . ومما يجدر

ذكره أن الشيوعيين لم يتمكنوا من الاستيلاء على أية دولة عن طريق اتباعهم الوسائل الدستورية .

(٤) أما الوسيلة الرابعة التى يتبعها الشيوعيون من أجل تحقيق انقلاب فى حكومة شرعية ، أو محاولاتهم ذلك ، فتتمثل فى استخدامهم « لجنة تحرير » شيوعية أو جماعة مشابهة لها تنشىء نفسها خارج حدود الدولة التى هى هدفهم . وبعد ذلك تقيم هذه الجماعة « حكومة حرة » تدعى سلطتها الشرعية على البلاد بأسرها .

وهذه الحيلة استخدمها الشيوعيون فى بولندا حيث تم إنشاء لجنة تحرير قومية « يتألف أعضاؤها من الشيوعيين البولنديين الذين كانوا يسكنون لزمن طويل فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية فى مدينة لوبلين تحت سيطرة السوفييت ، وبالتالى تم تعيينهم فيما بعد فى مناصب عالية فى بولندا الشيوعية .

كذلك استخدم الشيوعيون أسلوبهم العسكرى فى إقامة موطىء قدم أو رأس جسر لهم داخل أو بالقرب من حدود بلد حر فى مناطق الشرق الأقصى ، وقد يصبح رأس الجسر هذا فيما بعد نواة لحكومة شيوعية . ومثال على ذلك ، لقد استولت حكومة الباتت لاو الشيوعية على ما يربو على ١٣٫٠٠٠ ميل مربع من أراضى لاوس الشمالية منتهكة بذلك انتهاكاً سافراً إتفاقية هدنة وقف إطلاق النار التى عقدت فى يوليو عام ١٩٥٤ .

وبعد ذلك قامت حكومة لاوس وشيوعيو الباتت لاو بعقد اتفاقية لتوحيد قواتهما المسلحة ، ولكن هذا الإجراء ثبت أنه غير عملى ، وبالتالى شرع بعض جنود الباتت لاو فى مقاومة الانضمام وانسحبوا إلى معاقلهم فى لاوس الشمالية حيث بدءوا شن أعمال عدوانية فى أنحاء متفرقة من البلاد .

وفى صيف عام ١٩٥٩ ، أصبحت حرب العصابات الشيوعية منتشرة فى المنطقة تساندها فى ذلك أسلحة وجنود من فيتنام الشمالية .

ونتيجة للحالة الخطيرة تقدمت حكومة لاوس بالتماس إلى الأمم المتحدة تطلب فيه وقف الغزو الذى كانت تهدد بشنه فيتنام الشمالية . وفى شهر سبتمبر من ذلك العام قامت لجنة لاستقصاء الحقائق تابعة للأمم المتحدة بإجراء تحقيقات على الطبيعة ، وقدمت تقريراً فيما بعد بأنه وإن لم يظهروا لها ما يدل على القيام بغزو من جانب فيتنام الشمالية ، بيد أن شيوعى حركة الباتت لاو قد تسلموا مساعدة جوهرية من الشيوعيين التابعين لفيتنام الشمالية . وبالإضافة إلى ذلك أثبتت اللجنة بالبراهين الجوهرية إتهامات مؤداها أن رجال العصابات التابعة لحركة الباتت لاو كانت قد تلقت تدريبها فى فيتنام الشمالية .

(٢) ما هى الأفكار الرئيسية التى ينشرها الشيوعيون وكيف تمول الدعاية الشيوعية ؟

تنظم الدعاية الشيوعية على نطاق واسع وتمول بسخاء من جانب الحكومتين السوفيتية والصينية الشيوعيتين ، وكذلك من جانب الأحزاب الشيوعية فى جميع البلاد التى يوجد فيها الحزب الشيوعى .

وتعتبر قيادة الشيوعية الدعاية مساوية فى قيمتها لغيرها من أدوات التوسع الشيوعى الأخرى ، مثل القوة العسكرية والدبلوماسية والأساليب التخريبية . إنها عنصر أساسى من مذهب الماركسية — اللينينية الذى هو فى حد ذاته مبدأ « دعاية » للدفاع عن قلب جميع الحكومات غير الشيوعية والدساتير الاجتماعية المعمول بها . ولكن الدعاية الشيوعية قلما تشير فى الوقت الحاضر إلى معتقدات « كالثورة البروليتارية » و « الديكتاتورية البروليتارية » عندما تسعى لكسب أنصار أو اتباع لها .

وبدلاً من ذلك يقوم المتحدثون باسم الشيوعية ودعاتها فى المناطق المتخلفة أو المناطق المستعمرة بالتبشير « بالاستقلال » و « القومية » و « الأرض المجانية للفلاحين » وبغيرها من الشعارات المستحبة للجماهير . أما الاستعمار السوفيتى ، وهو أكثر الأنظمة توسعاً وظلماً فى وقتنا الحاضر ، فيتجاهلون أمره .

وفى البلاد التى تكتظ فيها الصناعات قد يلعب الشيوعيون دوراً قيادياً فى إثارة الإضرابات والاضطرابات لأغراض سياسية أو لكسب أعضاء للحزب الشيوعى بدلاً من تحسين أحوال العمال ، أو قد يتمسكون بترديد التعهد بتحقيق صناعة مؤممة — « امتلاك العمال لوسائل الإنتاج » — مع العلم أن الدولة فى البلاد الشيوعية — وليس العمال — هى التى تمتلك الصناعات وتقوم بإدارتها وفقاً لمخططات حكومية يضعها ويقوم بتنفيذها الحزب الشيوعى .

(٣) ما هى المغريات الجماهيرية للشباب التى يستخدمها دعاة الشيوعية ؟

منذ عام ١٩٤٧ قامت برعاية عدد من مهرجانات الشباب العالمية على نطاق واسع منظمتان للشباب تابعتان للجبهة الدولية للشيوعية ، هما الاتحاد العالمى للشباب الديمقراطى ، والاتحاد الدولى للطلبة . وهذه المهرجانات وإن كان قد أعلن عنها بأنها أحداث غير سياسية ، إلا أنها لم تكن فى الواقع سوى استعراضات دعائية ضخمة أقامها شيوعيون محنكون وتم تنظيمها بتوجيهات السوفييت .

وكان أن حضر المهرجان العالمى السادس للشباب الذى عقد فى موسكو عام ١٩٥٧ ، حوالى ٣٤٫٠٠٠ شاب . أما المهرجان العالمى السابع للشباب والطلبة من أنصار السلام والصداقة — وكان أول اجتماع من مثل هذه

الاجتماعات يعقد خارج دول الستار الحديدى — فقد عقد فى فينـا من ٢٤ يولية إلى ٤ أغسطس عام ١٩٥٩ ، وفيه تجلى الطابع الحقيقى للاحتفال بواسطة الطوابير التى قامت باستعراض عضلاتها القوية والأساليب العسكرية للقوى التعسفية .

(٤) هل حافظت الحكومة السوفيتية على إلتزاماتها تجاه الأمم المتحدة ووفت بها ؟

إن الحكومة السوفيتية من الدول الموقعة على ميثاق الأمم المتحدة الذى ينص على أنه « نحن شعوب الأمم المتحدة ... » نوافق ، بالإضافة إلى ما نوافق عليه من أهداف أخرى ، « على توكيد إيماننا بالحقوق الأساسية للجنس البشرى ، وبكرامة وقيمة الإنسان ، وبالحقوق المتساوية بين النساء والرجال والدول صغيرها وكبيرها ... » ولكنها مع ذلك لم تف بصفة ثابتة وصادقة بأى جزء من هذا الميثاق الدولى .

وبالإضافة إلى ذلك يدل سجل السوفييت الحافل بالعدوان وضم أراضى الدول إلى الاتحاد السوفيتى والحنث بالاتفاقيات الدولية بما لا يدع مجالاً للشك، على أن الحكومة السوفيتية لم تراع التزاماتها إزاء الأمم المتحدة كما هو منصوص عليها فى الميثاق ، أى « أن تمارس التسامح والتعايش السلمى مع غيرها من الدول كجيران طيبين » . وقصارى القول هو أن برنامج الشيوعية إنما هو قائم على القوة المسلحة والعدوان والإرهاب البوليسى ، والعنف والتخريب اللذين يوحى بهما الشيوعيون .

(٥) ما الفرق بين مقترحات الشيوعيين من أجل إقامة كوريا « موحدة » وألمانيا « موحدة » ومقترحات الحكومات الغربية ؟

يتركز الفرق بصفة عامة بين مقترحات الدول الغربية من أجل توحيد كوريا وألمانيا والمقترحات التى تقدم بها الشيوعيون فى مسألة الانتخابات المستقبلة .

فالمقترحات السوفيتية تظهر تشابهاً ملحوظاً فى كلتا الحالتين ، إذ أن المشروع الشيوعى يدعو إلى تأسيس جمعية مؤقتة على أساس « المساواة فى التمثيل » بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية وبين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية . ولكن مثل هذا الإجراء سيكون إلى درجة كبيرة فى صالح السيطرة الشيوعية لمثل هذه المخترعات التشريعية المصطنعة ، وذلك لأن عدد سكان كوريا الشمالية يقل عن ثلث سكان كوريا الجنوبية ، بينما عدد سكان ألمانيا الشرقية مضافاً إليه عدد سكان القطاع السوفيتى من برلين ، هو أكثر بقليل من ثلث عدد سكان ألمانيا غير الشيوعية أو جمهورية بون .

وفى كلتا الحالتين قد يتوقع قيام الممثلين — ويكونون من الأذناب — عن المناطق الشيوعية بالاقتراع ككتلة متراصة بأوامر من موسكو (وفى حالة كوريا ربما بأوامر من بكين) ، ومن ثم فإن أى انحراف فى التمثيل الديمقراطى سيكون فى صالح الشيوعيين .

كذلك لا تمثل حكومتا كوريا الشمالية وألمانيا الشرقية السلطتين الشرعيتين لهذين الشعبين بأى حال من الأحوال ، وذلك لأنهما لم تنصبا فى الحكم عن طريق انتخابات حرة . ومع ذلك فإن هاتين الجمعيتين المؤقتتين المذكورتين وفقاً للمقترحات الشيوعية سيكون من شأنهما تقرير الظروف التى فى ظلها ستجرى هذه الانتخابات ، كما ستقرران المؤهلات التى يتحلى بها الناخبون . ولم تتقدم موسكو أو بكين حتى الآن بأى مشروع لإجراء انتخابات حرة حقيقية فى المناطق التابعة لهاتين الدولتين والتى يسيطر عليها الشيوعيون .

ومن الجهة الأخرى كانت حكومات الدول الغربية قد أصرت قبل البدء فى توحيد كلا البلدين ، على ضرورة إجراء انتخابات حرة تشرف عليها سلطات مناسبة للتأكد من عدم ممارسة القوة أو الضغط أو الإرهاب

على حرية الناخبين وضمان الانتخاب بالطريقة السرية والدقة فى نتائج الانتخابات .

(٦) ما هى صلة مشكلة برلين الغربية بعبارة « التعايش السلمى » الشيوعية ؟

تظهر الأزمة الدولية التى نجمت عن مطالبة خروشوف فى شهر نوفمبر عام ١٩٥٨ بإجراء تغيير فعال فى وضع برلين الغربية مرة أخرى ، الأساليب السوفيتية الخاصة بترديدهم الطبيعة والنوايا « السلمية » للحكومات الشيوعية بينما يقومون فى الوقت ذاته باتخاذ موقف تهديدى .

وكانت عبارة خروشوف فيما يتعلق ببرلين الغربية فى جملتها تتلخص بطلب لا يقبل الأخذ والرد من جانب واحد بأن تقوم جميع قوات الاحتلال التابعة للدول الغربية بالانسحاب من برلين الغربية ، وعندها تصبح هذه المدينة « مدينة حرة » . وكان البديل عن هذا الإنذار النهائى (وقد أدخل عليه تعديل منذ ذلك الحين فيما يتعلق بالمدة المحددة) عقد محالفة مباشرة بين موسكو وحكومة ألمانيا الشرقية الشيوعية تحول بموجبها إلى سلطات ألمانيا الشرقية الرقابة الفعالة على عمليات الدخول إلى برلين الغربية والخروج منها . والأخطار المترتبة على اتخاذ مثل هذا الإجراء واضحة ، إذ أن برلين الغربية — وهى محاطة بدول يسيطر عليها البوليس الجماعى وخاضعة لضغط قواتها المسلحة — لا يمكنها الاستمرار فى البقاء ككيان سياسى حر . وفى الواقع لقد أوضح خروشوف جلياً أن برلين الغربية « الحرة » وفقاً لمشروعه لن يسمح لها بأن تصرح بنقد للسياسات الشيوعية والنظام الشيوعى بوجه عام إلا إذا كان نقداً خاضعاً للرقابة كما أنه لا يمكن لها أن تظل بمثابة الملجأ لأولئك الذين يفرون من الظلم والتنظيم الشيوعى فى ألمانيا الشرقية . وهكذا فإن تسمية برلين الغربية « مدينة حرة » تحت مثل

هذه الظروف ما هى إلا مثال آخر على استعمال الألفاظ كطعم للدعاية .

إن برلين الغربية باقتصادها الناجح وأهلها النشطين هى ، من وجهة النظر الشيوعية ، رمز لرأسمالية لا بد من تدميرها أو قلبها وبعدها يمكن أن يكون هناك « تعايش سلمى » . وتدمير حرية برلين الغربية ستبررها عندئذ النظرية الماركسية - اللينينية ، وهى أنه يوجد نظامان رئيسيان معاصران ، النظام الرأسمالى والنظام الشيوعى ، وهما خصمان بالفطرة ويجب أن يظل النظام الشيوعى سائداً .

(٧) ما هى الجهود التى بذلتها الدول الغربية لتحسين الرفاهية الاقتصادية فى العالم الحر ؟

اتخذت دول أوروبا الغربية ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، خطوات عديدة لتحقيق الاستقرار الاقتصادى والأمن القومى ، إذ قامت مجموعة من الحكومات الأوربية بإنشاء المؤسسة للتعاون الاقتصادى الأوروبى ، والاتحاد الأوروبى للمدفوعات ، واتحاد الصلب والفحم ، ومجلس أوروبا الذى لا تتعدى أعماله أن تكون استشارية .

وفى عام ١٩٤٨ قدم مشروع مارشال — وهو البرنامج الأمريكى لتحقيق الانتعاش الاقتصادى لأوروبا — لجميع البلاد التى ترغب فى الاشتراك فيه بغرض مساعدة إنعاش الاقتصاد الأوروبى من آثار الحرب ، ولكن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية رفض الانضمام إليه أو مساندته بل قام بمنع جميع الحكومات التابعة له من الانضمام إليه . وفى الوقت ذاته كانت قد صدرت الأوامر إلى أعضاء الحزب الشيوعى فى جميع الدول المنضمة لكى تقوم بإفساد المشروع بأية وسيلة ممكنة بما فيها الإضرابات وغيرها من أعمال الاضطرابات ، بيد أنه لم تثبت فاعلية أى من هذه المظاهرات .

كذلك تهيأت المساعدات الفنية لجميع دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية عن طريق برنامج « النقطة الرابعة » الذى قامت بتنفيذه إدارة التعاون الاقتصادى ولا يزال ينفذ من جانب إدارة العمليات الخارجية .

وفى الوقت الحاضر تقدم المساعدات الخارجية الأمريكية بصفة رئيسية عن طريق إدارة التعاون الدولى ، ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى ٣ يونية عام ١٩٥٩ ، بلغت جملة المساعدات الخارجية غير العسكرية التى قدمتها الولايات المتحدة لأكثر من ثمانين دولة وقطراً حوالى ٤٦٫٥ بليون دولار .

وتطلب مشروع كولومبو ، وقد تم وضعه أثناء مؤتمر عقدته فى عام ١٩٥٠ دول الكومنولث البريطانى فى كولومبو بسيلان ، إنفاق أكثر من خمسة بلايين دولار على التقدم الاقتصادى خلال ست سنوات فى منطقة جنوب شرقى آسيا . ومشروع كولومبو قامت بوضعه فى الأصل سبع دول اشتركت فى المؤتمر ، وفى عام ١٩٥٤ بلغ عدد الدول المنضمة إليه ست عشرة دولة . والدول المشتركة فى المشروع كمتبرعة بالأموال هى بريطانيا وكندا وأستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة واليابان . أما الدول المتسلمة للمساعدات فهى الهند وباكستان وبورما وإندونيسيا وسيلان ونيبال ولاوس وكمبوديا وفيتنام وتايلاند (تايلاند هى أيضاً من الدول المساهمة بالأموال) .

ومن المساهمات الجوهرية التى بذلت من أجل الرفاهية الاقتصادية للعالم الحر تلك التى تقدم بها البنك الدولى للإنشاء والتعمير ، وهو إحدى الوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة . وهذا البنك تم تنظيمه فى يونية عام ١٩٤٦ ، وتمكن من منح قروض لإحدى وخمسين دولة بلغ مجموعها خمسة بلايين دولار تقريباً .

أما هذه القروض فقد تم منحها فى بادىء الأمر للتغلب على الدمار الذى سببته الحرب العالمية الثانية وللمساعدة فى السنوات التالية على تطوير القوى الكهربائية والزراعة والصناعة فى أجزاء عديدة من العالم الحر. أما معظم رأسمال البنك الأصلى المخصص للتسليف فقد قدمه للبنك العالم الغربى وليس الاتحاد السوفيتى ، ولا أية دولة من الدول التابعة له من بين أعضائه الثمانية والستين .

ومنظمة الأغذية والزراعة هى وكالة أخرى من وكالات الأمم المتحدة المتخصصة التى تقوم بمساعدة العالم الحر لا سيما الدول الآخذة بأسباب النهوض والأكثر احتياجاً إلى المواد الغذائية . والدولة الوحيدة من الدول التابعة للسوفييت المشتركة فى عضوية هذه الهيئة هى بولندا . كذلك هناك وكالة أخرى تابعة للأمم المتحدة يساندها العالم الحر لمنفعة الجنس البشرى وهى هيئة الصحة العالمية .

وبالإضافة إلى ذلك تقوم الأمم المتحدة بتنفيذ برنامج للمساعدات الفنية فى الدول الآخذة بأسباب النهوض تسهم الدول الغربية بتقديم أكبر مبلغ من أمواله . وحتى الآونة الأخيرة ، عند ما أذاع الاتحاد السوفيتى عن عزمه على المساهمة فى البرنامج بمبلغ ضئيل نسبياً ، فإنه أى الاتحاد السوفيتى ، لم يشترك بتاتاً فى هذا البرنامج .

(٨) ما هو مشروع « الذرة من أجل السلام » ؟

عرض الرئيس أيزنهاور فى ٧ ديسمبر ١٩٥٣ فى خطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة اقتراحاً جديداً حيوياً ، وكان عرضه هذا قد جاء فى مجال الإشارة إلى النتائج التدميرية لأحداث الأسلحة النووية . قال الرئيس أيزنهاور :

« إن الولايات المتحدة لتدرك أنه إذا ما أمكن تحويل الاتجاه المخيف

للإنتاج الذرى الحربى ، فإن هذه القوة التى هى أعظم قوة تدميرية يمكن تطويرها إلى نعمة عظيمة لفائدة البشرية جمعاء ... ولهذا فإنى أتقدم بهذه المقترحات : على الحكومات المعنية بصفة رئيسية أن تبدأ منذ الآن فى حدود الحصافة الأولية وأن تستمر فى التبرع مع غيرها من الدول مما هو مخزون لديها من الأورانيوم العادى والمواد الإنشطارية إلى وكالة دولية للطاقة الذرية . ونحن نتوقع أن يتم إنشاء مثل هذه الوكالة تحت رعاية الأمم المتحدة وأن تكون أهم مسئولياتها ابتكار الوسائل التى بواسطتها تخصص المواد الانشطارية لخدمة المطالب السلمية للجنس البشرى . . . وبهذا تكون الدول المساهمة قد كرست جزءاً من طاقتها لخدمة احتياجات الجنس البشرى بدلاً من إثارة مخاوفه » .

وانضمت ثمانى دول — الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا وكندا وأستراليا وبلجيكا والبرتغال واتحاد جنوب أفريقيا — فى آن واحد كأعضاء مؤسسين إلى وكالة الطاقة الذرية الدولية ، وفى أكتوبر عام ١٩٥٥ تقدمت إلى الأمم المتحدة بالقانون التأسيسى الخاص بإنشائها .

وفى الشهور الأولى من عام ١٩٥٦ ، كان عدد الدول الممثلة فى الاجتماعات التمهيدية التى عقدت لوضع الأعمال الأساسية للوكالة الدولية الجديدة إثنتى‌عشرة دولة ، وفى ٢٦ أكتوبر عام ١٩٥٦ وقعت وفود سبعين دولة على القانون التأسيسى للوكالة الدولية للطاقة الذرية .

وفى ٨ نوفمبر عام ١٩٥٩ وقعت إتفاقية فى بروكسل خاصة بالتعاون فى ميدان استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض المدنية بين الولايات المتحدة والست عشرة دولة التى تتكون منها جمعية الطاقة الذريه الأوربية . أما الهدف الرئيسى للاتفاقية ، فهو توفير الاستفادة فى داخل أسرة الأمم المتحدة أثناء المدة من الخمس إلى السبع سنوات التالية من حوالى مليون

كيلو واط كهرباء من قوة الطاقة النووية عن طريق استخدام أنواع من المفاعلات بنيت فى الولايات المتحدة . والاتفاقية لا تنص على توفير كميات ضخمة من الطاقة النووية فحسب ، بل تساعد كذلك على السير قدماً نحو وحدة اقتصادية أوروبية هى الآن فى طريق تحقيقها .

(٩) ما الفرق بين المقترحات السوفيتية والمقترحات الغربية الخاصة بنزع السلاح ؟

منذ عام ١٩٤٧ وممثلو السوفييت فى لجنة نزع السلاح التابعة للأمم المتحدة يضعون العراقيل فى وجه أى اقتراح بشأن نزع السلاح تقدمه الدول الغربية . ومن الجهة الأخرى لم تفلح حتى نهاية عام ١٩٥٩ مقترحات السوفييت المضادة للمقترحات الغربية التى تتمسك بتحقيق تفتيش فعال فى تقديم أية ضمانات مناسبة .

أما موقف حكومة الولايات المتحدة بشأن مسألة نزع السلاح ، فقد أوضحها جلياً الرئيس أيزنهاور فى رسالة له بعث بها إلى السناتور هيوبرت همفرى فى ١٧ نوفمبر عام ١٩٥٩ . قال الرئيس فى رسالته بالحرف الواحد :

« لقد كان أعظم مجهود قامت به الولايات المتحدة خــلال الست سنوات الأخيرة محاولتها وضع الوسائل الفعالة لتحقيق رقابة على السلاح وتخفيفه . وتحقيق النجاح فى هذا المطلب سيعود بطمأنينة أوفر على جميع الدول ويزيل كابوس الخطر الذى يهدد البشرية من جراء وقوع تصادم نووى مدمر . ولكى يتم إحراز نجاح نحو هدف تحقيق نزع سلاح شامل وعام ، كما أعرب عنه قرار الأمم المتحدة الأخير (فى نوفمبر عام ١٩٥٩)

الذى تبنته الأمم المتحدة وغيرها من أعضاء الجمعية العامة ، فإن هـــذه الحكومة قد اتبعت سياسة السعى نحو الوصول إلى اتفاقيات دولية يعتمد عليها بشأن الأمور التى يمكن معالجتها لمشكلة الأسلحة بأسرها » .

وفى ١١ فبراير عام ١٩٦٠ إقترح الرئيس أيزنهاور فرض حظر على جميع التجارب النووية التى تجرى فوق الأرض وذلك ليهدىء من القلق الذى يسود العالم من جراء الغبار الذرى المتخلف عن التجارب الذرية ، ولكن الحكومة السوفيتية رفضت للمرة الثانية المشروع الذى تقدمت به الولايات المتحدة .

الفصل السادس عشر

كيف نحارب الشيوعية

(١) كيف يستطيع الإنسان العادى أن يساعد فى مكافحة التهديد الشيوعى ؟

لا يمكن الإجابة على هذا السؤال برد واحد ، ذلك لأن التهديد الشيوعى متشعب الأطراف . ففى بعض الحالات تسعى الشيوعية إلى تحقيق أهدافها بواسطة القيام بأعمال تخريبية أو بواسطة التسلل إلى مراكز السلطة. وفى بعض الحالات الأخرى باستخدام القوة ، أو هـــذه الحيل الثلاث مجتمعة . ولكى يتمكن الشيوعيون من الترويج لمحاولاتهم التجسسية ، وبالتالى من إخفائها ، يقومون بنشر سيل متواصل من الدعاية عن طريق الصحف والراديو والحملات الكلامية . كما أن الشيوعيين يقومون بنشر بعض دعاياتهم الأكثر فاعلية بواسطة منظمات « أمامية » أو « جبهات » تكون ظاهرة بأنها ساذجة ولكنها مع ذلك محتكرة من جانبهم .

وفى كل حالة حيث الشيوعية تهدد بالتغلغل ، لابد أن تبتكر إجراءات مضادة لمواجهة الضغط الخاص ضد الحرية ، وفى كل حالة لابد من سلاح رئيسى حيوى لدرء الخطر ، وهذا السلاح يتمثل فى معرفة الحقيقة . وعلى أولئك الذين يتفادون الإنزلاق فى هـذا الخطر أن يدركوا طبيعة التهديد الشيوعى وأن يعرفوا الأساليب والوسائل التى تمارسها الشيوعية على من يقعون ضحية لها رغماً عن إرادتهم أو دون إدراك منهم لعواقبها ، كما أن عليهم ألا يتراخوا فى جهودهم من أجل توحيد أعداء الشيوعية ضـد خطرها .

(٢) ما هى المنظمة « الأمامية » للشيوعية ؟

إن المنظمة « الأمامية » الشيوعية هى تلك المنظمة التى يوجهها أو يقودها أو يستخدمها الحزب الشيوعى ويديرها من أجل مساعدة

ومساندة الأهداف الشيوعية . ومثل هذه المنظمة تحمل فى أغلب الأحيان أسماء وأدلة للدفاع عن القضايا التى تستهوى الجمهور والتى لا ترتبط فى العادة بالشيوعية ، ومن ثم فإنها تبدو من الخارج كأنها ليست بالشىء التى هى عليه حقيقة .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الشيوعيين كثيراً ما ينتحلون أسماء المواطنين المحترمين كرعاة المنظمة « الأمامية » ، أو كأعضاء قادة لها حتى يجعلوها تجتذب الأشخاص القليلى الحيطة .

(٣) ما هى المنظمات « الأمامية » الرئيسية للشيوعية الدولية وكيف تعمل ؟

فى عام ١٩٤٥ ، وهو العام الذى شهد إنتهاء الحرب العالمية الثانية وإفتتاح هيئة الأمم المتحدة ، تم إنشاء أول مجموعة من المنظمات الأمامية للشيوعية الدولية تحت رعاية السوفييت . وما أن حل عام ١٩٥٤ حتى كانت هناك ثلاث عشرة منظمة أمامية تعمل من أجـــل نشر الدعاية الشيوعية وتساند السياسات الخارجية للكتلة الصينية — السوفيتية وتغرى أشخاصاً ليسوا موضع شك للتعاون مع الشيوعيين ومن يسيرون فى ركابهم .

أما المنظمات الأمامية الثلاث للشيوعية التى تم إنشاؤها فى عام ١٩٤٥ ، فهى الاتحاد العالمى لنقابات العمال ، والاتحاد العالمى للشباب الديمقراطيين ، والاتحاد الديمقراطى الدولى للنساء .

وفى العام التالى تم إنشاء خمس منظمات أمامية أخرى وهى اتحاد الطلبة الدولى ، واتحاد المدرسين العالمى ، ونقابة المحامين الديمقراطيين الدولية ، ونقابة الصحفيين الدولية ، ونقابة الإذاعة الدولية . وشهد عام ١٩٤٩ إنشاء

أقوى منفذ للدعاية الشيوعية ألا وهو مجلس السلم العالمي (أنظر الفصل الرابع عشر) كما أنشىء فى أوائل عام ١٩٥٠ أربع منظمات أمامية صغيرة أخرى .

ولهذه المنظمات الأمامية الدولية عدد لا يحصى من الهيئات المحلية التى تنتسب إليها ، بيد أن عدداً كبيراً منها يتكون من جماعات صغيرة لا يعتد بها . وعلى الرغم من أن هذه المنظمات الأمامية تدعى أن العضوية الكاملة فيها تقدر بالملايين العديدة ، إلا أن حوالى ٨٠ فى المائة من أعضائها هم من بلاد الكتلة الصينية السوفيتية حيث يجب على العمال الصناعيين والمهنيين أن ينضموا إلى نقابات تديرها الدولة .

وتتركز إدارة كل من هذه المنظمات الأمامية أو الجبهات بدون استثناء فى يد زمرة من الحاكمين الشيوعيين ومن يسير فى ركابهم ، ولا تتمتع أى منها بالإجراءات الإنتخابية الديمقراطية ، كما أن جميع مداولات وقرارات اجتماعاتها تضعها الأحزاب المتسلمة لمقاليد الدولة ، وهذه الأحزاب بدورها إنما تردد أصداء خطة موسكو . وأياً كان الأمر فإنه يمكن القول إنه ، عقب تدخل السوفييت فى المجر ، فقدت هذه المنظمات الأمامية فى دول أوروبا الغربية وغيرها من المناطق الكثير من أعضائها وكرامتها ، وفى كثير من الحالات كان هناك نزاع بين لجانها التنفيذية فيما يتعلق بالمشكلة المجرية . أما فيما يتعلق باضطهاد الشيوعيين الصينيين لأهل التبت فلم تكن هناك أية تعليقات مضادة من جانب أى من هذه المنظمات الأمامية .

(٤) كيف يمكن مكافحة المنظمات الشيوعية الأمامية ؟

أولاً — لابد من التحقق بما لا يدع مجالاً للشك من أن المنظمة هى منظمة شيوعية أمامية . وبعد هذا يجب كشف المنظمة للملأ علانية على أنها

أداة شيوعية إنما تم إنشاؤها بغرض فرض السيطرة الأجنبية على الأشخاص أنفسهم الذين تستهويهم المنظمة لمساندتها . ومثل هذا الكشف يعتبر بوجه عام كافياً لأولئك الذين كانوا قد انضموا إليها بحسن نية لأن يلغوا عضويتهم فيها ويكفوا (وهو أمر حيوى أيضاً) عن مدها بمساهماتهم المالية . وبدون أعضاء تأخذ هذه المنظمة فى الانكماش فتصبح عديمة الأهمية .

(٥) كيف يستطيع أعضاء نقابات العمال الحيلولة دون تمكين الشيوعيين من استغلال الاتحاد لتنفيذ أغراضهم الخاصة ؟

إن إحدى الوسائل المستحبة التى يستغلها الشيوعيون الذين يخفون عادة شخصيتهم كأعضاء فى الحزب الشيوعى هى إرجاء إجتماعات أعضاء النقابة ، إلى ساعات متأخرة حتى يتوجه معظم الأعضاء إلى بيوتهم ،وبعدها يستطيع الحزب الشيوعى أن يتخذ قرارات تضع النقابة المذكورة بأسرها فى مركز الموافقة على مشروعات يكون الشيوعيون أنفسهم قائمين على تمويلها ورعايتها . والوسيلة لمكافحة مثل هذا الأسلوب هو أن يبقى جميع الأعضاء حاضرين الاجتماع حتى يتم تأجيله أويدعوا إلى تأجيله عندماتظهر لهم أساليبهم التباطئية .

ويمارس الشيوعيون أسلوباً أخطر من سابقه يشتمل على الإستيلاء على المناصب الهامة للنقابة وتحويلها إلى أداة تابعة لهم . فأعضاء نقابة العمال كغيرها من الهيئات الأخرى ينقسمون عادة إلى جماعات تتشابه فى المشارب وجماعات تختلف فيها . ومن ثم فإن الأعضاء الشيوعيين يستغلون مثل هذا الانقسام ليزرعوا الخلاف بين هذه الجماعات ويزيدوا من حدة المنافسة بين زعمائها . وعند ما يكون الوقت مناسباً ، وغالباً ما يكون ذلك فى فترات الانتخابات ، يعرض الشيوعيون ثقل أصوات أعضائهم الموحدين على جانب أو آخر مقابل ثمن وهو الفوز بمقاعد لهم فى مجلس النقابة .

وفى النهاية يكون هدف الشيوعيين الحصول على أغلبية فى اللجان المركزية أو التنفيذية للنقابة مثل منصب رئيس أو سكرتير الاتحاد ، ومنصب أمين الصندوق لرقابة مصروفات النقابة ، ومنصب الرقابة على تحرير نشرات النقابة أو غيرها من الوظائف كرؤساء الخدم فى الحوانيت والمصانع ، والورش ، لأهمية ما توفرها هذه الوظائف من اتصال وثيق بالعمال من جند ومدنيين . ولا يمكن إحباط هذه المناورات الشيوعية إلا بتعيين أعضاء وقادة متيقظين وموثوق بدرايتهم فى لجان هذه النقابات .

(٦) ما هى الدولة التى تعتبر خير مثال على أسلوب الشيوعيين السياسى فى الاستيلاء على الحكم ؟ وكيف يمكن الحيلولة دون ذلك ؟

قد تكون تشيكوسلوفاكيا مثالاً صادقاً على ذلك. فقبل الحرب العالمية الثانية كانت هذه الدولة مشهورة بحكومتها الحرة ولم يفز الشيوعيون أبداً بكسب أكثر من ١٠ فى المائة من مجموع الأصوات فى الانتخابات. ولكن فى عام ١٩٤٥ كان الشيوعيون قد ادعوا أن البلاد أصبحت متحدة وبعثت من جديد أثناء الحرب بواسطة قيادة الاتحاد السوفيتى ، فطالبوا بثمانية مقاعد من ثلاثة وعشرين مقعداً فى الوزارة وحصلوا عليها بالفعل . كما حصل إثنان ممن يسيرون فى ركاب الشيوعيين الذين يعملون دائماً وأبداً كعملاء للشيوعيين ، على منصبى رئيس الوزراء ووزير الدفاع القومى . وقصارى القول إن الشيوعيين تمت لهم السيطرة على الشرطة والجيش ووسائل الدعاية فى البلاد .

هذه الامتيازات كانت حكومة بينيش قد تنازلت عنها عقب النتيجة الوخيمة لانتخابات مايو عام ١٩٤٦ عند ما حصل الشيوعيون على ٣٦ فى المائة من مجموع الأصوات فيها .

وقامت الحكومة الجديدة وألفت بدافع من الشيوعيين ثلاثة أحزاب سياسية من ضمنها حزب الفلاحين القوى ، وسمحت بوجود خمسة أحزاب أخرى أحدها الحزب الشيوعى . وبعد ذلك وافقت هذه الأحزاب الخمسة فيما بينها على أن تعمل سوياً فى « جبهة وطنية » وكان هذا بمثابة ضربة قاتلة للاحزاب غير الشيوعية .

وفى شهر فبراير عام ١٩٤٨ عندما كان الشيوعيون يستعدون للقيام بالإنقلاب الذى أطاح بحكومة بينيش تمكنت الأحزاب الخمسة من السيطرة على نقابة العمال المركزية . ومن ثم كان فى استطاعتها إصدار الأوامر بالقيام بإضراب شامل ومظاهرة شعبية ، كما مكنتها سيطرتها على وزارة الداخلية وقوة الشرطة من حماية المشاغبين الموالين للشيوعيين وسحق مظاهرات الطلبة المناهضة لهم . ونتيجة لذلك كان الرئيس بينيش ، الذى كان يعتقد أنه يستطيع التعاون مع الشيوعيين ، قد أرغم على تعيين وزارة جديدة استولى الشيوعيون فيها بالفعل على الحكومة بأسرها . واستقال بينيش بعد أن يئس ، وتقدم الشيوعيون بمشروع الموافقة على دستور جديد يجرى المواطنين من معظم حقوقهم الأساسية .

ولكى يحول غير الشيوعيين دون الموافقة على هذا المشروع كان لابد لهم أولاً من الاعتراف بذلك الأسلوب الفنى المسمى « الجبهة الوطنية » ، وثانياً الإمتناع عن الاشتراك فى أى جزء من أعماله ، ذلك لأن التعاون مع الشيوعيين فى تأليف حكومة يعنى الإنتحار لغير الشيوعيين .

وكانت ولا تزال تعتبر فى الظاهر أية عبارة للوحدة فى قضية مشتركة مثل « الجبهة الوطنية » الوسيلة التى يستغلها الشيوعيون لإخضاع إرادة جميع العناصر السياسية لتحقيق الأهداف الشيوعية . ومنذ شهر نوفمبر عام ١٩٥٧ سعت موسكو جهدها لمساعدة الجبهات المتحدة — إئتلاف الشيوعيين

والأحزاب المتطرفة فى وطنيتها — فى مناطق أخرى من العالم ، لاسيما فى البلاد الآخذة بأسباب النهوض ، ولكن دون أن تحرز نجاحاً يذكر .

(٧) أيمكن أن يكون التضافر ضد الشيوعية فعالا ؟

نعم ، وما ولاية كيرالا الهندية سوى مثال واحد على ذلك . فقد كان الحزب الشيوعى يمارس سلطته لمدة سبعة وعشرين شهراً فى ولاية كيرالا قبل أن تقوم الحكومة المركزية بطرده من الحكم فى يوليو عام ١٩٥٩ . ونتيجة للانتخابات التى أجريت فى كيرالا فى عام ١٩٥٧ حصل الشيوعيون على ٣٥ فى المائة من الأصوات الشعبية وستين مقعداً من مائة وستة وعشرين مقعداً فى المجلس التشريعى . وكان السبب الرئيسى لفوز الشيوعيين بهذه النسبة هو أن الشيوعيين كانوا حينئذ منظمين تنظيماً متراصاً بينما كانت الأحزاب غير الشيوعية منقسمة على نفسها فيما يتعلق بكثير من المسائل والبرامج .

أما فى انتخابات فبراير عام ١٩٦٠ ، فقد قامت الأحزاب الرئيسية الثلاثة المناهضة للشيوعيين ، وهى حزب المؤتمر ، وحزب براجا الاشتراكى ، وحزب الرابطة الإسلامية — بتأليف جبهة ديمقراطية متحدة . وعلى الرغم من أن الشيوعيين استطاعوا إحراز زيادة فى الأصوات الشعبية ، بلغت ٤٣ فى المائة من جملة الأصوات ، غير أن عدد من فاز من مرشحيهم فى مجلس النواب لولاية كيرالا كان قد انخفض من ٦٠ إلى ٢٦ ، بينما فاز الحزب الإئتلافى المناهض للشيوعيين بتسعة وثمانين مقعداً .

وعلقت الصحافة الهندية على ذلك فى حينه فأكدت أن سبب انهزام الشيوعيين فى الانتخابات كان مرده اتحاد الائتلافيين المناهضين للشيوعية وعزمهم على كسب الانتخابات .

(٨) كيف يمكن التعرف على الشيوعيين ، ومن يسيرون فى ركابهم ، إذا كانوا يعملون فى الخفاء ؟

يبدو هذا الأمر صعباً ، بل مستحيلاً ، عندما يكون الشيوعيون خاضعين لأوامر زعماء الحزب بألا يكشفوا عن الجبهات الشيوعية التى ينتمون إليها . ومهما يكن من أمر فإن هناك دلالة واحدة على ميول بعض الأفراد إلى الشيوعية. فالشيوعى فى أى بلد غير شيوعية لايتردد فى توجيه النقد للحكومة والحالة السياسية فى بلده ، كما أنه قلما يوجه النقد إلى حكام الاتحاد السوفيتى أو سياساته سواء كانت داخلية أم خارجية . كذلك الأمر فيما يتعلق بمن « يسيرون فى ركابهم » — أولئك الذين يحذون حذو خطة الشيوعيين دون أن يكونوا منتمين فى الواقع إلى الحزب الشيوعى — إذ أنهم على وجه العموم لايقومون بتوجيه النقد « للخطة التى تسير عليها موسكو » .

ومع ذلك فإن حملة الحط من قدر ستالين التى شنتها « القيادة الجماعية » السوفيتية الجديدة قد أسفرت عن وجود سيل من النقد فى داخل الحزب على نطاق واسع . وهذا النقد ، مضافاً إليه انتشار التيتوية (نسبة إلى الجنرال تيتو) — أى الاستقلال الشيوعى عن تلقى الأوامر من الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى — يجعل من الصعب معرفة شخصيات من يسيرون فى ركاب الشيوعيين .

ومنذ حملة الحط من قدر ستالين التى شنتها « القيادة الجماعية » السوفيتية ، والشيوعيون فى جميع أنحاء العالم يعزون عيوب النظام الشيوعى إلى « عبادة الشخصية » وليس إلى النظام الشيوعى نفسه .

(٩) أيستطيع المرء عن طريق الإستجواب أن يكشف عن الأشخاص الشيوعيين أو من يعطفون عليهم ؟

ليس من المحتمل أن تكون طريقة السؤال والجواب ذات أثر فعال في معرفة شخصية المشتبه في أنه شيوعي .

فأعضاء الحزب الشيوعي من أعلاهم إلى أسفلهم مدربون على الحركات الشفوية البهلوانية للديالكتيلية الماركسية . وقد يتحاشى الشيوعي المتفانى في الشيوعية الإجابة على الأسئلة التي قد تقود إلى الكشف عن شخصيته ويبدأ في الحديث عن مواضيع لا تمت للموضوع بصلة .

(١٠) هل من الممكن لمواطن أن يكون مخلصاً لبلده وهو عضو في الحزب الشيوعي ؟

إن الولاء الأول الذي يكنه عضو الحزب الشيوعي يكون للحزب نفسه وليس لوطنه الذي ولد فيه هو أو البلد الذي يقيم فيها . وهذا يعني أن عضو الحزب الشيوعي الذي يكون لزاماً عليه بأن يرضخ « لنظام » الحزب يجب أن يكون على استعداد لأن يعمل ضد المصالح العليا لوطنه وأن يخونه إذا ما صدرت له الأوامر بذلك .

ومع أن جميع الشيوعيين لا يقومون بأعمال التجسس ، بيد أن كل شيوعي يتبع مبادىء الحزب الشيوعي وإرشاداته هو في الواقع جاسوس كامن ، ويصبح جاسوساً عاملاً إذا ما طلب منه ذلك . أما فيما يتعلق بقبول الشيوعيين لتوجيهات موسكو (أو توجيهات بكين في بعض المناطق الأخرى) فإنهم ، أي الشيوعيين ، ليسوا سوى « عملاء لدولة أجنبية » ، وهذا ما يوصفون به في قوانين بعض الدول الأخرى المناهضة للأعمال التخريبية .

ويحرم تأسيس الحزب الشيوعى فى عدد من الدول لا لأنه منظمة سياسية ، وإنما لأنه يكون ، خطراً حقيقياً حالياً ، لوجود الحكومة الشرعية .

(١١) هل تتبع الديبلوماسية الشيوعية نفس الأساليب المرعية فى الميدان السياسى ؟

لقد حاولت موسكو فى كل مناسبة فى ميدان الديبلوماسية الدولية أن تفصم عرى الوحدة والتعاون بين الديمقراطيات الغربية كما حاولت أن تستغل خلافاتها الطبيعية للوقيعة بينها .

وحتى تتسنى مكافحة الإنقسام الذى تسعى إلى تحقيقه الستراتيجية الشيوعية فى جميع الميادين — سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم فى المجال الدولى — فلا بد للجماعات غير الشيوعية والأفراد من أن يدركوا جلياً طبيعة المناورات الشيوعية ويقوموا باتخاذ اجراءات مشتركة لحماية المصالح المتبادلة .

(١٢) كيف يمكن لمدرس أن يكافح الشيوعية ؟

يقع على أعضاء أسرة مهنة التعليم إلتزام خاص من أجل صيانة حجرة الدراسة من نفوذ الشيوعيين الدوليين ذلك لأن الشيوعية الدولية تعتمد إلى درجة كبيرة على مقدرتها على اجتذاب الجيل الناشىء .

وكما قال كارلوس روميلو — وهو ديبلوماسى وسياسى من الفيلبين — فى كتابه بعنوان « حرب صليبية فى آسيا » :

« هذا هو النموذج السرى الذى كان يتبعه الشيوعيون فى كل مكان من العالم : ليكن هدفكم النشء ، وهم القادة الكامنون وزهرة شبابنا .... ولا يزال هذا الشعار هدف الشيوعية فى عصرنا الحاضر — لا يزال هدفهم

النشيء فى العالم بأسره وإفساد هذا النشء ! كما لا يزال هدفهم — حينما استطاعوا — تلقين الأطفال مبادئهم ! »

ولقد لقى الملايين من معارضى الشيوعية إبتداء من روسيا السوفيتية إلى الصين وكوريا ، جنوداً ومدنيين ، الآلام والموت دفاعاً عن قضية مناهضة الشيوعية . كما فضل الملايين غيرهم احتمال الفقر والحرمان على ألا يخضعوا لتهديدات الشيوعيين وإغرائهم . وهؤلاء الملايين يجب أن يكونوا قدوة لغيرهم من المواطنين العاديين تدفعهم لأن يضحوا بكل ما هو ضرورى فى سبيل تخليص العالم من نقمة الشيوعية .

وفوق هذا كله فلكى يتيسر وقف تهديد الشيوعية ، لا بد من اليقظة المستمرة ومعرفة الأساليب الشيوعية ، والتصميم على العمل فى سبيل الحرية بجد يماثل ما يقوم به الشيوعيون الذين يعملون من أجل استعباد شعوب العالم .

كتب مؤسسة سجل العرب

		ص
الناس معادن	تأليف الدكتور ابراهيم عبده	٢٠
روزاليوسف « سيرة وصحيفة »	» الدكتور ابراهيم عبده	٧٥
الصحافة فى الولايات المتحدة	» الدكتور ابراهيم عبده	٦٠
سيرة من الحرمين	» الدكتور ابراهيم عبده	١٥
قصة المطبعة	» الدكتور ابراهيم عبده	١٠
سجل العرب	» مجموعة من أساتذة الجامعات	٣٠٠
تاريخ أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين	» جرانت وتمبرلى ترجمة بهاء فهمى	١٤٧,٥
أربعة أيام من يوليو	» كورنيل لنجيل ترجمة أحمد عبد الرحمن حموده	٥٠
النهر الحى	» اسحق أزيموف ترجمة الدكتور محمد صدقى عبده	٣٠
السندباد العربى فى البحرين	» حورية جلال	١٠
السندباد العربى فى المغرب	» اعتقاد الزرقانى	١٥
نسف المعبد	» سلفا دور دى ما داريا جا ترجمة محمد سامى عاشور	١٠
عاصفة فى الأفق	» أحمد عبد الحميد	٢٠
كانت ملكة على مصر	» ونفرد هولمز ترجمة سعد أحمد حسين	٢٥
جلين رائد الفضاء الأمريكى	» فوزى الشتوى	١٠
مفاخر بلدنا	» حورية جلال	١٠

همرشولدودبلوماسيةالأزمات	تأليف	رتشارد ميللر	٥٠
		ترجمة عمر الأسكندرى	
قصة المطبعة	«	الدكتور إبراهيم عبده	١٠
الصحفى الأمريكى	«	برنارد ويزبرجر	٢٥
		ترجمة وديع سعيد	
انتخابات الرئيس فى الولايات المتحدة	«	تيودور هوايت	٦٠
دوله الكويت الحديثة	«	الدكتور ابرهيم عبده	١٠
مدخل لفلسفة التاريخ	«	و . هـ . وولش	٣٥,٥
		ترجمة أحمد حمدى محمود	
كيماء الحياة وفيزياؤها		ترجمة الدكتورين	٢٣,٥
		محمد محمود عبد القادر ، الفونس رياض	
ليبيا بين الماضى والحاضر	تأليف	الدكتور حسن سليمان محمود	٤٠
عناصر الحياة	«	اسحق أزيموف	٢٥
		ترجمة الدكتور محمد الشحات	
ما هو التاريخ ؟	«	إدوارد كار	٢٩,٥
		ترجمة أحمد حمدى محمود	
الأمراض المتوطنة بأفريقيا وآسيا	«	الدكاترة أحمد حافظ وعبد الحميد على عطا وأحمد على الجارم	٣٠

كتب تحت الطبع

الأزمنة والأمكنة

مقدمة للفلسفة الرياضية .

سارتورس

المجتمع العربي فى العصور الوسطى

قصة الجريدة .

قصة الطيارة .